


في العقيدة والشريعة والأخلاق

الطبعة الأولى

١٤٣٨هـ - ٢٠١٧م



الناشر : دار زهور المعرفة والبركة

١٢٧ ش أثر النبي خلف مسجد الرحمن مصر القديمة

٠١٢٢٦٤٠٦٤٨٩ – ٠١٠٠٠٧٤١١٦٤

البريد الالكتروني yuness2005@hotmail.com

نحو خطاب ديني جديد

# في العقيدة والشريعة والأخلاق

محمد يونس هاشم

دار زهور المعرفة و البركة
٢ ش مكة المكرمة – أرض اللواء – الجيزة
ت٠١١١٢١٩٩٦٩٦٦ – ٠١٢٢٩٠٦٩٣١٨

**هاشم ، محمد يونس .**

**في العقيدة والشريعة والأخلاق** / محمد يونس هاشم

الجيزة : دار زهور المعرفة والبركة ، ٢٠١٧.

ص ٢٠٨- ١٧ × ٢٤ سم

في رأس العنوان : نحو خطاب ديني جديد

تدمك ٩٧٨٩٧٧٥١٧٢٦٠٠

١- الإسلام .

٢- الشريعة .

٣- الأخلاق الإسلامية .

أ- العنوان

٢١٠

رقم الإيداع / ١٩٩٢٥ / ٢٠١٧

**الترقيم الدولي 0- 60 - 5172 -977 - 978**

# المقدمة

أثناء قراءتي لطَلَبات الإضافة وجدتُ شابة كانت تلميذتي منذ نحو عشر سنوات، وكانت من أكثر الطالبات أسئلة في الدين ، والسياسة ، والقضايا العامة .

وقد قمتُ بقبول طلب صداقتها واطَّلعت على مدوَّناتها وتعليقاتها ومنشوراتها ، وفوجئت أنها أصبحت من المنادين بالعلمانية أو بفصل الدين عن حياة الناس ، ورفض كل ما لا يعجبهم من أحكام الدين ، والإساءة إلى رموز الدين والسُّخرية منهم ، والإشادة بكل الطاعنين في الدين المُنْتَقدين لعلمائه .

تعجبت حينئذ من أفكار وآراء " منَّة " تلميذتي القديمة تلك الآراء التي لم ألحظ لها بوادر عندما كنت أُدرِّس لها منذ نحو عشر سنوات ، لم أشأ أن أعقِّب على آراء منَّة ، واكتفيت فقط بالاطلاع عليها ، وقاومت رغبة الرَّد عليها والتعليق على ما تنشره ربما لانشغالي ، أو لإحساسي بعدم جدوى الرد وقد أحسست أنها تحوَّلت من مرحلة البحث عن الحقيقة إلى مرحلة الإيمان بالعلمانية ، أو بسبب تطاول العهد بيني وبين آخر اتصال تمَّ بيننا ، أو لهذه الأسباب جميعاً .

وبعدما تدبَّرت الأمر قلت لنفسي لماذا لا ترد على مِنَّة التي مازالت مُبْقِية على تواصلها معك رغم عدم تعليقك على ما تكتبه ؟

وأخيراً قررَّت أن أردَّ على مُدوَّنات منَّة وتعليقاتها .

لاحظت أن منَّة بدأت تدوين أفكارها ونشر منشوراتها على صفحتها منذ سنوات ويطول بي البحث إذا تعقَّبتُ كلَّ ما كتبتْ فقرَّرتُ أن أكتفي بالرد على ما كتبتْه في السنة الأخيرة مُبتدئاً بالأحدث فالحديث، ثم القديم فالأقدم .

وبعد أن انتهيت من مناقشة أفكار ومنشورات منَّة أرسلتها إليها للاطلاع عليها والرد عليها إن كان عندها رد ، وانتظرت نحو شهر كامل ثم أرسلت لها هذه الرسالة " ابنتي العزيزة منَّة مرَّ أكثر من شهر ولم أتلق منك أيَّ تعليق على الكتاب الذي كتبته في مدة شهر فقط وكنت أتمنى معرفة رأيك فيه قبل نشره " .

فردَّت عليَّ " ارجوك تريث فى نشره .. انا اسفة ولكن المعلومات العلمية التى بالكتاب خاطئة من الناحية العلمية .. و انا تأخرت فى ردى لانى اردت ان اذكر لحضرتك المصادر العلمية بالانجليزية من مصادر موثوقة .. اما الشق المتعلق بوجهات نظرى فيمكننى ارد عليه بسهولة حتى على الخاص ان اردت .. اعدك ان ارسل لك الرد فى اسرع وقت واعذرنى على تأخرى .. " .

وانتظرت حتى أرسَلَتْ لي الرد بعد نحو شهرين ، ورددتُ عليه بعد نحو أسبوعين ، وكانت آخر رسالة تلقيتها منها هي " وقد قرأت عدد من الصفحات من رد حضرتك ولا يمكننى ان انتظر حتى كتابة الرد المطول لأؤكد لك انى لازلت مسلمة مؤمنة بالله على المستوى الشخصى لكنى علمانية ليبرالية على المستوى السياسى لا أكثر وقد لا ترى حضرتك ان ذلك ممكنا لكنى مقتنعة بما انا عليه حاليا وربما اغير قناعاتى مستقبلا عندما اقتنع بأفضل منها " .

هذه قصة الكتاب كاملة ، وقد سار منهج الكتاب كالتالي :

- مقدمة تشتمل على قصة الكتاب والمنهج الذي سار عليه .
- رسالة تمهيدية إلى تلميذتي القديمة .
- مناقشة آراء منَّة ومدوناتها بعد ذكر ما كتبته نصاً ولم أعدِّل فيه الأخطاء اللغوية ، ولا النحوية ، ولا الإملائية ، ولا حتى المطبعية ، إنما ذكرته كما هو حرصاً على الأمانة العلمية .
- ذكر نص رد منَّة على ما أرسلته لها بعد كل قضية ناقشتها فيها .
- مناقشة ردِّ منَّة .

كان هذا منهج الكتاب الذي حرصت فيه على بيان حقائق الإسلام بطريقة عصرية ، ومناقشة الشبهات التي يثيرها خصومه بالعقل والمنطق ووفق القوانين والأعراف المصرية بل والدولية أيضاً ، وتجنبت الآراء القديمة والخطاب الديني الذي تجاوزه العصر والذي تسبب عدم تجديده في إثارة الشبهات ضد الإسلام بل ارتداد بعض المسلمين عنه .

وأخيراً لابد أن أقرر أن كل ما أذكره من آراء وأفكار ليست هي الإسلام ، ولا مراد الله تعالى ، ولا الحق وما عاداه باطل ، إنما هي اجتهاد مسلم أنفق عمره في البحث عن الحق في كتب المتقدمين والمعاصرين ، فإن وافق الحق فالفضل لله تعالى ، وإن كانت الأخرى فأرجو ألا يحرمني الله تعالى أجر المجتهدين .

والله أسال أن ينفع المؤمنين به فيزدادوا إيماناً وينفع المُشكِّكين به فيعودوا إلى الإيمان أو على الأقل يتوقفون عن إثارة المطاعن والشبهات ضد الإسلام وشريعته كما توقفت منَّة عن ذلك بعد قراءتها لهذا الكتاب .

***

# هل الإيمان مجرد شعور بخالق الكون ؟

# هل يكفي أن تؤمن بالله خالق الكون فقط ؟

## هاتوا برهانكم إن كنتم صادقينَ

يعلمنا القرآن الكريم ضرورة الاهتمام بما يثيره الآخرون حول الإسلام ، والنظر فيه ، والرد عليه بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالحِكْمَةِ وَالمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالمُهْتَدِينَ﴾ [النحل:١٢٥] .

والقرآن لم يتجاهل الشبهات التي أثارها منكروه ضده وإنما تتبعها ، وذكرها في سوره وآياته ، وقام بتفنيدها ، حتى ما كان منها متهافتاً .

لقد حثَّ القرآن الكريم خصومه أن يخرجوا ما لديهم من علم أو أثارة من علم أو "برهان " لإثبات صحة ما يعتقدون .

﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلا تَخْرُصُونَ﴾ [ الأنعام : ١٤٨ ] .

﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الجَنَّةَ إِلا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [ البقرة:١١١ ] .

بينما كان مذهب غير المؤمنين به ومنهاجهم هو التجاهل وعدم الاستماع والصد والصدود عن سماع القرآن كانوا يقولون لأتباعهم : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهَذَا القُرْآنِ وَالغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ﴾ [ فصِّلت : ٢٦ ] .

من هذا المنطلق فمن حق غير المؤمنين بالقرآن – من غير المسلمين – أو من يؤمنون ببعض القرآن ويكفرون ببعض – من العلمانيين – أن يثيروا الشبهات

حول القرآن ، وواجب على كل مسلم مؤمن به أن يناقشهم ويجادلهم – بالتي هي أحسن – متى كان مؤهلاً لذلك .

نشرتِ يا بنتي يوم ٤/ ١٢ / ٢٠١٦ " لا يضحكني شيء أكثر من مقولة يرددها الملايين " احنا لو فهمنا الدين صح وطبقناه صح حياتنا هتبقى جميلة خالص" ... الذي لا نستطيع فهمه صح خلال ١٤٠٠ سنة يبقى حاجة غير قابلة للفهم ، والذي لا نستطيع تطبيقه صح خلال ١٤٠٠ سنة يبقى حاجة غير قابلة للتطبيق ... حاجة مش عايزة ذكاوة ... مشكلة أغلب المتدينين إنهم مش عايزين يفهموا إن الدين مجرد شعور بالإيمان بخالق الكون ومصدقين كلام المشايخ والكهنة إن الدين نظام سياسي واقتصادي واجتماعي عشان كدة بقالهم ١٤٠٠ أو ٢٠٠٠ سنة بيحاولوا يدخلوا الفيل من خرم الباب وبيفشلوا ، ولسة بيحاولوا .. ومضيعين عمر شعوبنا في هذه المحاولة الخرقاء لحد ما القطر سابنا وبقينا حثالة الأمم. "

كلامك يا بنتي يشتمل على خمسة موضوعات :

١- إن الدين مجرد شعور بالإيمان بخالق الكون فقط .

٢- إن المسلمين لم يفهموا الإسلام طوال تاريخهم ولن يفهموه لأنه غير مفهوم .

٣- إن المشايخ والكهنة هم الذي اختلقوا شمولية الدين لنُظُم الحياة : سياسية ، واقتصادية ، واجتماعية ...

٤- إن المسلمين فشلوا في تطبيق الدين كنظام شامل للحياة طوال تاريخهم وبالتالي لن يستطيعوا تطبيقه في المستقبل .

٥- إن الذي أضاع الشعوب الإسلامية هو محاولتهم تطبيق الدين كنظام شامل للحياة .

وسأحاول يا بنتي الإجابة عن هذه التساؤلات قدر علمي وجهدي مبتدئاً بشرح مفهوم الدين كما تعلمته من علماء الدين القدماء والمحدثين الذين اجتهدوا في فهم الدين وعلَّموه للمسلمين ، مُنوِّهاً إلى الأخطاء التي وقع فيها بعض المسلمين في

فهم الدين والتي جعلت بعضهم يقول ما قلتِ ، وأترك الحكم لكِ في النهاية لكي تجيبي عن هذه التساؤلات :

- هل الدين مجرد الشعور بالإيمان بالخالق أم أنه نظام شامل للحياة ؟
- هل الإسلام مفهومٌ أم غير مفهوم ؟
- هل هناك دين آخر أو فلسفة أخرى أفضل منه أم لا ؟
- هل هو أفضل أم العلمانية التي تؤمنين بها ؟
- هل كان للمسلمين حضارة عظيمة كانت سبباً في النهضة الأوربية أم لا ؟
- هل يستحق الإسلام السخرية والاستهزاء أم التوقير والاحترام ؟

والإجابة عن تساؤلاتك تحتاج إلى عشرات المجلدات للرد عليها تفصيلاً ، وقد أُلِّفت بالفعل فيه آلاف المجلدات قديماً وحديثاً ، ولكن سأحاول أن أوجز القول وأتكلم عن تصور شامل عن الإسلام دون الدخول في تفاصيل وتفريعات لبيان موقف العقل والعلم والواقع للإسلام : عقيدة ، وشريعة ، وأخلاق ، ومعاملات .

ونبدأ بإجابة السؤال الأول :

## هل الدين معناه مجرد الشعور بالله خالق الكون فقط ؟

قلتِ يا بنتي " مشكلة أغلب المتدينين إنهم مش عايزين يفهموا إن الدين مجرد شعور بالإيمان بخالق الكون " .

فهل الدين مجرد الإيمان بخالق الكون فقط ؟

لو أن هذا صحيح لكان كفار قريش ، عبدة الأصنام والأوثان ، متدينين ؛ فهم يعترفون بالله الخالق ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾ [لقمان:٢٥] .

فكفار قريش الجاهليون الذين يئدون البنات ويدمنون الخمر ويثيرون الحروب على أتفه الأسباب كانوا لا يؤمنون فقط بأن الله قد خلق السموات والأرض وما بينهما ولكن يؤمنون أيضاً أنه هو الذي سخر هذا الكون .

﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾ [العنكبوت:٦١] .

الكفار الجاهليون المتجبِّرون كانوا يؤمنون بالله العزيز الذي لا يغلب العليم الذي وسع علمه كل شيء .

﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ العَزِيزُ العَلِيمُ﴾ [الزُّخرف:٩] .

كفار قريش الذين لا يعتبرون العبيد والنساء بشراً مثلهم كانوا يؤمنون بأن الله خالقهم وخالق كل البشر .

﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾ [ الزُّخرف : ٨٧ ] .

وإذا كان الله الخالق الذي تؤمنين به يا بنتي يرضى بإيمانهم هذا فلمَ بعث الله فيهم الرسول وأنزل القرآن ؟!

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ المُشْرِكُونَ﴾ [ التوبة : ٣٣ ] .

ولو أن ما جاء النبي ﷺ به من دين غايته الاعتراف بالله خالق الكون فقط وهو اعتقاد أهل مكة فلمَ عادوه وحاربوه إذا كانوا يعترفون بوجود الله تعالى وخلْقه للكون وخلقه لهم؟!

## معنى الدين

نذكر أولاً تعريف كلمة دين لغةً جاء في المعجم الوسيط :

(الدِّين) : الدِّيانَة ، واسمٌ لجميع ما يُعْبَد به الله ، والمِلَّة والإسلام ، والاعتقاد بالجَنَان (القلب) والإقرار باللسان وعمل الجَوَارِح بالأرْكَان " .

إذن الدين وفق تعريف معجم اللغة العربية هو الاعتقاد بالقلب والإقرار باللسان وعمل الجوارح بأركان الدين ، وليس شعوراً بخالق الكون فقط كما تقولين .

ودين الله تعالى الذي أنزله لكل البشر واحد وهو الإسلام .

﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلامُ ﴾ [آل عمران:١٩] .

والقرآن الكريم وصف كل الأنبياء دون استثناء بأنهم مسلمون .

﴿قُلْ آَمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:٨٤] .

لكن الشريعة مختلفة فلكل نبي منهج وشريعة مختلفة ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ [المائدة:٤٨] .

أي لكل أمة شريعة تختلف باختلاف الأمة ، وهي تتغير بحسب تغير الأزمنة والأحوال، وكلها ترجع إلى العدل في وقت شرعتها، وأما الأصول الكبرى التي هي مصلحة وحكمة في كل زمان، فإنها لا تختلف، فتشرع في جميع الشرائع . ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة تبعاً لشريعة واحدة ، لا يختلف مُتَأخرها ولا متقدمها.

واتفق أهل الأديان السماوية على أن أهم ما يصلح به حال البشر حفظهم لأمور خمسة، هي ما يطلق عليه الكليات الخمس وهي :

١- حفظ الدين : بترسيخ العقيدة وإقامتها على البرهان العقلي والحجة العلمية، والقيام بالشريعة ، وتحريم الكفر والشرك والخروج على الشريعة وأحكامها .

٢- حفظ النفس : بأمر الإنسان أن يمدَّ نفسه بوسائل الإبقاء على حياته من تناول للطعام والشراب وتوفير اللباس والمسكن ، وتحريم قتل النفس وإزائها أو الإساءة إليها وشرع في ذلك القصاص والعقوبات .

٣- حفظ العقل : بتحريم كل ما من شأنه أن يؤثر على العقل ويضر به أو يعطِّل طاقاته كمسكرات أو مخدرات أو مفتِّرات وشرع في ذلك العقوبة الرادعة عن تناول هذه المحرمات .

٤- حفظ النسل : بشرع الزواج والحثِّ عليه ، بتحريم الزنا وكل ما يؤدي إليه وتحريم القذف وشرع العقوبة على الزاني وقاذف المحصنات .

٥- حفظ المال : بالحثِّ على السعي على الرزق والكسب الحلال ورفع منزلة العمل وإعلاء قَدْر العمَّال ، وتحريم سرقة المال أو إتلافه أو أكله بالباطل وشرع عقوبات رادعة على ذلك، وتحريم الإسراف والتبذير في إنفاقه .

لقد جاءت شريعة الإسلام بأحكام وافية لحفظ هذه الضروريات الخمس سواء من حيث الوجود إذ شرعت لها ما يحقق وجودها في المجتمع ، أو من حيث البقاء والاستمرار بإنمائها وحمايتها من أسباب الفساد والزوال .

إذن الإسلام له معنى واسع ، هو الاستسلام لله ، إيماناً وطاعةً وهو دين كل الأنبياء والمرسلين ، وله معنى ضيق، وهو أن تؤمن بالدين الذي جاء به النبي ﷺ وبالقرآن الذي نزل عليه، وبالسنة التي جاء بها .

فالإسلام بالنسبة لنا – أتباع خاتم الأنبياء والمرسلين – يشمل الدين والشريعة جميعاً .

والدين الحق لا يمكن ابتداء أن يكون عقيدة مفصولة عن الشريعة ؛ فالالتزام بالشريعة هو مقتضى العقيدة ذاتها . مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

بحيث لا تكون الشهادة صحيحة وقائمة إن لم تؤدِ عند صاحبها هذا المعنى ، وهو الالتزام بما جاء من عند الله ، والتحاكم إلى شريعة الله .

ولو أن شهادة لا إله إلا الله تعني مجرد الاعتقاد بوجود الخالق لكان كفار قريش قالوها ووفَّروا على أنفسهم معادة المسلمين الذين هم أهلهم وإخوانهم فالنبي ﷺ لم يطلب منهم إلا أن يقولوا : " لا إِلَهَ إلا اللَّهُ " فعن طارق بن عبد الله المحاربي قال " رأيتُ رسولَ اللَّهِ ﷺ مرَّ في سوقِ ذي المَجازِ وعليهِ حلَّةٌ حمراءُ وَهوَ يقولُ : يا أيُّها النَّاسُ قولوا لا إِلَهَ إلا اللَّهُ تُفلِحوا ورجلٌ يتَّبعُهُ يرميهِ بالحجارةِ قَد أدمَى كَعبَيهِ

وعُرقوبَيهِ وَهوَ يقولُ يا أيُّها النَّاسُ لا تُطيعوهُ فإنَّهُ كذَّابٌ فقُلتُ مَن هذا قالوا غُلامُ بَني عبدِ المطَّلبِ فقُلتُ مَن هذا الَّذي يتَّبعُهُ يرميهِ بالحجارةِ قالوا هذا عبدُ العُزَّى أبو لهبٍ " [ صحيح المسند ] .

لقد عادى صنديد الكفر من قريش النطق بالشهادة لأنهم يعلمون أن معناها : الانقياد لحكم الله الذي اعترفوا بحصر الإلوهية له في هذه الشهادة، والاستسلام لجميع شرعه الوارد في كتابه وسنة نبيه ﷺ .

لقد نزل هذا الدين ليعطي التصور الصحيح لحقيقة الإلوهية وحقيقة العبودية ، وليقيم في عالم البشر واقعاً محكوماً بهذا التصور ، منبثقاً عنه ، مرتبطاً به ، متناسقاً معه في كلياته وجزئياته ، ولا يتصادم معه ولا ينحرف عنه .

## مناقشة حول التحفظ على النقاش على أرضية دينية

وكان رد منَّة على ما ذكرت آنفاً :

" بدءا اسمح لى أن أتحفظ على إيراد كل هذا الكم من الآيات والأحاديث لأني لا أحبذ أبدا النقاش على أرضية دينية، فقد خضت مثل هذه النقاشات من قبل مع مختلف أنواع المتدينين بدءا من الأزهريين والصوفيين وانتهاءا بالسلفيين ومن يدعون أنفسهم بالمسلمين الوسطيين، وكل فصيل منهم يرى انه وحده من يتكلم من منطلق صحيح الدين وان الباقيين لم يفهموا صحيح الدين او انحرفوا، لذا لم اصل لشئ من هذه النقاشات وتوصلت الى ان اقصر طريق هو ان نتناقش بالعقل والمنطق وندع الفصل فى الامور الدينية لله يوم الحساب يفصل بيننا."

لا أعرف يا بنتي كيف أشكرك على تعليقاتك على الكتاب تلك التعليقات التي أثرت الكتاب وأعطته صبغة علمية فيها الرأي والرأي الآخر لا الصبغة الوعظية التي لا يسمع فيها إلا صوت واحد ، كما أنها أتاحت لي تعميق بحث بعض القضايا الدينية والعلمية ، والأهم من كل ذلك زادتني ثقة وطمأنينة وإيماناً .

ابنتي العزيزة جميع الموضوعات التي أثرتيها كان لها علاقة بالدين لذا استشهدت في مناقشتي لك بنصوص الدين : آيات القرآن الكريم ، وأحاديث السنة الصحيحة ، ولم أكن أعلم أنك لا تؤمنين بحُجِّيتها وإن كانت قطعية الثبوت والدلالة .

وها أنت تقررين أن يكون النقاش في الأمور الدينية بالعقل والمنطق ، وليكن ما تريدين مع أني أؤمن بحُجِّية آيات القرآن الكريم المُنزَّلة من عند الله تعالى الذي تؤمنين به كما تزعمين أم أنك تؤمنين بإله آخر ؟ كما أؤمن بحُجِّية صحيح سنة النبي ﷺ الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى .

## مناقشة حول أن الدين مجرد الشعور بالخالق فقط

" لكن تقديرا لمجهودك الكريم سأرد على ما اهم ما لفت نظرى في الكتاب.

فى الصفحة رقم ١٣، استهجنت قولى ان الدين شعور بوجود خالق وكان ردك ان كفار قريش كانوا مؤمنين بوجود اله وان هذا لا يعنى ان يكون لهم دين.

وانا أصر على ان الدين هو شعور بالخالق، بغض النظر عن كون هذا الدين صواب ام خطأ، القرآن عندما تكلم عن الكافرين قال "لكم دينكم ولى دين" اى انه اعترف بأن ما يعتقدون فيه هو دين. " .

وأنا أشكر لك تعبكِ في الرد ، وأعترف أني أخطأت عندما ظننت أنك تدينين بدين الإسلام الذي يدين به معظم المسلمين أمثالي لذا لم أقبل منك تعريف الدين بأنه مجرد شعور بوجود الخالق ، فالدين : جملة المبادئ والاعتقادات التي يؤمن بها فرد من الأفراد أو أمة من الأمم .

وأنت مُحقَّة في أن القرآن الكريم تحدَّث عن أديان أخرى غير دين الإسلام وإن عدَّها أدياناً باطلة، ولكنها أديان يؤمن بها أصحابها . ومنها قوله تعالى على اعتقاد كفار قريش ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون:٦] .

والقرآن الكريم يعتبر أن الدين الحق هو الذي أرسل الله تعالى به محمداً من عقيدة وشريعة وأخلاق ومعاملات وآداب ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصَّف:٩] .

انتهى الرد ونعود إلى استكمال مناقشة أفكار منَّة ومدوناتها .

**معنى الإســـــلام**

أَسْلَمَ في اللغة : انْقَاد وأَخْلَصَ الدِّينَ لله ودَخَلَ في دِينِ الإسْلام ودَخَلَ في السِّلْم.

الإسلام في الشرع يعني : الاعتراف بالله ربّاً : خلق السموات والأرض وما بينهما ، وإلهاً : مُسْتحقّاً للعبادة والطاعة .

والإسلام : يشمل جانبين اثنين ، تتفرع عنهما سائر الجوانب الأخرى وتعود إليهما :

**الجانب الأول** : الأصول الاعتقادية ، وهي الأساس النظري الذي يشكِّل القاعدة الأساسية في بناء هذا الدين ، ومنه ينطلق المؤمن ، ويضبط حركته كلها بضوابطه، ويوجه سلوكه وأعماله بمقتضاه ، وهو يفسِّر له أصل نشأة الإنسان وغايته ومصيره ويحدد علاقته بالوجود كله من الحياة والأحياء بعد أن يحدد له صلته بالله تعالى ، وهذا الجانب هو العقيدة التي تقوم على أصول نسمِّيها أصول الإيمان وأركانه ، مما يجب أن يعتقد به المؤمن ويصدِّق به ، وتسمى الأحكام المتعلقة بهذه النواحي أحكاماً أصلية أو اعتقادية .

**والجانب الثاني** : هو النظام الذي ينبثق عن تلك الأصول الاعتقادية ويقوم عليها ، ويجعل لهذه الأصول صورة واقعية متمثلة في حياة البشر الواقعية ، لذا فهو يحدد للمكلفين حدوداً في أقوالهم وأفعالهم كما يقول الشاطبي فيبين كيفية عمل المُكلَّف ، والإتيان به على الوجه الذي أمر به الشرع ؛ في الشعائر التعبدية والنظام الاجتماعي ، ونظام الأسرة ، والنظام الاقتصادي وفي قواعد الأخلاق..

وفي كل ما من شأنه تنظيم حياة الناس وارتباطاتهم وعلاقاتهم .. وتسمى الأحكام المتعلقة بهذه الجوانب كلها : أحكاماً فرعية أو عملية؛ لأنها عمل متفرع عن الاعتقاد .

والعلم المتعلق بالجانب الأول من هذين الجانبين يسمى علم العقيدة أو أصول الدين. والعلم المتعلق بالجانب الثاني يسمى علم الشرائع والأحكام ، لأنها لا تستفاد إلا من جهة الشرع ، ولا يسبق الفهم ، عند الإطلاق ، إلا إليها . (١)

## العقيدة الإسلامية

العقيدة الإسلامية : هي الإيمان الجازم بربوبية الله تعالى وإلوهيته وأسمائه وصفاته، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وسائر ما ثبت من أمور الغيب، وأصول الدين، والتسليم التام لله تعالى في الأمر، والحكم، والطاعة، والاتباع لرسوله ﷺ .

﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥]

وعندما سأل سيدنا جبريل سيدنا محمد ﷺ عن الإيمان قال ﷺ " أَنْ تُؤْمِنَ بِالله، وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الآخر، وَتُؤْمنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ" قَالَ: صَدَقْتَ."

[ رواه مسلم ]

فالمؤمنون يعتقدون بأن الله واحد أحد، فرد صمد، لا إله غيره، ولا رب سواه. ويصدِّقون بجميع الأنبياء والرسل والكتب المنزلة من السماء على عباد الله المرسلين والأنبياء، لا يفرقون بين أحد منهم، فيؤمنون ببعض ويكفرون ببعض، بل الجميع عندهم صادقون بارُّون راشدون مَهْديون هادون إلى سُبُل الخير، وإن كان بعضهم ينسخ شريعة بعض بإذن الله، حتى نُسخ الجميع بشرع محمدٍ ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، الذي تقوم الساعة على شريعته، ولا تزال طائفة من أمته على الحق ظاهرين. (٢)

---

(١) عثمان جمعة ضميرية " مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية " موقع المختار الإسلامي .

(١) تفسير ابن كثير ج١ ص ٧٣٦

كذلك يجب على المؤمن الإيمان بالبعث والنشور والحساب والجنة والنار بعد الموت، ويجب على المؤمن أن يعمل ما ينجِّيه من عذاب الله في الدنيا والآخرة .

كما يجب عليه الإيمان بالقضاء والقدر " فتعلمَ أنَّ ما أصابكَ لم يكن ليخطئَكَ وما أخطأكَ لم يكن ليصيبَكَ " [ صحيح ابن ماجه ] فترضى بما قسم الله لك .

ومن شعب الإيمان : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، والصلاة ، والصيام ، والزكاة ، والحج ، والجهاد في سبيل الله ، وبر الوالدين ، والإحسان إلى ذوي القربى والأيتام والمساكين وابن السبيل والجيران والعمال والخدم ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ولزوم الصبر في جميع الأمور ، والتواضع وعدم الكبر ، وحفظ الفم والفرج فيما لا يحل ، ورعاية الأمانة والعهد . . إلخ ؛ لما ثبت أن النبي ﷺ قال : " الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنْ الإِيمَانِ " . [ صحيح البخاري ]

## العقل وأصول العقيدة

لقد خاطب الله تعالى أولى الألباب في ست عشرة مرة في كتابه العظيم .

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ [آل عمران:١٩٠]

كما يقرر القرآن الكريم أن الراسخين في العلم هم الذين يؤمنون بكل ما أنزله الله.

﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّر إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ﴾ [ آل عمران : ٧ ] .

كما يعلمنا الله تعالى أن أولي الألباب هم الذين يعملون بأحسن ما عرفوا من علوم الأقدمين وإبداعات المحدثين فهم غير مقلدين إنما يدرسون ويتعلمون ويعملون بأحسن ما عرفوا ودرسوا .

﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾ [ الزمر : ١٨ ] .

واللب أخص من العقل وهو الخالص من الشوائب ، وقيل هو ما زكى من العقل وكل لب عقل ولا عكس . (١)

والعقل إن سيطر عليه الهوى فسد ، وإن بعد عن هدى الدين ضلَّ ، وإن دخل فيما لا مجال له فيه شطَّ .

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلاَ تَذَكَّرُونَ﴾ [ الجاثية : ٢٣ ] .

ومما سبق يتبن لنا مدى تقدير الله تعالى للعقل حيث ترك له في مجال العقيدة أن يهتدي إلى أعظم حقيقتين في هذا الوجود : حقيقة وجود الله ووحدانيته ، وحقيقة ثبوت الوحي والنبوة والرسالة .

## الأدلة العقلية على وجود الله تعالى

يلفت الله تعالى الإنسان إلى إدراك وجوده ، سبحانه ، بتدبُّر بديع خلقه والبحث عن خالق هذا الوجود .

﴿إِنَّ في خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ أُوْلِى الألْبَابِ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ في خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران : ١٩١]

ثم يطلب الله تعالى من الإنسان أن يسأل نفسه بعد تفكره في خلق السموات والأرض وما بينهما .

﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لا يُوقِنُونَ﴾ [ الطور: ٣٥، ٣٦] .

فأتى الله تعالى لمنكري وجود الله تعالى بمسألة الخَلْق الظاهرة التي لم يدَّعها أحد، ولا يجرؤ أحد على إنكارها ، حتى المشركون والملاحدة؛ لأن أتفه الأشياء

---

(١) الإمام المناوى" فيض القدير" ج٢ ص ٧٠

في صناعاتهم يعرفون صانعها ، ويُقرُّون له بصنعته ، ولو كانت كوباً من زجاج أو حتى قلم رصاص ، لا بُدَّ أن لكل صنعة صانعاً يناسبها .

أليس مَنْ خلق السماوات والأرض والشمس والقمر .. إلخ أَوْلَى بأن يعترفوا له سبحانه بالخَلْق؟ وهم أنفسهم مخلوقون ولم يقولوا إنَّا خلقنا أنفسنا ، ولم يقولوا خلقنا غيرنا ، فمَنْ خلقهم إذن؟

إن الدَّعْوى تثبت لصاحبها ما لم يَقُم لها مُعَارض ، والله تعالى قال علانية ، وعلى لسان رسله ، وفي قرآن يُتْلَى إلى يوم القيامة ، وأسمع الجميع : ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ قُلِ اللهُ يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ [يونس:٣٤] .

فإنْ قال معاند : فَمَنْ خلق الله؟ نقول : الذي خلقه عليه أن يُعْلِن عن نفسه .

والحق سبحانه شهد لنفسه أنه لا إله إلا هو ﴿شَهِدَ الله أَنَّهُ لاَ إله إلاَّ هُوَ﴾ [ آل عمران : ١٨ ] ولم يقُلْ أحد أنا الإله . إذن : الذين ينكرون الخالق لا حَقَّ لهم. هذا في جدال الملاحدة الذين ينكرون وجود الله .

أما الذين يؤمنون بوجود الله ، لكن يتخذون معه سبحانه شركاء ، فنقول لهم : شركاؤكم مع الله غَيْب أم شهادة ؟ إنْ قالوا : غَيْب فإن الله تعالى شهد لنفسه بالوحدانية . وقال :﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي المُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان:٢] فأين كان شركاؤكم ؟!

لماذا لم يدافعوا عن إلوهيتهم مع الله؟ إما لأنهم ما دروا بهذا الإعلان ، وإما أنهم دَرَوا وعجزوا عن المواجهة ، وفي كلتا الحالتين تنفي عنهم صفة الإلوهية ، فأيُّ إله هذا الذي لا يدري بما يدور حوله ، أو يجبن عن مواجهة خَصْمه؟

فإنْ قالوا : شركاؤنا الأصنام والأشجار والكواكب وغيرها ، فهذه من صُنْع أيديهم، فكيف يعبدونها ، ثم هي آلهة لا منهجَ لها ولا تكاليفَ ، وإلا فبمَ أمرَتْهُم وعَمَّ نَهَتْهم؟ إذن : عبادتهم لها باطلة .

ثم نسأل الذين يتخذون مع الله شركاء : أهؤلاء الذين تشركونهم مع الله يتواردون على الأشياء بقدرة واحدة ، أم يتناوبون عليها ، كل منهم بِقَدْر على شيء معين؟

إنْ كانوا يزاولون بقُدْرَة واحدة ، فواحد منهم يكفي والباقون لا فائدة منهم ، وإنْ كانوا يتناوبون على الأشياء ، فكلٌّ منهم قادر على شيء عاجز عن الشيء الآخر، والإله لا يكون عاجزاً .

وقد رَدَّ الحق سبحانه على هؤلاء بقوله تعالى : ﴿قُلْ لَّوْ كَانَ مَعَهُ آلِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذاً لأَّبْتَغَوْاْ إلى ذِي العرش سَبِيلاً﴾ [ الإسراء : ٤٢ ] أي : لَذهبوا إليه إما ليُعنِّفوه ويُصَفّوا حساباتهم معه ، وكيف أخذ الأمر لنفسه ، وإما ليتوددوا إليه ويعاونوه .

وفي موضع آخر يقول تعالى : ﴿إِذاً لَّذَهَبَ كُلُّ إله بِمَا خَلَقَ وَلَعَلاَ بَعْضُهُمْ على بَعْضٍ﴾ [ المؤمنون : ٩١] (١)

انظر كيف ترك الله تعالى للعقل أن يهتدي إلى أعظم حقيقة في هذا الوجود وهي: حقيقة وجود الله ووحدانيته .

ولا شكَّ أن كل إنسان يستشعر في عقله ضرورة أن يكون هناك موجود ليس هناك من هو أكمل منه ، وهذا الموجود الأكمل على الإطلاق هو الذي نطلق عليه اسم الله .

إن وجود الله ، وكماله ، وكونه خالقًا لا مخلوقًا ، لا يُعذَر فيه بالجهل لأنه من القضايا المُسلَّمة المُسْتقرَّة في الفطرة البشرية لا ينكرها إلا مجنون أو صاحب هوى.

يقول الفيلسوف الشهير "كانت" إن للإنسان شعوراً فطريّاً بالعدالة، والعدالة تقتضي أن يُثَاب المحسن ويعاقب المسيء ، ولكن في الحياة نجد أن هناك محسناً

---

(١) تفسير الشيخ الشعراوي ص ٧٠٢٣ ، ٧٠٢٤

لا يُثَاب ومُسيئاً لا يعاقب، لذا لابد من وجود يوم آخر يعاقب فيه هذا المسيء ويثاب فيه هذا المحسن ، ولابد من وجود إله يُوجِد هذا اليوم ويحاسب فيه الناس ويحقق العدالة .

إن وجود المخلوقات بعد العدم دليل على وجود الخالق ، فالمُحدَث لابد له من مُحدِث لا يفتقر إلى غيره، وهو الله تعالى : ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ * أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لَا يُوقِنُونَ﴾ [الطُّور:٣٥ ، ٣٦] .

إن ما في الوجود من مظاهر العناية بالمخلوقات عامة ، والإنسان خاصة، هي دليل على وجود الخالق. فكل مخلوق يحمل من كمال الإتقان ما يدل على وجود خالقه وكمال ذاته وصفاته، قال تعالى ﴿صُنْعَ اللهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾[النمل:٨٨] فالعالَم كله يخضع لسنن كونية متناسقة ، ثمرتها الاتساق بين المخلوقات، والاتساق مع وجود الإنسان ، قال تعالى ﴿لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ القَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾[يس:٤٠] فالله تعالى هو ﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ [الأعلى:٢،٣] لذا استحقَّ تعالى التسبيح والتمجيد لأنه خلق كل شيء من العدم على غير مثال سابق وقوَّمه وعدَّله وجعله سَوِيًّا في إحكام واتساق مناسبين لما خُلِق له ، والله تعالى قدَّر لكلِّ شيء ما يصلحه ثمَّ هداه إليه ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه:٥٠] .

## كيف توصَّل أبو الفلسفة الحديثة إلى وجود الله تعالى ؟

إن كل إنسان عاقل مُفكِّر إذا تنزَّه عن الهوى لا بد أن يؤمن بوجود خالق لهذا الكون ﴿أَفِي اللهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ [إبراهيم:١٠] ووجود الإله قد أقرَّ به ديكارت أبو الفلسفة الحديثة وعالم الرياضيات الكبير وصاحب مذهب الشك المنهجي الذي يشك في كلِّ شيء وأيِّ شيء والذي لا يقبل بأيِّ شيء على أنه حقيقي ما لم يخضع لامتحان الشك، الذي يستطيع به الوصول إلى شيء يقيني عن طريق برهان عقلي قد اعترف بعد رحلة شك إلى وجود الله .

يقول ديكارت : " أنا أشك إذن أنا أفكِّر، إذن أنا موجود " ويسأل ديكارت نفسه " من أين أحصل على وجودي؟ ربما من ذاتي أو من والديَّ، أو من أي مصدر آخر أقل كمالاً من الإله ؟ "

ويستمر ديكارت في بحثه فيتوصَّل إلى أن القدرة على إيجاد شيء من العدم تتطلب قدرة تفوق قدرة إدراك الأشياء وبما أن الإنسان لا يحصل إلا على قدرة على إدراك الأشياء وفهمها وحسب وليس عنده قدرة على إيجادها أو خلقها من العدم، فهذا يعني أن الإنسان لا يمكن أن يكون سبباً في وجوده، وبالتالي فهذا السبب يكون أكثر قدرة من الإنسان وإذا كان الإنسان قادراً على إيجاد نفسه من العدم فمعنى هذا أنه قادر على الحصول على الكمال، لكن الإنسان ناقص، وبالتالي، فهو لا يمكن أن يكون سبباً في وجود ذاته ، ولا يمكن أن يكون سبب الوجود إلا الإله الكامل .

ويقدِّم ديكارت حُجَّة أخرى في إطار هذا الدليل، ويذهب إلى أن الوجود عبارة عن المرور عبر لحظات الزمن، وهذا المرور عبر الزمن يفترض القدرة على جعل الشيء الموجود في لحظة يستمر في الوجود في كلِّ لحظات الزمن. وبما أن الإنسان ليس قادراً على إيجاد أي شيء يستمر حاضراً في كلِّ الأزمنة، فلا يمكن أن يكون هو السبب في استمرار وجوده في الزمن. ولذلك يجب أن تكون هناك قدرة على استمرار الإيجاد في الزمان، وهذه القدرة غير متوافرة في الإنسان، وبالتالي فالإله هو هذه القدرة التي تجعل وجودي، ووجود الأشياء كلها. مستمرة في الزمان.

والملاحظ أن هذه الحُجَّة ليست حُجَّة لإثبات وجود الله وحسب بل حُجَّة على استمرار ذاته سبحانه واستمرار عنايته . فديكارت يعتقد أن الإله لم يخلق الإنسان والعالم في لحظة من الزمان ثم انتهى عمله عند ذلك، بل يعتقد في نظرية الخلق المستمر والعناية الإلهية .

## إن لم يكن الله هو الخالق فمن يكون ؟

لم يدَّعِ أحد من الخَلْق أنه خالق الكون وما فيه إلا الله تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤] ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر:٤٩] ويقول الله تعالى مُبطلاً قول من تحدَّث عن نشأة الكون دون علم ولا هدى ولا كتاب منير ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ المُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ [الكهف:٥١] فالله تعالى هو الذي خلق السموات والأرض وما بينهما وهو خالق الإنسان ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ المَصِيرُ﴾ [التغابن:٣] .

ولا يوجد عاقل مُفكِّر حقاً ينكر وجود الخالق جلَّ وعلا حتى كفار قريش الذين يعبدون الأصنام يعترفون بأن الله هو خالق السموات والأرض ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللهُ﴾ [الزُّمر:٣٨] .

وفرعون نفسه الذي ادَّعى الإلوهية ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾ [النَّازعات:٢٤] عندما أدركه الغرق اعترف بالله تعالى ﴿وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ البَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدْوًا حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الغَرَقُ قَالَ آمَنْتُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا الَّذِي آمَنَتْ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ المُسْلِمِينَ﴾ [يونس:٩٠] .

وإبليس اللعين يؤمن بوجود الله تعالى وأنه هو الخالق ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص:٨٢] ﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف:١٢] .

فالخالق إذن ﴿هُوَ اللهُ الخَالِقُ البَارِئُ المُصَوِّرُ لَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ العَزِيزُ الحَكِيمُ﴾ [الحشر:٢٤] وهذا الخالق سبحانه مُنَزَّه عن الهوى ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ﴾ [المؤمنون:٧١] فالله تعالى مُنَزَّه عن

الهوى بالإضافة إلى إحاطة علمه وشموله لكل ما في السموات والأرض وما بينهما وعلم ما شاء من شيء بعد ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لا يَعْلَمُهَا إِلا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي البَرِّ وَالبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾[الأنعام:٥٩] ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى العَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد:٤].

﴿أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ﴾ [الملك:١٤] .

## العقيدة الإسلامية والقضايا الكونية الكبرى

عقيدة الإسلام تجيب عن كل ما يحيِّر الإنسان في يسر ووضوح تجيب عن الأسئلة التي حيَّرت عقول البشر دون أن يهتدوا فيها لشيء حقيقي .

من أنا ؟ ومن الذي أتى بي إلى هذا العالم ؟ وما هدفي في هذه الحياة ؟ وكيف أحقِّق هذا الهدف ؟ وماذا بعد الموت؟

فالمسلم يؤمن بأنه خلْق من مخلوقات الله .

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً في قَرَارٍ مَّكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [ المؤمنون : ١٢- ١٤ ].

بل جعل الله تعالى الإنسان أفضل مخلوقاته وسخَّر له ما في الأرض جميعاً .

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِى آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ في الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ [ الإسراء : ٧٠ ] .

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا في الأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِى في الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاء أَن تَقَعَ عَلَى الأَرْضِ إِلاَّ بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحج:٦٥]

ولقد خلق الله تعالى الإنسان ، آدم ، بيده ونفخ فيه من روحه وأسجد له الملائكة .

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُواْ لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [ الحجر : ٢٨- ٢٩ ] .

وخلق الله الإنسان في أحسن تقويم .

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ في أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [ التين : ٤ ]

وإن هذا الإله العظيم هو رب العالمين ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إن كُنتُم مُّوقِنِينَ﴾ [ الشعراء : ٢٣ – ٢٤ ] .

﴿الذي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾

[الشعراء : ٧٨–٨٢]

وأقام الله تعالى الحُجَّة على من عبد غيره ممن لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضرّاً، واتهمهم بالغباء والجهل والعمى لأنهم عبدوا من لا حول له ولا قوة وتركوا خالق كل شيء والقاهر فوق عباده .

﴿قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِ أَوْلِيَاء لاَ يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُواْ لِلّهِ شُرَكَاء خَلَقُواْ كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد : ١٦] .

ويدعو الله تعالى الناس إلى إمعان النظر في بديع خلقه في السموات والأرض ثم يسأل كل واحد منهم نفسه من أين جاءت هذه المخلوقات البديعة التي لا يحصيها عدد ولا يحيط بها علم ؟

﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لاَّ يُوقِنُونَ﴾ [ الطور : ٣٥ ، ٣٦ ] .

كما يلفتهم الذكر الحكيم إلى حقائق في الكون لم يعرف بعضها العلم إلا من سنوات قلائل كأهمية الجبال لحفظ توازن للأرض ، وكاتساع السماء اتساعاً لا حدود له ، وكخلق كل شيء زوجين ( ذكر وأنثى ، وسالب وموجب ) .

﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾

[ لقمان : ١٠ – ١١ ] .

﴿وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ وَالأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [ الذاريات : ٤٧ – ٤٩ ] .

ولا يملك من يستمع لهذه الآيات إلا أن يخشع قلبه ، وأن يقشعر جلده ، وأن يسلم عقله لله الواحد الأحد .

﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ أَمَّنْ خَلَقَ السَّموَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاء فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ أَمَّن جَعَلَ الأَرْضَ قَرَاراً وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَاراً وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزاً أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاء الأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَي رَحْمَتِهِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾

[النمل : ٥٩ – ٦٣ ]

أبعد هذه الآيات البينات يحتاج الإنسان إلى دليل على وجود الخالق العظيم ؟!

أبعد هذه الشموس المتوهجة يمكن أن يبقى شيئاً من ظلام الشك ؟!

أبعد هذا البراهين الساطعة يمكن أن يجادل عاقل ؟!

إن أي إنسان أوتي شيئاً من إحساس ، أو درهما من عقل ، أو شعاعاً من بصيرة لردد صباح مساء " اللَّهُمَّ إِنِّى أَصْبَحْتُ أُشْهِدُكَ وأُشْهِدُ حَمَلَةَ عَرْشِكَ وَمَلائِكَتَكَ وَجَمِيعَ خَلْقِكَ أَنَّكَ أَنْتَ الله لا إِلهَ إِلاَّ أَنْتَ، وأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ. "

[حديث حسن رواه أبو داود والترمذي]

أما هدف الإنسان في الحياة فهو عبادة الله .

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [ الذاريات : ٥٦ – ٥٨ ] .

وعبادة الله تعالى الصحيحة لا بد أن تثمر حسن خلق وتزكية نفس .

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [ الشمس : ٧–١٠ ] .

كما أن الله أمر الإنسان إلى جانب عبادته تعالى وتزكيته نفسه أن يعمِّر الأرض .

﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [ هود : ٦١ ]

أما مصير الإنسان بعد الموت فيحدده الله تعالى بقوله :

﴿فَأَمَّا مَن طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِي الْمَأْوَى وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِي الْمَأْوَى﴾ [ النازعات : ٣٧ – ٤١ ] .

﴿إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الدِّينِ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الدِّينِ يَوْمَ لاَ تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ [ الانفطار : ١٣ – ١٩ ] .

أرأيت أوضح أو أيسر من هذه العقيدة .

## مناقشة حول العقيدة الإسلامية

ذكرت منَّة تعليقاً على ما كتبته عن العقيدة الإسلامية :

"فى صفحة رقم ٢١، "أتى الله لمنكرى وجود الله بمسألة الخلق الظاهرة التى لم يدعها احد ولا يجرؤ على نكرانها حتى المشركون والملاحدة ... وهو قول غريب، فالملاحدة بالطبع لا يؤمنوا بأن الله خلق الكون " .

لو قرأت يا بنتي الكلام كله ولم تجتزئيه لما قلت عنه أنه قول عجيب فوفقاً للعقل والمنطق الذي ارتضيتهما مقياساً وحكماً – وجعلتيهما مقدساً من دون وحي السماء – أن أحداً لم يدَّع أنه خلق الكون حتى من ادعوا الإلوهية. لم يدَّع ذلك إلا الله تعالى ، والعقل والمنطق يقولان : إن الدَّعْوى تثبت لصاحبها ما لم يَقُم لها مُعَارض .

والرجاء إعادة قراءة هذا الموضوع بدقة ودون اجتزاء وأنا أثق في عقلك . ثم إنك قلتِ إن المشركين والملاحدة لا يؤمنون بالخالق ، وأنا أعرف سيدة علمانية [١] تقول : " لا مقدسات عند العلمانيين ولا آلهة ولا وثنيات، ولا تقديس لنظريات .. " ومع ذلك تؤمن هذه السيدة العلمانية بأن " الدين هو شعور بخالق الكون " !!

## خلق الكون بين النظريات العلمية والدين

ثم تقولين يا بنتي : " غير ان مسألة خلق الكون قتلت بحثا من قبل علماء الفيزياء وغيرهم وهناك نظريات علمية مجمع عليها تفسر خلق الكون، حتى ان بعض مدلسى الاعجاز العلمى يستدلون بالاية "كانتا رتقا ففتقناهما" للتمسح بنظرية الانفجار الكبير، وان شئت سيدى الفاضل سأذكر لك اسماء بعض الكتب العلمية الميسرة لغير المتخصصين لفهم نشأة الكون، ومن افضلها كتاب يدعى " اعظم استعراض على وجه الارض" هو كتاب يباع بالمكتبات ويسهل فهمه واستيعابه. "

وأنا أتفق معك يا بنتي في أن كثيراً من علماء الفيزياء وغيرهم قد كتبوا في مسألة خلق الكون ، ولكن ما قدَّموه من نظريات ليس فيها نظرية واحدة مُجْمَع عليها بل إن إقرارك بوجود نظريات علمية تفسر الكون يتناقض مع الإجماع الذي تدَّعيه إلا إذا قصدت أنهم أجمعوا على ألا يجْمِعوا أو اتفقوا على ألا يتفقوا !

## نظرية الانفجار الكبير والإعجاز العلمي في القرآن الكريم

أما نظرية الانفجار الكبير (Big Bang) كإحدى النظريات التي تفسِّر نشأة الكون فما هي إلا إحدى هذه النظريات غير المُجْمَع عليها ، وكون أن بعض

---

(١) هي منَّة نفسها وقد ذكرت هذا الرأي في ردها كما سيأتي .

دعاة المسلمين يؤيد هذه النظرية ويدلّل على صحتها بقوله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ المَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء:٣٠] فهذا ليس تمسُّحاً بالعلم لتأكيد إعجاز القرآن الكريم فالمسلمون يؤمنون بإعجاز القرآن الكريم سواء أكانت هذه النظرية صحيحة أم لا ، وبالمناسبة فإن هذه النظرية قديمة جداً قال بها المصريون القدماء فقد ذكروا في وثائقهم أن السموات والأرض كانتا بيضة ثم انفجرت مكونةً السموات والأرض .

وتنسب الوثائق هذا الانفجار للإله " بتاح " .

{ الإله " بتاح " الذي فَصَلَ في خلق الكون بين السماء والأرض } (١)

كما تنسب الوثائق أن الذي قام بفتق بيضة الأرض هو الإله " شو " [ المَلَك المَوَكَّل بالهواء ] { نام " جب " أي الأرض تحت قدمي " نوت " أي السماء وذلك لأن الإله " شو " إله الهواء فتقهما عن بعضهما بعد أن كانتا رتقاً ووضع نفسه بينهما ورفع السماء بلا عمد وصارت ترتكز على ذراعيه } (٢)

وقد استشهد العلامة د. سليم حسن تعليقاً على الفقرة السابقة بقوله تعالى : ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء:٣٠] .

ما رأيك في هذه المفاجأة العجيبة .

## مناقشة نظرية دارون وما بعدها

أمَّا الكتاب الذي ترشحينه لي لقراءته فقد اقتنيته في نفس العام الذي صدر فيه عام ٢٠٠٢ عن مكتبة الأسرة بعنوان " الجديد في الانتخاب الطبيعي " ريتشارد دوكنز ترجمة د. مصطفى إبراهيم فهمي . وها أنا أنقل عن الكتاب الذي يقول

---

(1) سيرج سونيرون " كهَّان مصر القديمة " ترجمة زينب الكردي ، مراجعة د. أحمد بدوي الهيئة المصرية العامة للكتاب ص ص ١٤٤ .
(2) د. سليم حسن موسوعة " مصر القديمة " الهيئة المصرية العامة للكتاب ج١ ص ٢٢٩

المترجم في مقدمته " هناك الآن مدارس مختلفة بين التطوريين أنفسهم سواء منهم المثاليين أو الماديين فيوجد على سبيل المثال لا الحصر مدرسة الطفريين في أحد أقصى الأطراف ممن يؤمنون بأن التطور يخطو في كل مرة بطفرة هائلة ، ويقابل ذلك في أقصى الطرف الآخر التدريجيون الذين يؤمنون بأن التغيرات في التطور هي في أغلبها بطيئة تدريجية بما لا يكاد يلحظ ، وبين هذين الطرفين مدارس أخري مثل : الترقيمية ، والداروينية الجديدة ، والمحايدة ، وجلُّ هذه المدارس قد خرج من عباءة الداروينية وإن كانت قد تعارضها تماماً في بعض النواحي . ودوكنز مؤلف هذا الكتاب ينتمي إلى ما يعرف بالداروينية الجديدة الأرثوذوكسية ... " (١)

إذن ليس هناك إجماع حتى بين الدارونيين أنفسهم فما بالك بغيرهم .

ثم يلخص المترجم نظرية دوكنز فيقول : " ويرى دوكنز أن لبَّ الداروينية هو حقيقة بسيطة كل البساطة وهي أن التكاثر مع وجود تباين وراثي وانتخاب طبيعي لا عشوائي ، إذا أتيح لهما معاً الزمن الكافي فإن ذلك يؤدي إلى نتائج تطورية في الحياة هي أبعد من الخيال ، والزمن الكافي هنا يعني ملايين بل بلايين السنين التي ظلت الحياة تتطور فيها منذ بدايتها التي تقترب من ٤ بلايين سنة خلت "(٢)

ويلخِّص دوكنز نفسه نظريته في آخر الكتاب فيقول : " هذا الكتاب قد هيمنت عليه فكرة الصدفة ، والاحتمالات ذات الأرقام الفلكية الطويلة ضد النشأة التلقائية للنظام ، والتركيب ، والتصميم الظاهر . وقد فكرنا في طريقة لترويض الصدفة وخلع أنيابها ، والصدفة الخالصة المجردة تعني أن التصميم المنظم بزغ للوجود من لا شيء في وثبة واحدة ، وأنه ليكون من الصدفة غير المروضة لو حدث ذات مرة إن لم يكن هناك عين ، ثم يحدث فجأة بزوغ أحد الأجيال أن تظهر

(1) ريتشارد دوكنز " الجديد في الانتخاب الطبيعي " ترجمة د. مصطفى إبراهيم فهمي مكتبة الأسرة ص٩
(2) ريتشارد دوكنز " الجديد في الانتخاب الطبيعي " مرجع سابق ص ١٠

عين، وقد تمَّ تشكيلها متقنة كاملة . إن هذا ممكن ، ولكن نسبة الاحتمالات ضده تجعلنا نظل مشغولين بكتابة أصفار الرقم حتى نهاية الزمن ، وترويض الصدفة يعني تجزئة ما هو قليل الاحتمال جداً إلى عناصر أصغر أكثر احتمالاً ومرتَّبة ومسلسلة ، ومهما كانت قلة احتمال أن تنشأ ( س ) من ( ص ) في بالغ الصغر، ومهما كانت قلة الاحتمال أن يكون هناك تغير بمقياس كبير ، فإن التغيرات الصغيرة تظل هي الأكثر احتمالاً . " (١)

وهناك كتاب آخر يتحدث عن نفس الموضوع بعنوان " الجينوم البشري ، القضايا العلمية والاجتماعية " تحرير دانييل كيفلس وليروي هود ترجمة د. أحمد مستجير صدر هذا الكتاب في نفس العام ٢٠٠٢ عن مكتبة الأسرة وقد اقتنيته أيضاً وهو أمامي الآن .

المشكلة في بعض العلمانيين أنهم يظنون أنهم وحدهم الذين يقرءون في العلم ويتابعون أحدث نظرياته وأن كل المتدينين دراويش متفرغون للعبادة أو عاكفون على كتب التراث أو معزولون عن العالم كأهل الكهف .

وبناء على نظرية دوكنز فإنني ممكن أن أتنبأ بالمستقبل – كما يحلو لدوكنز أن يتنبأ – بعد فترة من الزمان سيدمَّر هذا الكون تماماً فالشمس ستكور والنجوم تنكدر والجبال تسير والبحار تُسَجَّر والأرض تزلزل ، وبعد فترة أخرى من هذا الدمار ومع وجود تباين وراثي وانتخاب طبيعي لا عشوائي سوف تبعث الكائنات وتُحْشَر وتُحَاسَب على أعمالها إن خيراً فخير أو شراً فشر !!

وبالمناسبة أنا أومن بتطور الكائنات لكن وفق المشيئة الإلهية لا وفق الصدفة المروضة أو غير المروضة ﴿مَا لَكُمْ لا تَرْجُونَ للهِ وَقَارًا * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح:١٣ ، ١٤]

---

(1) نفسه ص ٤١٩ .

وهذا ليس رأي المسلمين فقط إنما رأي الأغلبية في أمريكا وأوربا كما يقول دوكنز نفسه في كتابه . حيث بيَّنت الدراسات أن في الغرب تزايداً في عدد منكري ما ذكره الدارونيون ويؤمنون بفكرة الخَلْق والخالق .

وإيمانك بما يقوله دوكنز على أساس أنه كلمة العلم الأخيرة في نشأة الكون وتطوره تذكرني بدكتور شيوعي درَّس لي النقد الأدبي في الجامعة وقف يوماً منتصب القامة مُصعَّر الخد شامخ الأنف متشدق الفم ثم قال بنبرة المعصوم من الخطأ : " أثبت العلم الحديث أن الإنسان أصله قرد " حتى يسد على طلابه كل منفذ لمناقشته فضلاً عن الاعتراض عليه فمن ذا الذي يجرؤ على مناقشة ما أثبته العلم الحديث ؟! أو مناقشة نظريات علمية مُجْمَع عليها على حد قولك يا بنتي مع أن مشاهدة فيلم علمي عن عالم الحيوان أو البحار أو الفضاء أو النبات أو دراسة شيء عن علم وظائف الأعضاء تقود – إذا أعمل الإنسان عقله ونزَّه نفسه عن الهوى – إلى حقيقة جليَّة وهي أن وراء هذا الخَلْق العجيب خالق عظيم ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آَذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى القُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج:٤٦] .

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية:٢٣] .

قالت منَّة " واسمح لى اعلن اعتراضى على الاستدلال بالعلم فى امور عقائدية "

هذا الكلام عجيب أن يصدر ممن تزعم أنها علمانية تؤمن بالعلم حاكماً على كل شيء ، وإذا تخليت أنت عن العلم والمنطق في مناقشة العقائد فإن الدين الإسلامي يخضع العقائد للمنطق والبرهان يقول تعالى ﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَئِلَهٌ مَعَ اللهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [النمل:٦٤] ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آَلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء:٢٤] ﴿وَنَزَعْنَا مِنْ

كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الحَقَّ للهِ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴾ [القصص:٧٥] ﴿قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ ﴾ [الأنعام:١٤٨] ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ اِئْتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [الأحقاف:٤] .

## مناقشة حول قوله تعالى ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾

قالت منَّة في ردِّها : " وليس صحيحا ان كل شئ فى الكون عبارة عن زوجين، فهنالك ملايين الانواع من الفايروسات والبكتيريا وغيرها من الانواع احادية النوع ليست بالمذكر ولا المؤنث."

يقول الله تعالى ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [الذاريات:٤٩] .

من قال لكِ يا بنتي أن كلمة زوجين تُطْلَق على الذَّكر والأنثى فقط جاء في المُعْجَم الوسيط مُعْجَم المَجْمَع اللُّغَوي :

الزَّوْجُ : كل واحد معه آخر من جنسه .

والزَّوْجُ : الشكلُ يكون له نقيضٌ كالرَّطْب واليابس ، والذكر والأَنثى .

وفي التنزيل العزيز : ﴿قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾ [هود:٤٠] .

والزَّوْجُ : الليلُ والنهارُ .

والزَّوْجُ : الحلوُ والمرُّ .

والزَّوْجُ : القرينُ والنظيرُ والمثيلُ .

والزَّوْجُ : بَعلُ المرأَة .

والزَّوْجُ : الزوجةُ .

والزَّوْجُ : خلافُ الفرد ، يقال : زوجٌ وفردٌ ، وكل شيئين اقترن أَحدهما بالآخر فهما زوجان. "

والخلاصة إن كلمة زوجين تطلق على الذكر والأنثى ، وعلى النقيضين كالليل والنهار ، والحلو والمر ، والمثلين المتشابهين كالعينين والشفتين واليدين ، والكائنات التي تتكاثر لا جنسي مثل : الأميبا تقوم بالانقسام المتساوي الميتوزي فينتج فرد جديد مطابق تماماً للأم وبالتالي فإن الأميبا الأم والأميبا الابن زوجين بالتماثل ، وقولي مثل هذا في الفيروسات .

هذا معنى كلمة زوج في اللغة وفي القرآن الكريم ، وعندما يريد الله تعالى بالزوجين الذكر والأنثى تحديداً يذكرهما بعد كلمة زوجين ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى﴾ [النَّجم:٤٥] ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى﴾ [القيامة:٣٩] ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ القُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا﴾ [النساء:٨٢]

## مناقشة حول دور الجبال في حفظ توازن الأرض

ذكرت منَّة في ردها : " فى صفحة ٢٨ ذكرت ان "كما يلفتهم الذكر الحكيم الى حقائق فى الكون لم يعرف بعضها العلم الا من سنوات قلائل كأهمية الجبال لحفظ توازن الارض " !!!!!!! ... ما ذكرته سيدى ليس بحقائق علمية على الاطلاق ولا يوجد اى بحث علمى يؤيد ان للجبال دور فى حفظ توازن الارض، الجبال ما هى الا جزء ضئيل من القشرة الارضية التى هى بدورها جزء تافه وصغير من كتلة الكرة الارضية، وللايضاح فأعلى قمة جبل هى ايفرست بارتفاع ٨و٨ كم، فى حين ان نصف قطر الكرة الارضية ما يقارب ٦٤٠٠ كيلومتر، اى ان ايفرست يمثل واحد من عشرة فى المائة من نصف قطر الارض، فكيف بالله عليك تقوم الجبال بحفظ توازن الارض!!! الارض ثابتة نتيجة الجاذبية المتبادلة للشمس والكواكب المختلفة بمجموعتنا الشمسية ليس الا، وان قمنا بنسف كافة الجبال بالقنابل النووية ستظل الارض ثابتة فى مدارها ولن تتأثر. " .

يؤسفني أن العلمانية التي تؤمن بالعلم الحديث تجهل الحقائق العلمية – وليس النظريات – عن الجبال ، يا بنتي معلوم لدارسي المدارس فضلاً عن خرجي الجامعات وخاصة العلمانيين منهم أن الجبال ليست فقط الجزء الظاهر فوق سطح الأرض إنما لها جذور عميقة تحت الأرض مثل قمة جبل الثلج الذي أغرق السفينة " تيتانك " هي التي تثبت القشرة الأرضية يقول علماء الجيولوجيا المعاصرون إن "التوازن الأرضي هو توازن لبنات القشرة الأرضية العائمة على الغلاف الصخري للأرض . الجبال تملك جذوراً تمتد إلى داخل الغلاف الصخري بهدف تأمين التوازن" ومعلوم عند الجيولوجيين المعاصرين " إن القشرة الأرضية تتألف من مجموعة من الألواح العائمة على بحر من الحمم والصخور المنصهرة " ونحن نعلم من هندسة تصميم السفن أن السفينة يجب أن يكون لها شكل محدد لتستقرَّ في الماء ولا تنقلب. والجبال قد صمّمها الله تعالى بشكل محدد فهي لا تنقلب برغم مرور ملايين السنين عليها !! ومن أعجب ما قرأت حول هذه الجبال ودورها في التوازن الأرضي أن العلماء عندما قاسوا كثافة الجبال وكثافة الأرض المحيطة بها وجدوا أن النسبة هي ذاتها كثافة الجليد بالنسبة للماء .

وهنا تتجلّى عظمة القرآن في دقة التشبيه وروعته، ولذلك قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣١]. فشبّه الجبال بالسفن الرواسي وهو تشبيه دقيق جداً من الناحية العلمية!!

جميع جبال الدنيا تمتد عميقاً في الغلاف الصخري للأرض، ويبلغ عمق هذه الجذور عشرات الكيلو مترات، ونجد أن عمق جذر الجبل يزيد على ارتفاعه فوق سطح الأرض بأكثر من عشرة أضعاف!!! وهذا ما نجده في الوتد. فالوتد من الناحية الهندسية وحتى يؤدي مهمته في التثبيت يجب أن يغوص في الأرض لعدة أضعاف الجزء البارز منه. فسبحان الذي سمى الجبال (أوتاداً) وهذا التشبيه أفضل تشبيه من الناحية العلمية.

ثم إن جميع العلماء يؤكدون اليوم بأن الجبال لها أوتاد تمتد في الأرض وتغوص لعشرات الكيلو مترات، وهذا ما حدثنا عنه القرآن العظيم بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا * وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾ [النبأ: ٦-٧]. فإذا كان القرآن يصرّح بأن الجبال هي أوتاد، والعلماء يقولون إن للجبال جذوراً تثبت الأرض وتعمل على توازنها، وهنالك علم قائم بذاته يدرس هذا التوازن الأرضي، والسؤال: هل هذه المعجزات هي أكذوبة أم هي حقيقة؟!!

وبعد أن ناقشنا رد منَّة نعود إلى مناقشة آرائها الأخرى .

## هل العلمانية تلغي المُقَدَّس الديني أم تستبدل غيره به ؟

العلمانية لا تلغي المُقَدَّس الديني إنما تستبدل غيره به ، فبعد أن ألغت المُقَدَّس الديني غرقت في مقدسات ، بل ووثنيات جديدة تخترعها كبديل للمُقَدَّس الديني كالحرية الفردية ، والنسبية المطلقة ، وإنكار الغيب الديني . بل وتضع آلهة جديدة كداروين وفرويد وماركس أو آدم سميث ؛ فالعلمانية تقدَّس الحرية الفردية ولو طعنت في دين المجتمع ، وهي تقدَّس بعض النظريات والآراء وإن عارضت حقائق الدين . وتقدِّس الإباحية الجنسية وإن تعارضت مع حقائق العلم الحديث ، وتنكر الغيب الديني وتثبت المادة ، ومع ذلك تؤمن بغيبيات وميتافيزيقيات . يقول د. جلال أمين " لا مفرَّ من اتخاذ موقف ميتافيزيقي ما ، والبدايات الميتافيزيقية هي التي تفضي إلى النتائج ، والمقولات المختلفة التي تكون أيديولوجية ما، والتي توجه السلوك الإنساني ، وهذا يعني أن العلمانية منظومة شاملة ورؤية للكون والطبيعة والإنسان تستند إلى ميتافيزيقا مُسبقة تطرح إجابات عن الأسئلة النهائية الكبرى ، فحالة الشك المطلقة ، الشك في كل المسلمات تجعل الحياة مستحيلة .. فالغيبي مبدأ من مبادئ علم الاجتماع لا بد منه للمجتمع ولا يأتلف المجتمع ويكتمل إلا بمبدأ غائب عنه يرسم الحدود الفاصلة بين المقدس والدنيوي ، والعلمانية هي " النسبية المطلقة " مع أن العلمانية نفسها

تتحوَّل إلى مُطْلَق في نظر أصحابها وعلى الآخرين أن يتعلمنوا أو يُوصَمُوا بالجهل والظلامية والأصولوية .

وتزعم العلمانية أنها تنحي " الأسئلة الكبرى " والحقيقة أن العلمانية بعد أن فشلت في الإجابة عن هذه الأسئلة اقترحت تنحيتها لأنها بدأت تُعكِّر عليها مسيرة العلمنة . وهذه التنحية كارثة من كوارث العلمانية على الإنسانية لأنها الأسئلة الجوهرية للإنسان ، بل هي محور إنسانيته ، والمعنى الصميم لهذه الإنسانية ، وتنحيتها حَطَّم إنسانية الإنسان ، وجعله مادة بلا هدف ولا غاية ، يتقلَّب في ظلام الشك والحيرة ، وبدد له كل أمل في السعادة .

ومن هنا رأيت أن تنحية الأسئلة الكبرى ليست تعريفاً للعلمانية وإنما نهاية من نهايات العلمانية ، بل يمكن اعتبار هذه التنحية : إشهاراً للإفلاس ، وإعلاناً للخيبة . (١)

## مناقشة حول العلمانية والمقدس الديني

واعترضت منَّة على أن العلمانية لا تلغي المقدس الديني إنما تستبدل غيره به قائلة : " فى الجزء الخاص بالعلمانية صفحة رقم ٣٥، ذكرت ما يلى "العلمانية لا تلغى المقدس الدينى انما تستبدل به غيره،.... وثنيات جديدة تخترعها كبديل للمقدس الدينى كالحرية الفردية والنسبية المطلقة وانكار الغيب الدينى بل وتضع الهة جديدة كدارون وفرويد ماركس وآدم سميث" هذه الجملة عارية تماما عن الصحة وتمثل افتئاتا واضحا، لا مقدسات عند العلمانيين ولا آلهة ولا وثنيات، ولا تقديس لنظريات، حتى نظريات دارون وفرويد وآدم سيميث قتلت بحثا وكل يوم تنشر ابحاث فى مختلف الدول العلمانية تصل الى خلاف ما وصل اليه هؤلاء او تدحضه، لا ادرى من اين اتيت بهذا القول، اذكر لى اسم دولة علمانية تسجن

---

(٢) د.أحمد إدريس الطعان " تأملات في العلمانية " .

باحث او عالم بتهمة ازدراء دارون او فرويد او تعتبر ان ازدراء افكارهم امر يثير الفتنة ويستوجب السجن؟؟ " .

ابنتي العزيزة الرجاء أن تفهمي الكلام جيداً قبل أن تسارعي بالرد عليه ، وأن تفكري جيداً في الشيء قبل كتابته حتى لا تقعي في تناقضات . أولاً كلمة مُقَدَّس تعني المُعظَّم المُقدَّر الذي يبعث في النّفس احترامًا وهيبة سواء أكان ذلك مُقَدَّساً دينيّاً عند المؤمنين أو غير دينيٍّ عند العلمانيين اللادينيين فإذا كان المسلمون يقدِّسون النبي محمد ﷺ والقرآن الكريم مثلاً فإن العلمانيين أمثالك يقدِّسون العلمانية والحرية والديمقراطية ومن يؤمن بذلك ويدعو إليه بمعنى أنك تقدِّرين وتحترمين العلمانية والحرية والديمقراطية وتقدَّرين وتحترمين ريتشارد دوكنز وفرويد وإسلام البحيري وسيد القمني مثلاً أم تراك تكفرين بالعلمانية والحرية والديمقراطية وتمقتين دوكنز وفريد والبحيري والقمني !!

## مناقشة حول الدول العلمانية والحريات

تقول منَّة في ردها : "اذكر لى اسم دولة علمانية تسجن باحث او عالم بتهمة ازدراء دارون او فرويد او تعتبر ان ازدراء افكارهم امر يثير الفتنة ويستوجب السجن؟؟ " .

إن الدول سواء أكانت علمانية أم غير علمانية لا تسجن أصحاب الآراء إلا إذا كانت تخشى من هذه الآراء على نُظُمِها واستقرارها وسياستها ، والدول العلمانية التي تتحدثين عنها لا تسجن من يزدري دارون أو فرويد إنما تبيد وتقتل شعوباً تنفيذاً لسياستها الرامية إلى التوسع والهيمنة والاستيلاء على ما عند الغير من خيرات ، إنها لا تسجن من يزدري دارون أو فرويد إنما تقتل وتغتال ، والمطَّلع على سجون البلاد العلمانية سيجد الآلاف من الأبرياء أصحاب الآراء الحرَّة . تذكري سجن جوانتامو يا بنتي ، ثم قولي لي : الإرهاب الذي تنسبينه للإسلاميين من صَنَعَه ، مَنْ صَنَعَ : تنظيم الجهاد ، وتنظيم القاعدة ، وداعش ، وجبهة

النصرة ... ؟! ثم قول لي من صَنَع إسرائيل أكبر دولة إرهابية في العالم ؟! أليست هي الدول العلمانية التي تفاخرين بها ؟! من صَنَع الحربين العالميتين التي راح ضحيتهما أكثر من ٨٠ مليوناً من البشر الأبرياء ؟!

كما أن الدولة المصريَّة لا تسجن العلمانيين ولا الشيوعيين ولا الوجوديين ولا ... وكتب هؤلاء تملأ المكتبات العامة وأجنحة مَعْرِض القاهرة الدولي للكتاب ؛ كتب دارون وماركس وساتر وفرويد والكتَّاب الملحدين من الشرق والغرب ، ولقد قرأت لكثير من هؤلاء في مطلع شبابي ، بل إن الكتاب الذي طلبتِ مني قراءته وجدته مطبوعاً على حساب الدولة في مكتبة الأسرة ، وخمسة على الأقل ممن درَّس لي في الجامعة كانوا علمانيين ، وكانوا يقحمون اعتقاداتهم في المواد الدراسية التي درَّسوها لنا ، ومع ذلك لم يتعرَّض لهم أحد بسوء بل وصل ثلاثة منهم إلى رئاسة القسم وصار أحدهم وزيراً للثقافة في أكثر من وزارة .

## هل العلمانية لا تؤمن بغيبيات وميتافيزيقيات ؟

قالت منَّة في ردها : " تثبت المادة ومع ذلك تؤمن بغيبيات وميتافيزيقيات"، لم افهم تلك الجملة لكن اؤكد لك ان العلمانية معنية بأمور الدنيا ولا شأن لها بالغيبيات ولا الميتافيزيقيات، ولا تستند مطلقا الى ميتافيزيقا مسبقة، لا ادرى حقا من اين اتيت بهذا المفهوم ."

أنا أشرح لك يا بنتي معنى الجملة التي لم تفهميها ، أليست العلمانية تؤمن بنظريات تفسِّر بها نشأة الكون وتطوره كنظرية ريتشارد دوكنز مثلاً ، وهذه النظريات تتحدَّث عن غيبيات وميتافيزيقيات لا حقائق مؤكدة فلم يشهد دارون ولا دوكنز خَلْق السموات والأرض ولا خَلْق الإنسان وما نظرياتهم في ذلك إلا رجْمٌ بالغيب ولقد خالفهم فيها كثير من علماء البيولوجي والفيزياء كما خالفهما جميع المؤمنين بالرسالات السماوية من : اليهود والمسيحيين والمسلمين هذا بالإضافة إلى الحضارة المصرية القديمة أم الحضارات وأعظم الحضارات بل خالفهم معظم الأوربيين والأمريكيين كما يعترف بذلك دوكنز نفسه .

يقول تعالى : ﴿مَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ المُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ [الكهف:٥١] .

## فشل العلمانية في الإجابة عن الأسئلة الكبرى في حياة الإنسان

ذكرت منَّة في ردها : " اؤكد لك ان العلمانية لم تفشل فى الاجابة على الاسئلة الكبرى فى حياة الانسان، ذلك ليس شأن العلمانية من الاساس، انما هو شأن الاديان والفلسفة، وهى متاحة ويتم تدريسها فى الدول العلمانية فى ارقى الجامعات. "

نسيت يا بنتي أن أكمل لك قصة أستاذ النقد الأدبي الذي قال : " أثبت العلم الحديث أن الإنسان أصله قرد " بعد أن قال ذلك قامت زميلتنا ناهد وقالت له : ولكن القرآن الكريم يصرِّح بأن أصل الإنسان آدم عليه السلام فأسرع الأستاذ قائلاً: هذا الكلام تسألين فيه أساتذة التفسير . " وها أنت يا بنتي تكررين كلام أستاذ النقد الأدبي الذي سمعته منذ نحو ثلاثين عاماً . وأنا أنصح الشيوعيين والعلمانيين بأن يطوِّروا خطابهم ويأتوا بجديد .

نعود للإجابة عن قولك إن العلمانية لا شأن لها بالأسئلة الكبرى فالرجاء إعادة قراءة ما كتبه د.أحمد إدريس الطعان " تأملات في العلمانية " . فستجدين فيه الإجابة والشافية إن شاء الله .

نعود إلى مناقشة منَّة حول آرائها بعد أن ناقشنا ردودها .

## هل حقّق الإلحاد السعادة للغرب ؟

ونتساءل هل الشعور بخالق الكون فقط ، كما يقول العلمانيون ، له واقع في حياتهم ؟

هل يمنح قلوبهم الطمأنينة اللازمة لحياة الإنسان .. الطمأنينة التي تمنع التمزق النفسي وتمنع القلق والاضطراب ؟

الطمأنينة التي يقول الله تعالى فيها ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ أَلا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد:٢٨] .

هل يمنح هذا الشعور العلماني بخالق الكون وجودهم معنى يحميهم من الإحساس بالضياع ؟

هل يمنحهم تصوراً للكون والحياة والإنسان غير التصور المادي الذي تقدِّمه ؟

إن معنى الدين في العلمانية مجرد شعور أجوف لا يأمر صاحبه بحق ولا ينهاه عن باطل إنما يجعل إلهه هواه ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنَ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللهِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [ [القصص:٥٠]

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللهِ أَفَلَا تَذَكَّرُون﴾ [الجاثية:٢٣] ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الهُدَى﴾ [النَّجم:٢٣] ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الحَقِّ شَيْئًا﴾ [النَّجم:٢٨] .

أمن العدل أن يخلق اللهُ ويُعْبد غيره ؟! أمن العدل أن يرزق ويُشْكَر غيره ؟! أمن العدل يقول الخالق فنكذبه ويقول أعداؤه فنطيعه ؟! أمن العدل أن نسخِّر نعمه في معصيته ؟!

إن الروح التي هي نفخة من روح الله تحتاج لمعرفته تعالى وعبادته العبادة الصحيحة، وإذا لم تُشْبع حاجتها أتعست صاحبها مهما كان حظه من نعيم الدنيا، فنعيم الدنيا قد يسد جوع جسد الإنسان نعم ، لكنه أبداً لن يسد جوع روحه فلا غَرْو أن تجد الملحدين الذين أهملوا غذاء أرواحهم تائهين لا يعلمون من هم ؟ ومن الذي أتى بهم في هذا العالم؟ وما هدفهم في هذه الحياة ؟ وماذا بعد الموت ؟

هل هم أبناء هذه الأرض وتطوَّروا من خليَّة كانت في مستنقع آسن قبل ملايين السنين . وقد تطوَّرت هذه الخليَّة ومرت بمراحل منها ، مرحلة القرد ، انتهاء بالإنسان " كما زعم دارون ؟!

وهل أن المادة أزليَّة أبديَّة وهى الخالق والمخلوق في نفس الوقت ؟!

وهل لم يعد هناك جدوى من البحث في الغاية والهدف من وجود الإنسان لأن داروين قد جعل بين الإنسان والقرد نسَباً ، وأن ماركس جعل مطلب الإنسان في الحياة ينحصر في الحصول على ( الغذاء والسكن والجنس ) مُهْمِلاً بذلك جميع العوامل الروحية لديه ؟!

وهل تحقَّقت لهم السعادة عندما أهملوا الروح وحشوا عقولهم بأفكار الملحدين أتباع العلمانية والشيوعية والوجودية والداروينية القائلة بأن " الإنسان كالكون والحيوان والنبات وُجِد صدفة وسينتهي كما بدأ ولا توجد حياة بعد الموت " ؟!

والحقيقة أن الغربيين رغم الترف المادي الذي يعيشون فيه لم يحسُّوا للسعادة طعماً ؛ فأغرقوا أنفسهم في مستنقع الخمور والفجور واستولى عليهم اليأس والقنوط وكان الانتحار هو النتيجة الحتمية لهذه الحياة التعسة " إن ( ٤٠ ) ألف مراهق فرنسي يحاولون الانتحار سنوياً ، وإن ( ٨٠٠ ) نفر من هؤلاء لاقوا حتفهم لحظة الانتحار، وإن ( ١٨٥٢٦ ) حالة انتحار في أميركا في العام الواحد ، وأوضحت نتائج الدراسة التي أجراها فريق أطباء في السويد أن الكحول يكون السبب في نسبة ٤٤ % من الوفيات وتشمل الوفيات التي تسببها الخمور عمليات الانتحار والسقوط من أماكن مرتفعة وخلص الأطباء إلى هذه النتائج إثر إجرائهم دراسات على وفيات وقعت في السويد طوال خمس سنوات . " (١)

وكان طبيعيّاً أن يلوذ بعض هؤلاء البائسين بالإسلام لينقذهم مما جنى عليهم الخواء الروحي .

---

(١) عن موقع وكالة الأنباء العالمية B B C على الإنترنت بتصرف .

يقول د. صلاح عز الذي كان رئيس اتحاد الطلاب المسلمين في بريطانيا : " إن الإسلام ينتشر على مستوى المفكرين والمثقفين في الغرب أكثر من انتشاره على مستوى العامة ، وينتشر على مستوى العامة في الغرب كلما ازداد الاختلاط والتقارب مع المسلمين فإن الغرب يجد ارتباطاً روحياً متمثلاً في البعد عن الخمر والإباحية والانتحار عند الاختلاط بالمسلمين كما يجد في دينهم منطقاً فطريّاً خالياً من التعقيد وتسلط الرهبان على الشئون الداخلية.

أما انتشار الإسلام بين المثقفين والمفكرين في الغرب فإنه أوسع وأهم وسيزداد مع ازدياد الاستشراق وازدياد مراكز دراسة الإسلام في الجامعات الغربية ونحن نشاهد الآن مؤتمرات وندوات عن الإسلام تعقد في الغرب " (١)

برغم الحملات الإعلامية المُغْرضة في جميع وسائل الإعلام الغربية والأمريكية ضد المسلمين والإسلام ، إلا أن عدد الذين يعتنقون الإسلام يزداد بصورة ملحوظة فكل يوم تتوالى أخبار الداخلين في دين الله أفواجاً في الغرب. فهذا وكيل وزارة العدل الفنزويلى يعتنق الإسلام وهناك خمسة آلاف سويدي يعتنقون الإسلام حديثاً كما أكد ذلك تقرير أعده اتحاد المسلمين في السويد وأودع أخيراً مجمع البحوث الإسلامية في القاهرة ، وبلغ عدد الذين اعتنقوا الإسلام في أسبانيا خلال السنوات الأخيرة أكثر من عشرين ألف شخص .. واللافت للنظر أن معظم المقبلين على الإسلام من المثقفين والعلماء الذين يعتنقون بعد بحث كبير بل إن هناك مئات الدارسين الغربيين المنصفين الذين أصدروا كتباً تؤكد سمو الإسلام ورسالته على جميع الأديان. فهناك جارودي ومحمد أسد ومريم جميلة وغيرهم الكثيرون .

فالأزمات المزمنة التي يعيشها الغرب الآن والأمراض الفتاكة مثل الإيدز الناجمة عن الإباحية وكذا جرائم العنف وحوادث الانتحار الجماعي والتفسخ الأسرى والخواء العقائدي تدفع بالكثيرين إلى البحث عن الحق وهو دين الإسلام .

(٢) د. صلاح عز رئيس اتحاد الطلاب المسلمين في بريطانيا سابقاً عن موقع الشبكة الإسلامية .

إن الغرب اليوم يعيش في ظاهرة تمثل صحوة إسلامية رغم الحملات العارمة ضد الإسلام فإقبال النساء على الإسلام وارتداء الحجاب وانتشار المساجد والمراكز الإسلامية في أنحاء أوروبا يؤكد قوله تعالى: ﴿هُوَ الذي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف : ٩] (١)

## مناقشة حول إلحاد الغرب

قالت منَّة في ردها على موضوع إلحاد الغرب : " فى صفحة ٣٦ تناولت موضوع الالحاد فى الغرب، ولا ادرى حقا لماذا تطرقت الى هذا الامر او ما هى علاقته بما اكتب على صفحتى، لكن دعنى اقول لك ان الايمان او الالحاد هى خيارات شخصية للانسان لا يجوز فرض فرض الايمان على من يرفضه كما انه لا يمكن فرض الالحاد ونزع الايمان من قلوب المؤمنين، وان اختار شعب او جماعة من البشر الالحاد، فلا تملك لهم شيئا مهما كانت نتائج اختيارهم سيئة، هى ترضيهم وكفى. " .

أقول لك يا بنتي لماذا تطرَّقتُ لموضوع الإلحاد ، لأن العلمانية حسب تعريفكِ لها هي الإلحاد بعينه ألست أنت القائلة : " لا مقدسات عند العلمانيين ولا آلهة ولا وثنيات، ولا تقديس لنظريات .. " أمَّا قولك إن الإيمان أو الإلحاد هي خيارات شخصية للإنسان لا يجوز فرضها فهل قال القرآن الكريم غير ذلك ؟!

يقول تعالى : ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ﴾ [البقرة:٢٥٦] ﴿وَقُلِ الحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف:٢٩] ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾

[يونس:٩٩]

---

(١) نفسه .

## مناقشة حول انتشار الإسلام في الغرب

وذكرت منَّة في ردها على انتشار الإسلام في الغرب : " فى صفحة ٣٨ نقلت عن شخص يدعى صلاح عز ان الاسلام ينتشر فى الغرب خاصة بين المثقفين والمفكرين، هذا الشخص ذكر كلاما مرسلا لا دليل عليه ولا توجد دراسة تؤكده واحسبه غير صحيح.

فى نفس الصفحة نقلت عن نفس ان وكيل وزارة العدل الفنزويلى اعتنق الاسلام، رغم انى بحثت عن مدى صدق هذا الامر ولم اجد اى اخبار عنه، فارجو ان كنت تملك دليلا موثوقا ان تمدنى به، فى صفحة ٣٩ نقلت عن نفس المصدر ان هناك ٥٠٠٠ سويدى يعتنقون الاسلام حديثا، وهنا اسمح لى ان سترشد بهذا اللنك عن نسبة المسلمين فى السويد

https://en.m.wikipedia.org/wiki/Islam_in_Sweden

There are no official statistics on the exact number of , a historian Anne Sofie RoaldSwedish converts to Islam, but , estimates the Malmö University Collegeof religions at to Islam to Church of Swedennumber of converts from the be 3,500 people since the 1960s. Roald further states that conversions are also occurring from Islam to the Church of , but also IraniansSweden, most noticeably by [[21.Pakistanis and Arabsby

لا توجد احصائيات رسمية عن عدد المتحولين الى الاسلام، لكن آن سوفى رولد، المؤرخ فى جامعة مالمو السويدية قدر عدد المتحولين من الكنيسة السويدية الى الاسلام ب٣٥٠٠ شخص منذ عام ١٩٦٠. "

يا بنتي مصدري ذَكَرَ أن هناك ٥٠٠٠ سويدى يعتنقون الإسلام حديثاً ، ومصدرك يقول إن عدد المتحوِّلين من الكنيسة السويدية إلى الإسلام بلغ٣٥٠٠ شخص منذ

عـام ١٩٦٠. " وأنـا سأسـلم – جـدلاً – أن مـصدرك هـو الـصحيح وأن عـدد المتحوِّلين من الكنيسة السويدية إلى الإسلام ٣٥٠٠ شخص ، وأنه لم يتحوَّل أحد من السويديين من خارج الكنيسة السويدية فما دلالة ذلك ؟ رغم التشويه المتعمد لصورة الإسلام والمسلمين (١) وحال المسلمين المزرية بسبب بعدهم عن هدي القرآن وصحيح السنة إلا أن نسبة المتحوِّلين إلى الإسلام تزداد في البلاد العلمانية ، ألا يعني هذا فشل العلمانية في الإجابة عن الأسئلة الوجودية الكبرى التي أجاب عنها الإسلام ؟! أو تجاهل العلمانية الإجابة عن الأسئلة الوجودية الكبرى كما تزعمين .

لقد بحثت أنا أيضاً عن وكيل وزارة العدل الفنزويلى ولم أجده ولكني وجدت العشرات غيره من المشاهير الذي اعتنقوا الإسلام ؛ فشكراً لك على المعلومة.

قالت منَّة في ردها أيضاً : " حقا لا ادرى ما هى الاهمية الكبيرة لاستعراض عدد الافراد الذين اعتنقوا الاسلام فى السنوات الاخيرة، ان كنتم مؤمنين حقا بالاسلام فازدياده او انحساره فى الغرب، لن يغير من قناعتكم شيئا، ثم ان كافة الدراسات ارجعت سبب انتشار الاسلام لامرين، الاول زيادة معدلات الانجاب والنمو السكانى المتسارع فى الدول الاسلامية مقارنة بغيرها، والثانى هو زيادة الهجرة الى اوروبا من الدول الاسلامية، لا شئ سوى ذلك، و بامكانى ان اذكر لك امثلة كثيرة عن مشاهير فى الغرب اعتنقوا اليهودية او البوذية وبالمثل يمكننى ان اذكر لك اسماء اشخاص مشهورين تركوا الاسلام وآخرهم شخص ذو رتبة كبيرة بالجيش السعودى بالاضافة الى العديد من المشاهير والاعلام، لكنى اى ان هذا النقاش غير مفيد وان كثرة عدد من هم مقتنعون بأفكارى ليس دليلا على صحتها. "

أهمية استعراض عدد الأفراد الذين اعتنقوا الإسلام رغم الحروب التي تُشَن ضده لبيان أن الإسلام ليس دين تطرف وإرهاب وتخلف كما يحلو لكثير من العلمانيين

---

(1) راجعي كتاب " الحروب الإعلامية على الإسلام والمسلمين " أحمد عبد الرحمن موسى دار زهور المعرفة والبركة .

اتهامه والسخرية منه ، وإن كان هناك كثير من المسلمين أساءوا فهم الإسلام فتطرَّفوا وتخلَّفوا ، أما الدراسات التي تتحدثين عنها فتعزي ازدياد عدد المسلمين عموماً في الغرب لأهم سببين ، لكنك لم تذكري لنا رأي هذه الدراسات في زيادة عدد غير المسلمين الذين يعتنقون الإسلام وهو موضوع نقاشنا ، إن ازدياد عدد الذين يعتنقون الإسلام في الدول الغربية العلمانية أو نقصهم لا يزيد من قناعتي شيئاً إنما هو مؤشر على أن العلمانية فشلت في أن تقنع كثيراً من أبناء الدول العلمانية بالاستغناء عن الدين كضرورة لسعادة الإنسان وانتشاله من دوائر الشك ونسبية المعتقدات والأخلاق والقيم التي يتخبَّط فيها العلمانيون .

أما أن كثيراً من مشاهير الغرب اعتنقوا اليهودية أو البوذية فنعم لكن نسبة هؤلاء إذا قيست بمن يعتنق الإسلام ضئيلة جداً ، ونسبة المتمسكين من هؤلاء بعقائد وشرائع اليهودية أو البوذية لا تكاد تذكر .

أما أن هناك أسماء شهيرة ارتدَّت عن الإسلام واعتنقت أدياناً أخرى فربما ولكن ما عددهم ؟ وما نسبتهم إلى عدد من يعتنقون الإسلام ؟ هذا هو المهم الذي تحاولين تجاهله .

وعموماً أنا لا يسعدني زيادة عدد المسلمين إنما يسعدني الصالحون منهم فكثير من المسلمين لا يعرفون عن مكارم الأخلاق شيئاً مع أن النبي ﷺ جعل الغاية من بعثته إتمام مكارم الأخلاق .

وكثير من المسلمين علمانيون وإرهابيون ومتخلِّفون وهؤلاء ليسوا من الإسلام في شيء .

وبعد أن ناقشنا ردود منَّة فيما يتعلق بانتشار الإسلام في الغرب نعود لمواصلة مناقشة آرائها ومدوناتها .

## العقل وإثبات الوحي والنبوة والرسالة

وكما ترك الله تعالى للعقل أن يهتدي إلى حقيقة وجود الله تعالى ترك له حقيقة ثبوت الوحي والنبوة والرسالة .

يقول تعالى : ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلاَّ نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَى عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [ سبأ : ٤٦ ] .

أي : اجتمعوا اثنين اثنين ، أو واحداً واحداً ، ثم تفكَّروا بإخلاص ورويَّة فترون بكل تأكيد أن محمداً ﷺ ليس به شيء من الجنون ، إنما هو أرجح الناس عقلاً ، وأصدقهم قولاً ، وأفضلهم علماً ، وأحسنهم عملاً ، وأزكاهم نفساً ، وأنقاهم قلباً ، وأجمعهم لكل كمال بشرى .

لقد وصف أهل مكة النبيَّ ﷺ وهم أعلم الناس به قبل بعثته بالصادق الأمين ، وقال ﷺ لهم قبل أن يجهر بدعوته " أَرَأَيْتَكم لو أَخْبَرْتُكم أن خيلًا بالوادي تريدُ أن تُغِيرَ عليكم أَكُنْتُم مُصَدِّقِيَّ ؟ قالوا : نعم ، ما جَرَّبْنَا عليك إلا صدقًا . قال : فإني نذيرٌ لكم بينَ يَدَيْ عذابٍ شديدٍ . فقال أبو لهبٍ : تبًّا لك سائرَ اليومِ ، أَلِهذا جَمَعْتَنَا ! " [ صحيح البخاري ] .

إن الذي دعا صناديد الكفر في مكة إلى عدم الإيمان بالرسول ﷺ في بداية الدعوة ليس الشك في صدقه وأمانته إنما العناد والحسد والكبر ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ﴾
[الأنعام:٣٣]

وجاء في سبب نزول هذا الآية الكريمة أن النبي ﷺ " صَافَحَ أبا جهلٍ فقيلَ لأبي جهلٍ : تُصافحُ هذا الصابئَ ؟ فقال : إنِّي لأعلمُ أنهُ نبيٌّ ولكن متى كنَّا تبَعًا لبني عبدِ منافٍ ؟ قال : فنزلتْ ﴿فَإِنَّهُمْ لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ﴾ .

ولقد آمن بالنبي ﷺ بعد ذلك كلُّ من كذَّبه في بداية الدعوة إلا نَفَراً يسيراً قُتِلُوا أو ماتوا قبل فتح مكة مثل : أبو جهل ، وأبو لهب ، وأم جميل ، والعاص بن وائل ، وأمية بن خلف ... ، وآمن به : عمر بن الخطاب ، وأبو سفيان وزوجته هند بنت عتبة وابنه معاوية ، وعمرو بن العاص ، وخالد بن الوليد ، وعكرمة بن أبي جهل وسائر أهل مكة ممن بقي حيّاً.

وهكذا عهد الله تعالى إلى العقل البشري أن يهتدي إلى أعظم حقيقيتين في مجال العقيدة : حقيقة وجود الله ووحدانيته ، وحقيقة ثبوت الوحي والنبوة والرسالة.

## العقل والغيب

لقد فتح الله تعالى الباب واسعاً أمام العقل ليكتشف سنن الله تعالى في خلقه ، ويسخِّر القوانين التي تسيِّر الكون في نفعه ، وأراحه من عناء البحث فيما لا مجال للعقل فيه من الغيبيات التي لا يعلمها إلا الله وحده :

﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾ [ الأنعام : ٥٩ ] .

وسدَّ الله تعالى على المؤمن باباً من أبواب الضلال الذي أفنى خلق كثير من الفلاسفة أعمارهم في الوصول إلى حقيقة من حقائقه بعيداً عن دين الله فما زادت عقولهم إلا جهلاً وما زادت قلوبهم إلا ضلالاً إنه باب علم الغيب .

﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلاَّ مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ [ الجن : ٢٦– ٢٧ ] .

حتى الأنبياء والمرسلين – فما بالك بمن دونهم – لا يعلمون من الغيب إلا ما أطلعهم الله تعالى عليه وهذا هو أعظم البشر أجمعين يقول :

﴿قُل لاَّ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاء اللّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَاْ إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [ الأعراف : ١٨٨ ] .

والغيب ما لا يدرك بالحواس ، والحواس هي منافذ العقل ولقد ضلَّ كل من بحث في الغيب بعقله من فلاسفة اليونان ومن نهج نهجهم لذا وجه القرآن الكريم المسلم إلى ما تدركه حواسه في الكون ليبحث فيه فهو مجال علمه ، وأن يؤمن بما أخبره الله تعالى به من الغيب ، والقرآن حافل بالآيات الداعية للبحث في الكون اللافتة إلى بديع صنع الله .

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللّهُ مِنَ السَّمَاء مِن مَّاء فَأَحْيَا بِهِ الأرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخِّرِ بَيْنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [ البقرة : ١٦٤ ] .

﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقاً * وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُوراً وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجاً * وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الأَرْضِ نَبَاتاً * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجاً * وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ بِسَاطاً * لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلاً فِجَاجاً﴾ [نوح:١٦ – ٢٠]
فالله تعالى يأمرنا بدراسة القمر، وهناك سورة باسمه، فهل صعدنا للقمر ودرسناه ؟ ويأمرنا أن ندرس الشمس ونستفيد من نورها وحرارتها فهل استفدنا من أشعتها وطاقتها ؟!

ويلفتنا إلى أنه سبحانه خلق الإنسان من طين الأرض ، فهل حللنا عناصر التربة وعناصر الإنسان وقارنَّا بين هذه العناصر وتلك ليزداد يقيننا بالله تعالى ؟!

هل درسنا الأرض وكيف ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ [فصّلت:١٠] وما فوقها من أحياء ﴿وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ [طه:٦] من كنوز ؟

من المؤسف أن كثيراً من المسلمين تركوا كل هذا لأعدائنا لكي يستطيلوا به علينا، وشغلوا أنفسهم بأمور غيبية نهانا رسول الله عن بالبحث فيها ، لقد اشتغل كثير من المسلمين قديماً وحديثا بقضية ذات الله تعالى وصفاته وأقحموها على أصول الدين وشغلوا الناس بها عن البحث في الكون وتدبر آيات الله فيه ، وأصبحت هذه القضية المنهي عن البحث فيها من أهم مباحث العقيدة ، ومن أهم أسباب تمزيق المسلمين شيعاً وأحزاباً وكان الأولى السكوت عنها فلقد نهانا النبي ﷺ عن التكلم فيها بل عن نهانا عن مجرد التفكير فيها ، وسكت الصحابة عنها فلم يؤثر عن الصحابة ولا عن التابعين لهم بإحسان فيها شيء .

نهى النبي ﷺ عن التفكر في ذات الله تعالى، وأمر بالتفكر في آياته، كما في معجم الطبراني عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ : تفكروا في آلاء الله ولا تتفكروا في الله .[رواه الطبراني وحسنه الألباني ] .

إن عدم تدبر القرآن الذي دعا في عشرات الآيات إلى البحث في الكون واكتشاف السنن الكونية فيه وإخضاعها لمنفعة الناس ، وعدم اتباع سنة النبي ﷺ الذي جعل العلماء المؤمنين ، في كافة مجالات العلوم والمعرفة ، ورثة الأنبياء – جعل بعض المسلمين مثلك يا ابنتي يظن أن الإسلام سبب تخلف المسلمين لا أنَّ عدم التمسك بالإسلام هو السبب .

***

# هل الشريعة الإسلامية غير مفهومة ؟ وغير مناسبة للعصر ؟

## هل الشريعة الإسلامية غير مفهومة ؟ وغير مناسبة للعصر ؟

نشرتِ يا بنتي يوم ٤/ ١٢ / ٢٠١٦ " لا يضحكني شيء أكثر من مقولة يرددها الملايين " احنا لو فهمنا الدين صح وطبقناه صح حياتنا هتبقى جميلة خالص" ... الذي لا نستطيع فهمه صح خلال ١٤٠٠ سنة يبقى حاجة غير قابلة للفهم ، والذي لا نستطيع تطبيقه صح خلال ١٤٠٠ سنة يبقى حاجة غير قابلة للتطبيق ... حاجة مش عايزة ذكاوة ... مشكلة أغلب المتدينين إنهم مش عايزين يفهموا إن الدين مجرد شعور بالإيمان بخالق الكون ومصدقين كلام المشايخ والكهنة إن الدين نظام سياسي واقتصادي واجتماعي عشان كدة بقالهم ١٤٠٠ أو ٢٠٠٠ سنة بيحاولوا يدخلوا الفيل من خرم الباب وبيفشلوا ، ولسة بيحاولوا .. ومضيعين عمر شعوبنا في هذه المحاولة الخرقاء لحد ما القطر سابنا وبقينا حثالة الأمم. "

وقد أجبنا بحمد الله عن قولك " إن الدين مجرد شعور بالإيمان بخالق الكون " ،

والآن نحاول أن نجيب عن قولك : " الذي لا نستطيع فهمه صح خلال ١٤٠٠ سنة يبقى حاجة غير قابلة للفهم " .

### معنى الشريعة

الشريعة هي النظام الذي ينبثق عن العقيدة ، ويجعلها صورة واقعية متمثلة في حياة البشر فتبين كيفية عمل المُكَلَّف في العبادات والمعاملات والأخلاق وسائر شئون حياته .

لقد بعث الله تعالى رسوله محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق ، لينشره في العالمين .

﴿ هُوَ الذي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بالهدى وَدِينِ الحق لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدين كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ المشركون ﴾ [ الفتح : ٢٨ ] .

والمراد بالهدى : القرآن الكريم المشتمل على الإرشادات السامية ، والتوجيهات القويمة ، والأخبار الصادقة ، والتشريعات الحكيمة .

ومحتويات القرآن الكريم لا تتجلَّى في : التوحيد ومتعلقات النبوة ، وقصص الأنبياء والأمم السابقة والوعد والوعيد فحسب إنما اشتملت على الشرائع التي تُمَكِّن المُكَلَّف من أن يعرف كيف يعبد ربه ويعمر كونه ويزكي نفسه .

﴿مَّا فَرَّطْنَا في الكتاب مِن شيء﴾ [ الأنعام : ٣٨ ] .

أي : ما قصرَّنا في القرآن الكريم من شيء يحتاج إليه المُكَلَّف من أمر الدين مفصلاً أو مجملاً .

وقوله تعالى : ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الكتاب تِبْيَاناً لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ [ النحل : ٨٩ ] .

يقول ابن مسعود: إن القرآن اشتمل على كل علم نافع من خبر ما سبق ، وعلم ما سيأتي ، وحكم كل حلال وحرام، وما الناس إليه محتاجون في أمر دنياهم ودينهم، ومعاشهم ومعادهم.

والقرآن الكريم هو المصدر التشريعي الوحيد في الشريعة الإسلامية يقول سبحانه: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ﴾ [ الأنعام:٥٧ ] .

فالله تعالى هو المشرع الحقيقي ولا مشرع غيره ، ولقد أجمع المسلمون على اختلاف نزعاتهم وآرائهم ومذاهبهم على أن القرآن الكريم هو المصدر الأول من مصادر الشريعة، بل هو المصدر الوحيد فيها، وما عداه من المصادر المعتبرة إنما هو تابع للقرآن أو فرع عنه، لثبوت حجيته بالقرآن نفسه، وعلى ذلك يكون القرآن هو المصدر الأصلي لهذه الشريعة، وما عداه من المصادر المتفق عليها والمختلف فيها إنما هي مصادر تبعية ، لأنها في ثبوت حجيتها محتاجة للقرآن الكريم ومتوقفة عليه .

## العقل والتشريع

أما في مجال التشريع فقد ترك الحق تبارك وتعالى للعقل أن يصول ويجول في فهم النصوص فيفرع منها على الأصول وقيس على الفروع ويستنبط الأحكام ،

ويكيف الوقائع ، ويراعي القواعد في جلب المصالح ، ودرء المفاسد ، ورفع الحرج، وتحقيق اليسر ، وتقدير الضرورات بقدرها، واعتبار العرف، ورعاية ظروف الزمان والمكان . ولا عجب بعد ذلك أن تعددت المذاهب ، وتنوعت الأقوال ، وخلف لنا العقل الإسلامي في ضوء الوحي ثروة فقهية طائلة لها مكانها الرفيع في تراث الفقه العالمي .

## أنواع أحكام القرآن الكريم

أنواع الأحكام التي جاء بها القرآن الكريم ثلاثة :

**الأول** : أحكام اعتقادية : تتعلق بما يجب على المكلف اعتقاده في الله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر. وقد سبق الحديث عنها في الفصل السابق .

**والثاني** : أحكام خلقية : تتعلق بما يجب على المُكَلَّف أن يتحلَّى به من الفضائل وأن يتخلَّى عنه من الرذائل .

**والثالث** : أحكام عملية، تتعلق بما يصدر عن المكلف من أقوال وأفعال وعقود وتصرفات. وهذا النوع الثالث هو فقه القرآن، وهو المقصود الوصول إليه بعلم أصول الفقه .

والأحكام العمليَّة في القرآن تنتظم نوعين :

١- أحكام العبادات من صلاة وصوم وزكاة وحج ونذر ويمين ونحوها من العبادات التي يقصد بها تنظيم علاقة الإنسان بربه .

٢- أحكام المعاملات من عقود وتصرفات وعقوبات وجنايات وغيرها مما عدا العبادات، وما يقصد بها تنظيم علاقة المُكَلَّفين بعضهم ببعض، وسواء أكانوا أفراداً أم أُمماً أم جماعات . (١)

---

(١) عبد الوهاب خلاف " علم أصول الفقه " مكتبة الدعوة الإسلامية ص ٣٢

## القرآن الكريم قطعي الثبوت

القرآن الكريم حُجَّة على الناس وأن أحكامه قانون واجب عليهم اتِّباعه لأنه من عند الله وأنه نقل إليهم عن الله بطريق قطعي الثبوت لا ريب في صحته ؛ فمن المتواتر أن رسول الله ﷺ كان إذا نزلت عليه آية دعا بالكاتب فأثبتها وكانوا يكتبونها في العسب والحجارة وعظام الكتف ، ولقد تمَّت كتابة القرآن كله في عهد الرسول ﷺ ، ثم جَمَع القرآن بعده في المصحف أبو بكر ، ثم نسخ من ذلك عثمان بن عفان وبقية الصحابة وكل ذلك لحفظ القرآن لئلا يشذ منه شيء . ولقد أسند الخلفاء الراشدون جَمْعَ القرآن إلى زيد بن ثابت كاتب الوحي بين يدي رسول الله ﷺ وهو الذي شهد العرضة الأخيرة وكان من حفظة القرآن وأعلم الصحابة فقام بهذه المهمة خير قيام فهو أحد الذين جمعوا القرآن بجميع أحرفه المنزلة على عهد رسول الله ﷺ فقد روى البخاري عن أنس، قال: " مَاتَ النَّبِيُّ ﷺ وَلَمْ يَجْمَعْ الْقُرْآنَ غَيْرُ أَرْبَعَةٍ أَبُو الدَّرْدَاءِ وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ وَأَبُو زَيْدٍ قَالَ وَنَحْنُ وَرِثْنَاهُ " وكلفه أبو بكر وعمر بجمع القرآن الجمعة الأولى في عهد أبي بكر ، ثم عيّنه عثمان رئيساً للجنة التي تولَّت جمع القرآن الجمعة الثانية في عهد عثمان في مصحف أبى بكر وفي مصحف عثمان ، والحقيقة لو لم يلهم الله تعالى هؤلاء الصحابة الكرام بجمع القرآن العظيم بكتابته في الصحف لذهب بموت حفاظه وانقراض الصحابة .

يقول الله تعالى : ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فاتبع قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة: ١٧-١٩] .

ولقد تكفَّل الله تعالى بحفظه بعكس الكتب السماوية الأخرى التي عهد إلى أتباعها حفظها فحرَّفوها .

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩] .

وفي كل وقت تكفَّل تعالى بحفظ القرآن الكريم ، فلا يعتريه زيادة ولا نقصان ، ولا تحريف ولا تبديل ، بخلاف غيره من الكتب المتقدمة ، فإنه تعالى لم يتكفَّل

حفظها بل قال تعالى : إن الربانيين والأحبار استحفظوا ولذلك وقع فيها الاختلاف.(١)

﴿فاحكم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ الله وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ الحق﴾ أمر من الله تعالى لنبيه ﷺ بأن يلتزم في حكمه بين الناس الأحكام التي أنزلها سبحانه .

## قطعي الدلالة وظني الدلالة في القرآن الكريم

نصوص القرآن من جهة دلالتها على ما تضمنته من الأحكام فتنقسم إلى قسمين :

نص قطعي الدلالة على حكمه، ونص ظنِّي الدلالة على حكمه .

**فالنص القطعي الدلالة** هو ما دلَّ على معنى متعين فهمه منه ولا يحتمل تأويلاً ولا مجالاً لفهم معنى غيره منه، مثل قوله تعالى ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [النور:٥٦] ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامَ﴾ [البقرة:١٨٣] فإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وطاعة الرسول أمور قطعية الدلالة .

وأما النص الظنِّي الدلالة : فهو ما دلَّ على معني ولكن يحتمل أن يؤول ويصرف عن هذا المعنى ويراد منه معني غيره وهذا النوع فيه رحمة وسعة للمسلمين إذ لو كان قطعي الدلالة لوجب تنفيذه بحرفه مثل قوله تعالى : ﴿وامسحوا بِرُؤُوسِكُمْ﴾ فالباءُ يمكن أن تكون مزيدة مما يعني وجوب مسح كل الرأس ، ويمكن أن تكون للتبعيض مما يعني وجوب مس جزء من الرأس وليس كلها ، وقيل معناها الإلصاق فكأنه قيل : وألصِقوا المسحَ برؤوسِكم ، وذلك لا يقتضي الاستيعابَ كما يقتضيه ما لو قيل : وامسحُوا رؤوسَكم . وكل ذلك سعة ورحمة .

---

(١) أبو حيان " تفسير البحر المحيط " ج ٧ ص ١٨٤

ومثل قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ [ المائدة: ٣] ، فلفظ الميتة عام والنص يحتمل الدلالة على تحريم كل ميتة ويحتمل أن يخصص التحريم بما عدا ميتة البحر، فالنص الذي فيه نص مشترك أو لفظ عام أو لفظ مطلق أو نحو هذا يكون ظنِّي الدلالة، لأنه يدل على معنى ويحتمل الدلالة على غيره . (١)

## نبي الرحمة والأسوة الحسنة

والمنهج الإلهي يحتاج إلى مُعَلِّم ومُرَبٍّ يتحمَّل ثقله ويبلغه للناس ويعلمه ويقوم على تطبيقه عمليّاً وفق مراد الله تعالى ويكون أسوة حسنة للناس ، ويا لها من مهام ثِقَال ثِقَال : حَمْل آخر رسالات السماء وأَتَمَّها وتبليغها ، وتزكية النفوس من الدنس وإخراج الناس من الظلمات إلى النور لذا اختار الله تعالى أشرف خلقه محمد ﷺ للقيام بهذه المهام الجُسام .

لقد اختار الله تعالى الرحمن الرحيم محمداً ﷺ رسول الرحمة ليبلغ رسالة الرحمة للعالمين .

﴿وَمَا أرسلناك إلاَّ رَحْمَةً للعالمين﴾ [ الأنبياء : ١٠٧ ]

ومنهج الدين يحتاج إلى من يطبقه عمليّاً وليس فقط يدعو إليه نظريّاً ، ولذلك كان رسول الله ﷺ لا يأمر أصحابه بأمر إلا كان أسبقهم إليه فكان المسلمون يأخذون عنه القدوة قولاً وعملاً .

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ الله أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [ الأحزاب : ٢١] .

فيُقْتَدَى به في جميع أفعاله ويُتَعَزَّى به في جميع أحواله .

## حكم أفعال النبي ﷺ في أصول الفقه

يقول ابن حجر : " ما يفعله ﷺ إن كان بياناً لمجمل ( القرآن) فحكمه حكم ذلك المجمل وجوباً أو ندباً أو إباحة فان ظهر وجه القربة فللندب وما لم يظهر فيه

(١) عبد الوهاب خلاف " علم أصول الفقه " مكتبة الدعوة الإسلامية ص ٣٥

وجه التقرب فللإباحة وإما تقريره على ما يفعل بحضرته فيدل على الجواز والمسألة مبسوطة في أصول الفقه ويتعلق بها تعارض قوله وفعله" (١)

وليس كل ما فعله النبي ﷺ فريضة وليس كل ما لم يفعله بدعة ضالة ويقسم علماء أصول الفقه أفعال النبي إلى ثلاثة أقسام :

أولها : أفعال النبي ﷺ التي تكون بياناً للشريعة وهي قسمان : أفعال هي بيان لمجملها ، وأفعال فعلها يدل على إباحتها وكلا القسمين يفيد العموم في أحكامه فلا يختص بالنبي ﷺ .

ثانياً : أفعاله ﷺ التي قام الدليل على أنها خاصة به ومن ذلك التزوج بأكثر من أربع زوجات .

ثالثاً : ما صدر عنه ﷺ بمقتضى طبيعته الإنسانية : من قيام وقعود ومشي ونوم وأكل وشرب فليس تشريعاً لأن هذا ليس مصدره رسالته ولكن مصدره إنسانيته . وما صدر عنه بمقتضى الخبرة الإنسانية والحذق والتجارب في الشئون الدنيوية من تجارة أو زراعة أو تنظيم للجيش أو تدبير حربي أو وصف دواء لمرض أو أمثال هذا فليس تشريعاً أيضاً لأنه ليس صادراً عن رسالته إنما صادر عن خبرته الدنيوية وتقديره الشخصي . (٢)

## الاجتهـاد في الإسلام

والأنبياء اجتهدوا واختلفت اجتهاداتهم ولم يُذّم أحدهم باجتهاد اجتهاده .

والنبي ﷺ اجتهد واستخدم القياس فقد " ثبت في صحيح السنة أن رسول الله ﷺ في كثير من الوقائع التي عرضت عليه ولم يوحَ إليه بحكمها استدل على حكمها بطريق القياس ،وفعل الرسول في هذا الأمر تشريع لأمته ، ولم يقم دليل على اختصاصه به فالقياس فيما لا نص فيه من سنن الرسول ،وللمسلمين به أسوة "(٣)

(٣) ابن حجر العسقلاني " فتح الباري شرح صحيح البخاري " ج ١٣ ص ٢٧٤
(٢) عبد الوهاب خلاف " علم أصول الفقه " ص ٤٢
(٣) نفسه ص ٥٧ .

فالاجتهاد فيما لا نص فيه سنة متبعة عن الأنبياء والمرسلين ولا ينكره إلا مُتَحَجِّر العقل جامد الفكر متنطع .

إن إغلاق باب الاجتهاد ومحاربة العقل والتفكير والتشنيع على العقلاء والمبدعين هو سبب انتكاس هذه الأمة وما عزَّت أمة وقوى سلطانها إلا بعدما تحرر أبناؤها من عبادة القدماء ، وتحررت عقولهم من عِقال التقليد ، ما عزَّت أمة ولا قوى سلطانها إلا بعد أن أعطت الفرصة لأبنائها المفكرين المبدعين بأن يقودوا ووقفت وراءهم تحثهم وتشجعهم ، هؤلاء المبدعون الذين أعملوا عقولهم واقتحموا غمار المشاكل وحاولوا إيجاد حلول جديدة واستفادوا ممن سبقهم في ميادين العلم والتكنولوجيا هؤلاء المفكرون الباحثون عن الجديد الراغبون في التجديد والتجريب.

## الخصائص العامة للشريعة الإسلامية

إن شريعتنا الإسلامية لها سمات عامة تجعلها صالحة لكل زمان ومكان ، صالحة لحل مشاكل الحياة العصيبة ، وتنظيم العلاقات بين البشر على اختلاف ألسنتهم وألوانهم وبيئاتهم وعصورهم تنظيماً يوفر العدالة بينهم ، وهذا ما نفتقر إليه اليوم في عصرنا الحاضر ، يؤمن لهم مصالحهم على أحسن وجه، مما يجعل الحياة سعيدة مادام الجميع محتكمين إليها .

للشريعة الإسلامية خصائص عامة تميزها عن غيرها من الشرائع، لأنها شريعة الله الخاتمة لكل الشرائع والأديان الباقية ما دامت السموات والأرض ومن هذه الخصائص أهم خصائصها :

### أولاً : ربانية المصدر والمنهج

إن المنهج الذي رسمه الإسلام للوصول إلى غاياته وأهدافه منهج رباني خالص؛ لأن مصدره وحي الله تعالى إلى خاتم رسله محمد ﷺ .

وقال تعالى: ﴿ياأيها الناس قَدْ جَآءَتْكُمْ مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِي الصدور وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [ يوسف: ٥٧] .

وربانية المصدر أكسبت الشريعة الإسلامية العصمة من التناقض والتطرف ، والبعد عن التحيز والهوى، وحررت الإنسان من عبوديته لبشر مثله أو مخلوق شبهه .

إن الأحكام الشرعية التي تحكم سلوك الناس وتعاملهم مربوطة بوازع الإيمان بالله واليوم الآخر فللشريعة الإسلامية كغيرها من الشرائع الوضعية لها جهاز بشري يتولى المراقبة والمعاقبة على المخالفة لأحكامها، وتمتاز الشريعة الإسلامية برقابة عليا وهي مراقبة العلي الخبير الذي يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

**ثانياً : إنسانية**

الله تعالى غني عن العالمين لا تنفعه طاعة الطائعين كما لا تضره معصية العاصين .

﴿وَقَالَ موسى إِن تكفروا أَنتُمْ وَمَن فِي الأرض جَمِيعاً فَإِنَّ الله لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٨]

وعقائد الإسلام وأحكامه وأهدافه إنما جاءت لإسعاد الإنسان في الدنيا والعناية به وبحقوقه، بطرق مباشرة تظهر لعامة الناس، وغير مباشرة يدركها العارفون منهم.

فشريعة الإسلام : العبادات ، والمعاملات ، والأخلاق تعود كلها بالنفع على الإنسان في الدنيا والآخرة فلا يضل الإنسان بها ولا يشقي بل يسعد في الدارين .

﴿فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى﴾ [طه: ١٢٣] .

**ثالثاً : اليسر ورفع الحرج**

دين الله يسر لا مشقة فيه، فلا يطلب الله مِن عباده ما لا يطيقونه .

﴿لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلا وُسْعَهَا﴾ [ البقرة : ٢٨٦] .

وكقوله تعالى ﴿لا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلا وُسْعَهَا﴾ [الأنعام : ١٥٢]

فالله تعالى لم يكلفنا حسب طاقتنا بل خفف عنا فكلفنا حسب وسعنا والوسع ما تسعه قدرة الإنسان أو ما يسهل عليه من المقدور وهو ما دون مدى طاقته أي سنته تعالى أنه لا يكلف نفساً من النفوس إلا ما تطيق وإلا ما هو دون ذلك كما في سائر ما كلفنا به من الصلاة والصيام مثلاً فإنه كلفنا خمس صلوات والطاقة تسع ستاً وزيادة . وكلفنا صوم رمضان والطاقة تسع شعبان معه وفعل ذلك فضلاً منه ورحمة بالعباد أو كرامة ومِنَّه على هذه الأمة خاصة . (١)

وحتى ما فرضه الله تعالى على الإنسان ، وهو سهل ميسور ، إن عجز الإنسان عن فعله أو أوقعه فعله له في حرج ، لعذر شرعي مؤقت أو دائم ، أعفاه الله منه وتجاوز عن تقصيره فيه .

يقول تعالى : ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكمْ فِى الدين مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج : ٧٨ ] .

أي : ومن مظاهر رحمته بكم – أيها المؤمنون – أنه سبحانه لم يشرع في هذا الدين الذي تدينون به ما فيه مشقة بكم ، أو ضيق عليكم : وإنما جعل أمر هذا الدين، مبنى على اليسر والتخفيف ورفع الحرج ، ومن قواعده التي تدل على ذلك: أن الضرر يزال . وأن المشقة تجلب التيسير : وأن اليقين لا يرفع بالشك ، وأن الأمور تتبع مقاصدها ، وأن التوبة الصادقة النصوح تجب ما قبلها من ذنوب .

ومن الآيات التي تدل على أن هذا الدين مبنى على التيسير ورفع الحرج قوله تعالى : ﴿لاَ يُكَلِّفُ الله نَفْساً إِلاَّ وُسْعَهَا﴾ وقوله سبحانه : ﴿يُرِيدُ الله بِكُمُ اليسر وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ العسر﴾ وفى الحديث الشريف : " بُعِثْتُ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ " .

قال بعض العلماء : وأنت خبير بأن هناك فرقاً كبيراً ، بين المشقة في الأحكام الشرعية ، وبين الحرج والعسر فيها ، فإن الأولى حاصلة وقلما يخلو منها تكليف شرعي ، إذ التكليف هو التزام ما فيه كلفة ومشقة ، أما المشقة الزائدة عن الحد التي تصل إلى حد الحرج ، فهي المرفوعة عن المكلفين .

---

(١) تفسير الألوسي " روح المعاني " ج ٢ ص ٤٠٤

فقد فرض الله الصلاة على المكلف ، وأوجب عليه أداءها ، وهذا شيء لا حرج فيه . ثم هو إذا لم يستطع الصلاة من قيام ، فله أن يؤديها وهو قاعد أو بالإيماء وهكذا جميع التكاليف الشرعية .

والخلاصة : أن هذا الدين الذي جاءنا به محمد ﷺ من عند ربه عزَّ وجل مبنى على التخفيف والتيسير ، لا على الضيق والحرج ، والذين يجدون فيه ضيقاً وحرجاً، هم الناكبون عن هديه ، الخارجون على تعاليمه .

**رابعاً : جمع الشريعة بين الثبات والمرونة في أحكامها**

الأحكام الشرعية نوعان : أحكام ثابتة ، وأحاكم متغيرة . الأحكام الثابتة هي : المعلومة من الدين بالضرورة التي أجمع عليها المسلمون قديماً وحديثاً ، وهي قطعية الثبوت قطعية الدلالة ، أما الأحكام المتغيرة فهي : الأحكام قطعية الثبوت ظنية الدلالة أو ظنية الثبوت والدلالة فهي مجال الاجتهاد من أهل للاجتهاد لذا تتغير بحسب اقتضاء المصلحة زماناً ومكاناً وحالاً .

وبهذه الخاصية تستوعب الشريعة الإسلامية كل ما جدَّ من وقائع وما تبدَّل من عرف وعادة صالحين فلا يستطيع أحد أن يصفها بالجمود .

**خامساً : الشمول**

لقد كان لكل نبي شرعة ومنهاج وشاءت حكمة الله تعالى أن تكون شريعة الإسلام التي جاء بها خير الأنام لكل البشر على اختلاف أجناسهم وألوانهم وأزمنتهم وأمكنتهم ولغاتهم ؛ فقد وحدت وسائل الاتصال العالم كله وجعلته قرية صغيرة يجمع أهلها خصائص واحدة ، لذلك جعل الله الشريعة الخاتمة ليست قاصرة على قوم بعينهم إنما شاملة لجميع البشر .

ومن مظاهر الشمول التي تميز بها دين الإسلام:

أ- أنه شامل لكل الناس : العربي والأعجمي ، والذكر والأنثى ، والحاكم والمحكوم ، والغني والفقير ، والقوي والضعيف ...

يقول تعالى : ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾

[الأعراف: ١٥٨]

ويقول عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾ [ سبأ: ٢٨] .

ب- شمول شريعة الإسلام لجميع مراحل حياة الإنسان وجميع نواحيها .

فالإسلام وضع نظاماً لحياة الإنسان وهو في بطن أمه حملاً، ثم عندما يكون طفلاً، فبين الذي له من حقوق الحضانة والرضاعة والرعاية، ثم لما يبلغ ويتزوج، ثم عندما يكون أباً أو أماً، ثم لما يكون شيخاً كبيراً، فشريعة الإسلام ترعى الإنسان وتدير شئونه من قبل ولادته حتى وفاته وبعد وفاته وتنظم حياته كلها في نفسه وعلاقاته مع غيره، في بيته وفي عمله وفي كل أحواله .

﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [ الأنعام :١٦٢] .

والحياة هبة الله ، وإياك أن تصرف قدرة الحياة ومظاهر الحياة في غير ما يرضي الله . فينبغي أن تكون جميع مراحل حياتك لله لا لشهوتك ، ومماتك لله لا لورثتك .

ج- تشمل كل العصور والأزمنة من يوم مبعثه عليه الصلاة والسلام إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، فهي خالدة لا يلحقها تبديل ولا تغيير قال تعالى :﴿لا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [ يونس :٦٤] وقال أيضاً : ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [ الرعد: ٤١] .

فهي إذا تتماشى مع الواقع البشري المتغير عبر الأزمنة والأمكنة ومسايرة لواقعهم لجمعها بين ثبات الحكم الشرعي وتغير فتوى العلماء المجتهدين حسب الزمان والمكان والحال .

**سادساً : الوسطية**

دين الإسلام دين وسط لا غلوٌّ فيه ولا تقصير، ولا إفراط فيه ولا تفريط ، والإسلام وسط في الاعتقاد والتصور ، ووسط في التعبد والتنسُّك ، ووسط في الأخلاق والآداب ، ووسط في التشريع والنظام .

فالإسلام وسط في الاعتقاد والتصور بين الملاحدة الذين لا يؤمنون بإله قط ، وبين الذين يعددون الآلهة حتى عبدة الأوثان والأحجار .

فالإسلام يدعو للإيمان بإله واحد لا شريك له لم يلد ولم يولد ، ولا مماثل ولا مشابه فليس كمثله شيء سبحانه وتعالى .

﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾

[ سورة الإخلاص ]

﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [النمل : ٦٤ ] .

والإسلام وسط بين العبادات والشعائر بين الأديان والنحل التي ألغت جانب العبادات الربانية من فلسفتها وواجباتها كالبوذية ، وبين الأديان التي طلبت من أتباعها التفرغ للعبادة والانقطاع عن الحياة والإنتاج كالرهبانية المسيحية .

﴿وَرَهْبَانِيَّةً ابتدعوها مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ﴾ [الحديد : ٢٧] .

والإسلام وسط في فهم طبيعة الإنسان فالإنسان في نظر الإسلام ليس روحاً فقط كما فهم غلاة المثالية ودعاة الرهبانية ، وليس عقلاً فقط كما فهم الفلاسفة الماديون الملاحدة ، وليس جسداً فقط كما فهم الإباحيون عبيد غرائز الجسد .

ولكن الإنسان روح وجسد وعقل وقلب .

﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [ الروم : ٣٠ ] .

" كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ "

[ متفق عليه ]

والفطرة هي التوازن بين عناصر الإنسان المختلفة في أمثل صورة لها توازن بين الجسد والروح أو بين المادية والرهبنة ، وتوازن بين العقل والقلب أو بين العلمانية والصوفية .

والإسلام وسط في الشريعة بين اليهودية التي أسرفت في التحريم مما حرموه على أنفسهم أو حرمهم الله عليهم جزاء ظلمهم ، وبين المسيحية التي أسرفت في الإباحة حتى أحلت ما نصت التوراة على تحريمه مع أن الإنجيل يعلن أن المسيح لم يجئ لينقض ناموس التوراة .

والإسلام قد أحلَّ وحرَّم ، ولكنه لم يجعل التحليل والتحريم من حق بشر بل من حق الله وحده ، ولم يحرِّم إلا الخبيث الضار ، كما لم يحلَّ إلا الطيب النافع ولهذا كان من أوصاف الرسول عند أهل الكتاب أنه :

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧] .

والتشريع الإسلامي وسط في شئون الأسرة بين ، كما هو وسط في شئونه كلها ، وسط بين الذين شرَّعوا تعدد الزوجات بغير عدد ولا قيد وبين الذين رفضوه وأنكروه.

وهو وسط في الطلاق بين الذين حرَّموا الطلاق لأي سبب ولو استحالت الحياة الزوجية إلى جحيم لا يطاق كالكاثوليكية ، وبين الذين أرخوا العنان في أمر الطلاق فلم يقيدوه بقيد أو شرط .

والإسلام وسط في تشريعه ونظامه الاجتماعي بين " الليبراليين " الذين يدللون الفرد على حساب المجتمع بكثرة ما يعطى له من حقوق يطالب بها ، وقلة ما

يفرض عليه من واجبات يسأل عنه ، وبين الماركسيين الذين يضخمون دور المجتمع بالضغط على الفرد والتقليل من حقوقه والحجر على حريته .

لقد أعطى الإسلام للفرد حقوق وحريات كثيرة فحفظ للفرد حق الحياة ، وحق الكرامة ، وحق التملك ، وحق الاستقلال الشخصي ، وحق النقد والمعارضة ، وحرية الرأي والفكر .. ومع هذه الحقوق والحريات التي منحها الإسلام للفرد فقد فرض عليه للمجتمع واجبات تكافئها ، وقيد هذه الحقوق والحريات الفردية بأن تكون في حدود مصلحة الجماعة وألا يكون فيها ضرر للغير ، وليس للفرد أن يستخدم حقه فيما يؤذي الجماعة ويضرها إذ " لا ضَرَرَ وَلا ضِرَارَ " في الإسلام أي لا يضر الإنسان نفسه ولا يضر غيره .

" إِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَلِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَلِضَيْفِكَ عَلَيْكَ حَقًّا وَإِنَّ لأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا فَأَعْطِ كُلَّ ذِى حَقٍّ حَقَّهُ " .

إن من أهم صفاتها ومميزاتها أنها شريعة عادلة لا تميل للحاكم على حساب المحكوم، ولا تميز بين قوي أو ضعيف، بل وتحرم الظلم أيضًا وتحاسب عليه في الدنيا والآخرة، بخلاف القوانين الوضعية، والتي لا بد وأن يكون فيها ظلم وجور وتمييز لمجموعة على حساب الأخرى.

**سابعاً : الواقعيَّة**

المراد بالواقعية في شريعة الإسلام: أنها تراعي مكونات الإنسان التي فطره الله تعالى بها : الروح والقلب والعقل والجسد والنفس . كما تراعي طبيعة الكون والبيئة التي يعيش الإنسان فيها فشرائع الإسلام ملائمة لفطرة الإنسان وواقعه وحياته، كما هي مناسبة لطبيعة الكون الذي يعيش فيه ويؤثر فيه ويتأثر به ؛ ولهذا فهي الشريعة القادرة على إسعاد البشرية كلها وتعمير الكون .

فالله تعالى كما خلق الإنسان متوازناً ، والكون متوازناً فإن دينه الذي ارتضاه للناس متوازن كذلك ويعمل على حفظ توازن الإنسان والكون .

لقد أرسل الله تعالى الأنبياء والرسل بالكتب المقدسة تلك الكتب المتوازنة مع كيان الإنسان كله والتي تجعل نظرته لحقوق الله وحقوق خلقه متوازنة وبهذا يقام ميزان العدل .

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [ الحديد : ٢٥ ]

وتدبر معي هذه الآيات العجيبة التي جمع الله تعالى فيها بين تعليم القرآن ، وخلق الإنسان ، وخلق الكون، وأمره تعالى الإنسان بالتزام الميزان في كل ذلك وتحذيره تعالى من عدم مراعاة الميزان في فهم القرآن والإنسان والكون .

يقول تعالى : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الإِنسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ وَالسَّمَاء رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلاَ تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾ [ الرحمن : ١- ٩ ] .

فشريعة الله تعالى التي أنزلها في كتابه العزيز ﴿الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ﴾ هي الميزان الإلهي لفهم الإنسان والكون ﴿ووضع الميزان﴾ وحذر الله تعالى من عدم تطبيق شرعه فيختل توازن الإنسان والكون ﴿ألا تطغوا في الميزان﴾ وأمر الله تعالى الإنسان بإقامة شرعة وتطبيقه بالعدل بين الإنسان وخالقه ، وبين الإنسان وأخيه الإنسان ، وبين الإنسان وعناصر الكون ﴿وأقيموا الوزن بالقسط﴾ ثم يعود الله تعالى فيحذر الإنسان من الإخلال بشرعه أو استبدال غيره به مما يترتب عليه سخط الله تعالى ، وفساد الكون ، وتعاسة الإنسان ﴿ولا تخسروا الميزان﴾ .

## ثامناً : الوضوح والسهولة

ومن وضوح هذه الشريعة: أن جميع عباداتها سواء البدنية أم المالية كلها معلومة وواضحة؛ فالصلوات خمس في اليوم والليلة والصيام هو شهر واحد في رمضان، والزكاة معلومة مقاديرها وأنصبتها، والحج معلومة أركانه وشروطه وواجباته، يعرفها كل من تعلمها ولا تعجز العقول عن فهمها.

وأخيراً فإن من وضوح هذا الدين: أن قراءة دستور هذه الأمة ومصدر تشريعها وهو القرآن الكريم وحفظه وفهمه ميسر سهل لكل راغب، قال عز وجل: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ﴾ [ القمر: ٤٠ ] .

وسنة النبي ﷺ محفوظة بالإسناد، وسيرته مضبوطة مُحرَّرة. ومن هذه المصادر يؤخذ الإسلام، وإليها يرجع عند الاختلاف. وهذا كله مما لم يتوافر لدين من الأديان.

وبهذه الخصائص يتأكد لدى الجميع صلاحية الشريعة الإسلامية لكل زمان ومكان، وخلوها من النقائص والعيوب الموجودة في الشرائع الوضعية، وبالتالي أحقيتها في حكم البشر وسيادتهم .

* * *

# هل الإسلام مجرد شعائر تعبدية أم منهج حياة ؟

## هل الإسلام مجرد شعائر تعبدية أم منهج حياة ؟

والآن جاء الوقت للرد على قولكِ يا بنتي "ومصدقين كلام المشايخ والكهنة إن الدين نظام سياسي واقتصادي واجتماعي عشان كدة بقالهم ١٤٠٠ أو ٢٠٠٠ سنة بيحاولوا يدخلوا الفيل من خرم الباب وبيفشلوا ، ولسة بيحاولوا .. ومضيعين عمر شعوبنا في هذه المحاولة الخرقاء لحد ما القطر سابنا وبقينا حثالة الأمم. "

### السياسة الشرعية

وأنا ألتمس لك بعض العذر يا بنتي فيما قلت فكثير من الوعاظ يجهل السياسة الشرعية ويفتي الناس بحسب ظاهر بعض النصوص دون فقه حقيقي لهذه النصوص ، ودون فقه حقيقي لواقع الناس ومعاشهم فإذا رأى ولي الأمر أن من حسن السياسة إنشاء أحزاب سياسية تتنافس في خدمة الناس ، والناس تختار من برامج هذه الأحزاب ورموزها من يمثلهم في المجالس النيابية ، وهي وسيلة حديثة لاختيار الأفضل لتولي السلطات التشريعية والتنفيذية فيخرج علينا بعض الوعاظ ليقولوا هذا مخالف للشرع فليس في شرع الله إلا حزبان : حزب الله ، وحزب الشيطان !! وعليه فلا ينبغي ألا يكون هناك إلا حزب واحد هو حزب الله أما سائر الأحزاب والتيارات الأخرى فهي أحزاب للشيطان يجب القضاء عليها لا منافستها . كما أن هذا النظام نظام غربي جاء من بلاد الكفر والإلحاد فكيف تطبقه البلاد الإسلامية!!

إنهم لا يقرون اختيار الحكام بطريق الديمقراطية ورضا الناس ولا يرون بأساً في توريث الحكم وفرض الحاكم بالقوة على الناس .

إن جهل كثير من الوعاظ بالسياسة الشرعية لم تضر بالمسلمين فقط إنما صدت عن دين الله وألصقت التهم الباطلة بالشرع الإلهي الحكيم .

ويورد ابن القيم حواراً يلقِّن فيه أبو الوفاء ابن عقيل [١] عالماً شافعيّاً مقلِّداً درساً عظيماً في السياسة الشرعية .

قال ابن عقيل : في الفنون جرى في جواز العمل في السلطنة بالسياسة الشرعية أنه هو الحزم ولا يخلو من القول به إمام .

فقال شافعي : لا سياسة إلا ما وافق الشرع .

فقال ابن عقيل السياسة ما كان فعلاً يكون معه الناس أقرب إلى الصلاح وأبعد عن الفساد وإن لم يضعه الرسول ﷺ ولا نزل به وحي فإن أردت بقولك إلا ما وافق الشرع أي لم يخالف ما نطق به الشرع فصحيح وإن أردت لا سياسة إلا ما نطق به الشرع فغلط وتغليط للصحابة فقد جرى من الخلفاء الراشدين من القتل والتمثيل ما لا يجحده عالم بالسنن ولو لم يكن إلا تحريق عثمان المصاحف فإنه كان رأياً اعتمدوا فيه على مصلحة الأمة .

وتحريق علي بن أبي طالب الزنادقة في الأخاديد ، وحلق عمر بن الخطاب رأس نصر بن حجاج ونفاه من المدينة لتشبيب النساء به .

وهذا موضع مزلة أقدام ومضلة أفهام وهو مقام ضنك ومعترك صعب فرط فيه طائفة فعطلوا الحدود وضيعوا الحقوق وجرءوا أهل الفجور على الفساد وجعلوا الشريعة قاصرة لا تقوم بمصالح العباد محتاجة إلى غيرها وسدوا على نفوسهم طرقاً صحيحة من طرق معرفة الحق والتنفيذ له وعطلوها مع علمهم وعلم غيرهم قطعاً أنها حق مطابق للواقع ظناً منهم منافاتها لقواعد الشرع ولعمر الله إنها لم تناف ما جاء به الرسول وإن نافت ما فهموه من شريعته باجتهادهم والذي أوجب

---

(١) من أبرز رواد المدرسة السلفية الإصلاحية التي يعد ابن تيمية وابن القيم أشهر علمائها .

لهم ذلك نوع قصير في معرفة الشريعة وتقصير في معرفة الواقع وتنزيل أحدهما على الآخر .

فلما رأى ولاة الأمور ذلك وأن الناس لا يستقيم لهم أمرهم إلا بأمر وراء ما فهمه هؤلاء من الشريعة أحدثوا من أوضاع سياساتهم شراً طويلاً وفساداً عريضاً فتفاقم الأمر وتعذر استدراكه وعز على العالمين بحقائق الشرع تخليص النفوس من ذلك واستنقاذها من تلك المهالك وأفرطت طائفة أخرى قابلت هذه الطائفة فسوغت من ذلك ما ينافي حكم الله ورسوله .

وكلتا الطائفتين أتيت من تقصيرها في معرفة ما بعث الله به رسوله وأنزل به كتابه فإن الله سبحانه أرسل رسله وأنزل كتبه ليقوم الناس بالقسط وهو العدل الذي قامت به الأرض والسموات فإذا ظهرت أمارات العدل وأسفر وجهه بأي طريق كان فثم شرع الله ودينه والله سبحانه أعلم وأحكم وأعدل أن يخص طرق العدل وأماراته وأعلامه بشيء ثم ينفي ما هو أظهر منها وأقوى دلالة وأبين أمارة فلا يجعله منها ولا يحكم عند وجودها وقيامها بموجبها .

بل قد بين سبحانه بما شرعه من الطرق أن مقصوده إقامة العدل بين عباده وقيام الناس بالقسط فأي طريق استخرج بها العدل والقسط فهي من الدين وليست مخالفة له فلا يقال إن السياسة العادلة مخالفة لما نطق به الشرع بل هي موافقة لما جاء به بل هي جزء من أجزائه ونحن نسميها سياسة تبعاً لمصطلحهم وإنما هي عدل الله ورسوله ظهر بهذه الأمارات والعلامات .

فقد حبس رسول الله ﷺ في تُهْمة وعاقبَ في تُهْمة لما ظهرت أمارات الريبة على المتهم فمن أطلق كل منهم وحلفه وخلَّى سبيله مع علمه باشتهاره بالفساد في الأرض وكثرة سرقاته وقال لا آخذه إلا بشاهدي عدل فقوله مخالف للسياسة الشرعية .

وقد منع النبي ﷺ الغال ( السارق ) من الغنيمة سهمه وحرق متاعه هو وخلفاؤه من بعده ومنع القاتل من السلب لما أساء شافعه على أمير السرية فعاقب المشفوع

له عقوبة للشفيع وعزم على تحريق بيوت تاركي الجمعة والجماعة وأضعف الغرم على سارق مالاً قطع فيه وشرع فيه جلدات نكالاً وتأديباً وأضعف الغرم على كاتم الضالة عن صاحبها وقال في تارك الزكاة إنا آخذوها منه وشطر ماله عزمة من عزمات ربنا وأمر بكسر دنان الخمر وأمر بكسر القدور التي طبخ فيها اللحم الحرام ثم نسخ عنهم الكسر وأمرهم بالغسل وأمر عبد الله بن عمرو بتحريق الثوبين المعصفرين فسجرهما في التنور وأمر المرأة التي لعنت ناقتها أن تخلي سبيلها وأمر بقتل شارب الخمر بعد الثالثة والرابعة ولم ينسخ ذلك ولم يجعله حداً لابد منه بل هو بحسب المصلحة إلى رأي الإمام وكذلك زاد عمر بن الخطاب في الحد عن الأربعين ونفى فيها وأمر ﷺ بقتل الذي كان يتهم بأم ولده فلما تبين أنه خصي تركه وأمر بإمساك اليهودي الذي أومأت الجارية برأسها أنه رضخه بين حجرين فأخذ فأقر فرضخ رأسه وهذا يدل على جواز أخذ المتهم إذا قامت قرينة التهمة والظاهر أنه لم تقم عليه بينة ولا أقر اختيارا منه بالقتل وإنما هدد أو ضرب فأقر وكذلك العرنيون فعل بهم ما فعل بناء على شاهد المال ولم يطلب بينة بما فعلوا ولا وقف الأمر على إقرارهم .

وسلك أصحابه وخلفاؤه من بعده ما هو معروف لمن طلبه فمن ذلك أن أبا بكر حرق اللوطية وأذاقهم حر النار في الدنيا قبل الآخرة وكذلك قال أصحابنا إذا رأى الإمام تحريق اللوطي فله ذلك فإن خالد بن الوليد كتب إلى أبي بكر الصديق إنه وجد في بعض نواحي العرب رجلاً ينكح كما تنكح المرأة فاستشار الصديق أصحاب رسول الله ﷺ وفيهم علي بن أبي طالب وكان أشدهم قولاً فقال إن هذا الذنب لم تعص به أمة من الأمم إلا واحدة فصنع الله بهم ما صنع كما قد علمتم أرى أن يحرقوا بالنار فأجمع رأي أصحاب رسل الله ﷺ على ألا يحرقوا بالنار فكتب أبو بكر إلى خالد أن يحرقوا فحرقهم ثم حرقهم عبد الله بن الزبير ثم حرقهم هشام بن عبد الملك .

وحرق عمر بن الخطاب حانوت الخمار بما فيه وحرق قرية يباع فيها الخمر وحرق قصر سعد بن أبي وقاص لما احتجب في قصره عن الرعية فذكر الإمام

أحمد رحمه الله في مسائل ابنه صالح أنه دعا محمد بن مسلمة فقال اذهب إلى سعد بالكوفة فحرق عليه قصره ولا تحدثن حدثا حتى تأتيني فذهب محمد إلى الكوفة فاشترى من نبطي حزمة حطب وشرط عليه حملها إلى قصر سعد فلما وصل إليه ألقى الحزمة فيه وأضرم فيها النار فخرج سعد فقال ما هذا قال عزمة أمير المؤمنين فتركه حتى احترق ثم انصرف إلى المدينة فعرض عليه سعد نفقة فأبى أن يقبلها فلما قدم على عمر قال له هلا قبلت نفقته فقال إنك قلت لا تحدثن حدثا حتى تأتيني .

والمقصود أن هذا وأمثاله سياسة جزئية بحسب المصلحة تختلف باختلاف الأزمنة فظنها من ظنها شرائع عامة لازمة للأمة إلى يوم القيامة ولكل عذر وأجر ومن اجتهد في طاعة الله ورسوله فهو دائر بين الأجر والأجرين وهذه السياسة التي ساسوا بها الأمة وأضعافها هي تأويل القرآن والسنة ولكن هل هي من الشرائع الكلية التي لا تتغير بتغير الأزمنة أو من السياسات الجزئية التابعة للمصالح فتتقيد بها زمانا ومكاناً جمع عثمان الناس على حرف واحد ومن ذلك جمع عثمان الناس على حرف واحد من الأحرف السبعة التي أطلق لهم رسول الله ﷺ القراءة بها لما كان ذلك مصلحة فلما خاف الصحابة على الأمة أن يختلفوا في القرآن ورأوا أن جمعهم على حرف واحد أسلم وأبعد من وقوع الاختلاف فعلوا ذلك الناس من القراءة بغيره .

وهذا كما لو كان للناس عدة طرق إلى البيت وكان سلوكهم في تلك الطرق يوقعهم في التفرق والتشتت ويطمع فيهم العدو فرأى الإمام جمعهم على طريق واحد وترك بقية الطرق جاز ذلك ولم يكن فيه إبطال لكون تلك الطرق موصلة إلى المقصود وإن كان فيه نهي عن سلوكها لمصلحة الأمة .(١)

---

(١) لمزيد من التفصيل راجع ابن القيم " كتاب الطرق الحكمية في السياسة الشرعية " باب الشريعة والسياسة .

## أمثلة على عدم مراعاة بعض الوعاظ مصلحة البلاد والعباد

إن نصَّت الدساتير وصدرت القوانين بأن أبناء الوطن الواحد من المسلمين وغيرهم مواطنون و" المواطنون لدي القانون سواء وهم متساوون في الحقوق والواجبات العامة لا تمييز بينهم في ذلك بسبب الجنس أو الأصل أو اللغة أو الدين أو العقيدة " كما صدرت القوانين تجرم ازدراء الأديان وتعكير صفو السلم الاجتماعي ، وتعارف الناس على أن التهادي وتبادل التهاني وتقديم التعازي والمشاطرة في الأفراح والأحزان مما ينبغي الحرص عليه بين المواطنين على اختلاف عقائدهم .

ولكن بعض الوعاظ يصرحون في أحاديث عامة أن المسيحيين ليسوا أهل كتاب ولا أصحاب ديانة سماوية إنما كفار مثلثون وعبدة للصليب ، كما أن اليهود ملاعين وأحفاد القردة والخنازير ، ويسمع العامة هذا الكلام ويعتدون على الكنائس والأفراد، وما تكاد تخمد فتنة حتى تشتعل غيرها بسبب فتاوى وعاظ السوء الذين يفتون بحرمة السلام على الكفار ، اليهود والمسيحيون ، وحرمة تبادل التهاني والتهادي ومشاطرتهم الأفراح والأحزان ، وحرمة وقوف دقيقة حداد على البابا شنودة الثالث راعي الكنيسة القبطية الأرثوذكسية الراحل .

بل وصل الأمر ببعضهم أن استباح أموالهم !!

مع أن شريعة الإسلام أباحت طعام أهل الكتاب والزواج منهم وبرهم وصلتهم والوقوف لجنائزهم وحرمت ظلمهم وإيذائهم وأخذ أي شيء منهم بغير طيب نفس .

يقول تعالى ﴿وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [المائدة : ٥] .

وقد جاءت الروايات بأن بعض الصحابة قد تزوج بكتابيات . فعثمان بن عفان تزوج نصرانية ثم أسلمت ، وطلحة بن عبيد الله وحذيفة بن اليمان تزوجا يهوديتين.[١]

---

(٢) محمد سيد طنطاوي " التفسير الوسيط " ج ١ ص ٣٨٩

وأمر الإسلام بالبر بأهل الكتاب وصلتهم .

يقول تعالى : ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُقْسِطِينَ ﴾ [ الممتحنة:٨ ] .

ويحرم النبي ﷺ ظلم أهل الكتاب المعاهدين وانتقاصهم حقوقهم .

يقول النبي ﷺ " أَلاَ مَنْ ظَلَمَ مُعَاهَدًا وَانْتَقَصَهُ وَكَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ مِنْهُ فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " [ صحيح البيهقي وأبو داود ] .

وثبت وقوف النبي ﷺ والصحابة لجنائز أهل الكتاب .

كَانَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ وَقَيْسُ بْنُ سَعْدٍ قَاعِدَيْنِ بِالْقَادِسِيَّةِ فَمَرُّوا عَلَيْهِمَا بِجَنَازَةٍ فَقَامَا فَقِيلَ لَهُمَا :إِنَّهُ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ أَوْ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ فَقَالاَ : إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّتْ بِهِ جَنَازَةٌ فَقَامَ فَقِيلَ لَهُ إِنَّهَا جَنَازَةُ يَهُودِيٍّ فَقَالَ :« أَلَيْسَتْ نَفْسًا " [ متفق عليه ] .

ولا يتوقف أمر وعاظ السوء عن إيذاء أهل الكتاب ، وهو خطير ، إنما يخرجون على أوامر أولياء أمور المسلمين ويجاهرون بمخالفتها فإذا دعا الحاكم إلى تنظيم الأسرة من أجل الدولة من توفير ما يحتاج إليه الأطفال من صحة وتعليم ورعاية متكاملة قال وعاظ السوء إن الشرع حرَّم ذلك ، وإذا كان من تقاليد الدولة ومراسمها الوقوف عند تحية العلم شعار الدولة ورمزها قال الوعاظ إنها وثنية وحرموا ذلك .

العجيب أن هؤلاء الوعاظ يجهرون بأن ما يفعلونه هو شرع الله ، وما عاداه مما تعارف الناس عليه مخالف للشريعة ، غير مفرقين بين أنواع الشريعة الثلاث .

## الشرع المُنَزَّل والمُتَأَوَّل والمُبَدَّل

في عصر الوحي والبعثة كان مصطلح " الشرع " يعني الكتاب والسنة أي الشرع المُنَزَّل ، وكانت أحكام هذا الشرع قد نمت وتكاملت كاستجابة لما طرحته حياة ذلك العصر من حوادث ومشكلات ، لكن الحوادث لا تتناهى ، وتطور الحياة

واختلاف الأماكن يطرح منها الجديد والمزيد ، الأمر الذي جعل الفقهاء والعلماء والمجتهدين ومنهم الولاة والحكام " يشرعون " أحكاماً لما يستجد من الأحداث فنشأ إلى جوار "الشرع المُنَزَّل " .. " الشرع المُتَأَوَّل " وهذا " الشرع المُتَأَوَّل " الشامل لاجتهادات المجتهدين وفقه الفقهاء وتشريعات الحكام والولاة الذي يمكن أن نسميه " تراث الأمة القانوني والسياسي " قد أصبح مما يندرج تحت مصطلح " الشرع والشريعة " وإن لم تكن له قدسية الدين وإلزام " الشرع المُنَزَّل " لجميع المؤمنين فهنا نمو في "الشريعة والشرع " ولكنه نمو يتكون منه " بناء قانوني " ذو " طبيعة مدنية " وليس دينية إذا استخدمنا هذا المصطلح الحديث ، وابن تيمية وابن القيم يدافعان عن اندراج هذا " البناء القانوني – السياسي " تحت مصطلح " الشرع والشريعة " ويقرران تجاوز مضمون هذا المصطلح لما نص عليه القرآن الكريم والحديث : فلقد صار لفظ " الشرع " غير مطابق لمعناه الأصلي ، بل لفظ " الشرع " في هذه الأزمنة ثلاثة أقسام . [١]

الشرع المُنَزَّل : وهو الكتاب والسنة ، واتباع النصوص قطعية الثبوت والدلالة فيهما واجب ، ويدخل في ذلك سياسة الحاكم الشرعيَّة التي يستهدف بها مصلحة الأمة ، وأقوال أئمة الفقه المجمع عليها .

الشرع المُتَأَوَّل : فهو اجتهادات أئمة الفقه والعلماء المجتهدون في فهم النصوص قطعية الثبوت ظنية الدلالة أو ظنية الثبوت والدلالة وهذه الاجتهادات يختار منها المرء ما يطمئن له قلبه ويقتنع بها عقله .

يقول الأصوليون : " إنما ينكر المتفق عليه ولا ينكر المختلف فيه "

والشرع المُبَدَّل : الذي هو افتراء على الشريعة وإضافة إليها ما ليس منها ، والخروج به عن مصلحة العباد في المعاش والمعاد ، كأمر الحاكم رعيته بعدم صوم شهر رمضان بزعم زيادة الإنتاج ، أو الأمر بخلع نساء المسلمين حجابهن حتى لا يتمايزن عن غيرهن من المواطنات غير المسلمات ...

(١) د. محمد عمارة " السلفية " دار المعارف للطباعة والنشر ص ٤٠

يقول ابن القيم : " من أهدر الأمارات والعلامات في الشرع بالكلية فقد عطَّل كثيراً من الأحكام وضيَّع كثيراً من الحقوق والناس في هذا الباب طرفان ووسط قال شيخنا رحمه الله وقد وقع فيه من التفريط من بعض ولاة الأمور والعدوان من بعضهم ما أوجب الجهل بالحق والظلم للخلق وصار لفظ الشرع غير مطابق لمعناه الأصلي بل لفظ الشرع في هذه الأزمنة ثلاثة أقسام :

الشرع المُنَزَّل : وهو الكتاب والسنة واتباع هذا الشرع واجب ومن خرج عنه وجب قتاله وتدخل فيه أصول الدين وفروعه وسياسة الأمراء وولاة المال وحكم الحاكم ومشيخة الشيوخ وولاة الحسبة وغير ذلك فكل هؤلاء عليهم أن يحكموا بالشرع المُنَزَّل ولا يخرجوا عنه .

الثاني الشرع المُتَأَوَّل : وهو مورد النزاع والاجتهاد بين الأئمة فمن أخذ بما يسوغ فيه الاجتهاد أُقِرَّ عليه ولم يجب على جميع الناس موافقته إلا بحجة لا مرد لها من كتاب الله وسنة رسوله .

والثالث الشرع المُبَدَّل : مثل ما يثبت بشهادات الزور ويحكم فيه بالجهل والظلم أو يؤمر فيه بإقرار باطل لإضاعة حق مثل تعليم المريض أن يقر لوارث بما ليس له ليبطل به حق بقية الورثة والأمر بذلك حرام والشهادة عليه محرمة والحاكم إذا عرف باطن الأمر وأنه غير مطابق للحق فحكم به كان جائراً آثما وإن لم يعرف باطن الأمر لم يأثم فقد قال سيد الحكام صلوات الله وسلامه عليه في الحديث المتفق عليه " إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَلْحَنُ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا بِقَوْلِهِ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنْ النَّارِ فَلا يَأْخُذْهَا "

[ متفق عليه ] (١)

وللأسف فإن بعض الوعاظ المقلدون يقف بهم جمودهم عند حدود المضامين التي كانت لمصطلح " الشريعة " في عصر الوحي والبعثة ، فسموا " تراث الأمة

(١) ابن القيم " الطرق الحكمية " جـ١ ص ١٤٥ ، ١٤٦

القانوني " الذي نما استجابة لمحدثات الأمور وتطورات الحياة " سياسية " ورفضوا إدراجها تحت مصطلح " الشريعة " ولقد أدى تضييقهم هذا لنطاق مضمون "الشريعة" إلى جعل الولاة والحكام يقننون لأحداث الحياة ومشكلاتها وفق أهوائهم ، الأمر الذي قطع الصلات بين السياسة والشريعة ..

لكن أعلام العلماء اتخذوا لأنفسهم موقفاً عبقريّاً بالغ العمق في هذا الموضوع فقرروا أن مقاصد الشريعة : هي إقامة العدل ، وتحقيق المصالح ، ودفع المضار . ومن ثم فإن كل ما يحقق هذه المقاصد فهو " شرع وشريعة " أو جزء من " الشرع والشريعة " حتى ولو لم ينزل به الوحي ولم ينطق به الرسول ، وهكذا جعلوا المعيار في الشريعة هو " المصلحة وتحقيق العدل " وليس ما كان " شرعاً شريعة " في عصر النبوة والتنزيل ، ويزيد من روعة هذا الموقف المتقدم أن أصحابه هم السلفيون أصحاب المنهج النصوصي ، الذي يميل أصحابه – بداهة – إلى المحافظة والجمود . ونحن لا نستطيع أن ندع الحديث عن هذه الصفحة من صفحات الفكر السياسي للحركة السلفية . (١)

## أنتم أعلم بأمر دنياكم

وكما نهى الرسول ﷺ صحابته عن السؤال فيما لا طائل تحته وما يوقع كثرة البحث عنه في الشك والحيرة وما لا يترتب عليه عمل أو عبادة – بيَّن لهم الفرق بين ما يقوله تشريعاً موحى به وبيْن رأيه واجتهاده في أمور الدنيا التي مردها للعلوم الإنسانية والخبرة البشرية : كالزراعة وأنواع الصناعة والخياطة والتجارة، وأشباه ذلك .

فيقول ﷺ : " أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ " [ رواه مسلم ] .

يقول النووي في باب وجوب امتثال ما قاله شرعاً دون ما ذكره ﷺ من معايش الدنيا على سبيل الرأي : " فيه حديث إبار النخيل ، وأنه ﷺ قال : " ما أظن يغني

---

(٢) د. محمد عمارة " السلفية " مرجع سابق ص ٤١

ذلك شيئاً فخرج شيصاً ، فقال : " إن كان ينفعهم ذلك فليصنعوه ، فإني إنما ظننت ظناً ، فلا تؤاخذوني بالظن ، ولكن إذا حدثتكم عن الله شيئاً فخذوا به وفي رواية "إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به ، وإذا أمرتكم بشيء من رأي فإنما أنا بشر " (وفي رواية) : أنتم أعلم بأمر دنياكم " ( قال العلماء : قوله ﷺ : ( من رأيي ) أي في أمر الدنيا ومعايشها لا على التشريع . [١]

## لماذا كان النبي ﷺ يستشير أصحابه ؟

إن النبي ﷺ كان يستشير أصحابه في أمور الدنيا كالحرب والصلح والمعاهدات وينزل على رأيهم إن انشرح صدره له عملاً بقوله تعالى : ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ ﴾

فالأصل أن التشاور مطلوب شرعاً ، ولذا أمر الله سبحانه نبيه بمشاورة أصحابه في الأمر ، وأثنى على عباده المؤمنين بقوله: { وأمرهم شورى بينهم }

ولذلك كان رسول الله ﷺ يشاور أصحابه في الأمر إذا حَدَث، تطييبًا لقلوبهم؛ ليكونوا فيما يفعلونه أنشط لهم كما شاورهم يوم بدر في الذهاب إلى العير ، وشاورهم أين يكون منزل الجند ؟ حتى أشار المنذر بن عمرو بالتقدم إلى أمام القوم، وشاورهم في أحد في أن يقعد في المدينة أو يخرج إلى العدو، فأشار جمهُورُهم بالخروج إليهم، فخرج إليهم.

وشاورهم يوم الخندق في مصالحة الأحزاب بثلث ثمار المدينة عامئذ، فأبى عليه ذلك السَعْدَان: سعدُ بن معاذ وسعدُ بن عُبَادة، فترك ذلك.

وشاورهم يومَ الحُدَيبية في أن يميل على ذَرَاري المشركين، فقال له الصديق: إنا لم نجيء لقتال أحد، وإنما جئنا معتمرين، فأجابه إلى ما قال.

وقال ﷺ في قصة الإفك: "أَشِيروا عَلَيَّ مَعْشَرَ الْمُسْلِمينَ فِي قَوْمٍ أَبَنُوا أهلِي ورَمَوهُم، وايْمُ اللهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي مِنْ سُوءٍ، وأَبَنُوهم بمَنْ –واللهِ–مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إلا خَيْرًا". واستشار علياً وأسامة في فراق عائشة، رضي الله عنها.

(١) شرح النووي على مسلم ج ١٥ ص ١١٦

فكان ﷺ يشاورهم في الحروب ونحوها.

وروى ابن مَرْدُويه، عن علي بن أبي طالب، رضي الله عنه، قال: سُئل رسول الله ﷺ عن العَزْم؟ قال "مُشَاوَرَةُ أَهْلِ الرَّأْيِ ثُمَّ اتِّبَاعُهُمْ" (١)

ويقول الفخر الرازي في سبب مشاورة النبي ﷺ أصحابه :

الفائدة في أنه تعالى أمر الرسول بمشاورتهم وجوه : الأول : أن مشاورة الرسول ﷺ إياهم توجب علو شأنهم ورفعة درجتهم ، وذلك يقتضي شدة محبتهم له وخلوصهم في طاعته ، ولو لم يفعل ذلك لكان ذلك إهانة بهم فيحصل سوء الخلق والفظاظة . الثاني : أنه عليه السلام وإن كان أكمل الناس عقلاً إلا أن علوم الخلق متناهية ، فلا يبعد أن يخطر ببال إنسان من وجوه المصالح ما لا يخطر بباله ، لا سيما فيما يفعل من أمور الدنيا فإنه عليه السلام قال : « أنتم أعرف بأمور دنياكم وأنا أعرف بأمور دينكم » ولهذا السبب قال عليه السلام : " ما تشاور قوم قط إلا هدوا لأرشد أمرهم " الثالث : قال الحسن وسفيان بن عيينة إنما أمر بذلك ليقتدي به غيره في المشاورة ويصير سنة في أمته . (٢)

واجه المسلمون بعد أن اتسعت رقعة الإسلام واختلطوا بسكان البلاد المفتوحة مسائل كثيرة في كل شأن من شئون الحياة تحتاج إلى تشريع لم يكونوا يحتاجون إليه وهم في الجزيرة ، وواجه الصحابة والتابعون الأوائل أمراً عظيماً ولم يدَّع أحد أن القرآن الكريم والسنة الصحيحة نصاً في المسائل الجزئية على كل ما كان وما هو كائن فنتج عن هذا أن كان أصل آخر من أصول التشريع وهو الرأي الذي نُظِّم بعدُ وسمي القياس .

## منهج الصحابة في التعامل مع النصوص الشرعية

كان كثير من الصحابة يرى أن يستعمل الرأي حيث لا نص من كتاب ولا سنة والمتتبع لما روى عن العصر الأول في الرأي يرى أنهم كانوا يستعملون هذه

---

(٢) ذكره السيوطي في الدر .

(١) تفسير الفخر الرازي ج ٤ ص ٤٤٥

الكلمة بالمعنى الذي نفهمه الآن من كلمة العدالة وبعبارة أخرى ما يرشد إليه الذوق السليم مما في الأمر من عدل وظلم . (١)

هذا هو المنهج الذي التزمه الصحابة في التعامل مع النصوص المختلف فيها من غير المعلوم من الدين بالضرورة وهو ما عبر عنه ابن القيم بقوله : " إن الشريعة مبناها وأساسها العدل وتحقيق مصالح العباد في المعاش والمعاد وهي عدل كلها ورحمة كلها ومصالح وحكمة كلها، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة وعن الحكمة إلى العبث فليست من الشريعة وإن أُدخلت فيها بالتأويل . " (٢)

فالعدل والرحمة والحكمة ومصلحة العباد هي الغاية التي تحرَّاها السلف الصالح في فهم النصوص ، فالأمر يدور على المصلحة ، وحيثما وجدت المصلحة فثم شرع الله كما قال المحققون .

ولعل عمر بن الخطاب كان أظهر الصحابة في استعمال هذا المنهج فقد روي عنه الشيء الكثير وكان هذا من توفيق الله للمسلمين فإن عمر قد واجه من الأمور المحتاجة إلى تشريع ما لم يواجه خليفة قبله ولا بعده فهو الذي على يده فتحت الفتوح ومصرت الأمصار وخضعت الأمم الممدنة من فارس والروم لحكم الإسلام، وهي حالة لم يحدث بعد نظيرها ، فكان لعمر من التشريع في المسائل الاقتصادية والسياسية والعمرانية ما كان أصلاً للفقهاء من بعده ، ولذلك يقول فيه الفقهاء في باب الجهاد والسير وهو الباب الذي تبين فيه علاقة الغالبين بالمغلوبين – أنه عمدة في هذا الباب " (٣)

## الفرق بين عمر والحكّام بعده

وأنا وإن كنت أتفق مع العلامة أحمد أمين في أن عمر بن الخطاب كان أكثر الصحابة اجتهاداً في فهم النصوص في ضوء المستجد من أحداث وأحوال الناس

(١) أحمد أمين " فجر الإسلام " مرجع سابق ص ٣٧٤ ، ٣٧٥
(٢) ابن القيم " إعلام الموقعين " ج٣ ص٣
(١) أحمد أمين " فجر الإسلام " الهيئة المصرية العامة للكتاب ص ٣٧٧

ابتغاء العدل والرحمة والحكمة ومصلحة العباد إلا أني اختلف معه في أن " عمر قد واجه من الأمور المحتاجة إلى تشريع ما لم يواجه خليفة بعده " فقد واجه الحكَّام بعد عمر من الأمور التي تحتاج إلى تشريع ما لا يحصى ولكن الحكام بعده – في الغالب الأعم – لم يلتزموا منهج عمر في التعامل معها ابتغاء العدل والرحمة والحكمة ومصلحة العباد بل إنهم ظلموا العباد وقسوا عليهم وأفسدوا وقدموا مصالحهم الخاصة على مصالح العباد العامة لضمان بقاء الملك فيهم وفي أبنائهم من بعدهم لذا فلا عجب أن يُحْصَر الحكم في التاريخ الإسلامي في ثلاث أسر : الأموية ، والعباسية ، والعثمانية !!

يقول أحمد أمين : " يظهر لي أن عمر بن الخطاب كان يستعمل الرأي في أوسع من المعنى الذي ذكرناه وذلك أن ما ذكرناه هو استعمال الرأي حيث لا نص من كتاب ولا سنة لكنا نرى الخليفة سار أبعد من ذلك فكان يجتهد في تعرف المصلحة التي لأجلها نزلت الآية أو ورد الحديث ثم يسترشد بتلك المصلحة في أحكامه وهو أقرب شيء إلى ما يعبر عنه الآن بالاسترشاد بروح القانون لا بحرفيته " (١)

هل يعد ما فعله عمر خروجاً على الشريعة وتعطيلاً للنصوص ؟ وللإجابة عن هذا السؤال لا بد أن نفرق بين الحكم والفتوى .

## الفرق بين الحُكْم والفَتْوَى

الحكم هو المنصوص عليه في الكتاب وصحيح السنة وهو مقدس لا يتغير بتغير الزمان ولا المكان ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]

لقد حفظ الله تعالى القرآن الكريم ، واجتهد علماء الإسلام العظام في الحفاظ على السنة الصحيحة التي يقول النبي فيها " ألا وإني أوتيت القرآن ومثله معه" رواه أحمد وأبو داود.

---

(٣) أحمد أمين " فجر الإسلام " مرجع سابق ص ٣٧٧، ٣٧٨

أما الفتوى فهي إنزال المُسْتَفْتَى الحكم على المُسْتَفْتِى مراعياً زمانه ومكانه وحاله، فمثلاً قطع يد السارق حكم ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا﴾ [المائدة : ٣٨] أما ما فعله عمر بن الخطاب من إيقاف قطع يد السارق في عام المجاعة فهو فتوى.

فالحكم هو حكم الله ورسوله أما الفتوى فهي اجتهاد المُسْتَفْتَى أو الحاكم في فهم هذا الحكم وتطبيقه على المُسْتَفْتِى أو المحكومين . لذا يقول رسول اللَّهِ ﷺ : " وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ فَلا تُنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ فَإِنَّكَ لا تَدْرِي أَتُصِيبُ حُكْمَ اللَّهِ فِيهِمْ أَمْ لا "

[رواه الخمسة إلا البخاري ]

إن الحاكم المجتهد قد يصيب الحق وقد يخطئه، قد يصيب حكم الله وقد يخطئه، وهو مأجور في صوابه وخطئه يقول النبي ﷺ :

" إِذَا حَكَمَ الْحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ وَأَصَابَ، فَلَهُ أَجْرَانِ وَإِذَا حَكَمَ فَاجْتَهَدَ فَأَخْطَأَ، فَلَهُ أَجْرٌ وَاحِدٌ " [ مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ ] .

وهذا يدل على أن الحق واحد قد يصيبه بعض المجتهدين ويخطئه البعض، فمن اجتهد وأصاب حصل على أجرين: أجر الاجتهاد وأجر الإصابة، وإن اجتهد وأخطأ حصل أجراً على الاجتهاد، وخطؤه مغفور. فلا ينزلونهم على حكم الله لأنه قد لا يكون حكم الله واضحاً فيحتاج الأمر إلى اجتهاد، ومعلوم أن الصحابة كانوا يجتهدون في زمن الرسول ﷺ مثلما حصل في قصة الذهاب إلى بني قريظة .

وبعض الناس يخلط بين الحكم والفتوى فيجعل الحكم فتوى يتغير بتغير الزمان والمكان والحال وهؤلاء هم العلمانيون اللادينيون فإذا لم يأت حكم الله ، قطعي الدلالة والثبوت ، على هواهم قالوا إنه لا يوافق زماننا مثل : فرضية الحجاب على المرأة البالغ ، وتحريم الخلوة بالأجنبية .

وهناك من يجعل الفتوى حكماً كالسلفيين اللاأصوليين فإنهم يتخذون من فتوى بعض السلف أحكاماً لا تتغير بتغير الزمان ولا المكان مثل : فرضية النقاب ،

وتحريم الغناء. ويقولون لك هذا شرع الله وما عداه باطل غير مفرقين بين الحكم ، واجتهاد المجتهدين فيما يسوغ فيه الاجتهاد ، والآراء الباطلة الخارجة عن المتفق عليه دون مسوغ شرعي .

كان الأمام أبو حنيفة يعمل بالقياس والاستحسان بأشد صورهما في حين كان الإمام الشافعي يعمل بالقياس دون الاستحسان ويرى أن من استحسن فقد ابتدع ، وكان أبو حنيفة يرى فتح باب الذرائع بينما يرى الإمام مالك سدَّه إلى غير ذلك من صور الاختلاف بين المذاهب الفقهية أو العقدية فهل يصح بعد هذا كله الادعاء بأن للسلف منهجاً فكريّاً موحداً يجب أن نقتفيه ؟!

وبعد أن حاولنا الإجابة عن السؤالين الأولين اللذين طرحتيهما وهما :

١- إن الدين مجرد شعور بالإيمان بخالق الكون فقط ، وأن المشايخ والكهنة هم الذي اختلقوا شمولية الدين لنُظُم الحياة : سياسية ، واقتصادية ، واجتماعية .

٢- إن المسلمين لم يفهموا الإسلام طوال تاريخهم ولن يفهموه لأنه غير مفهوم .

نحاول أن نجيب عن السؤالين الآخرين وهما :

١- أن المسلمين فشلوا في تطبيق الدين كنظام شامل للحياة طوال تاريخهم وبالتالي لن يستطيعوا تطبيقه في المستقبل .

٢- أن الذي أضاع الشعوب الإسلامية هو محاولتهم تطبيق الدين كنظام شامل للحياة .

***

# هل عجز المسلمون عن تطبيق شريعة الإسلام عبر تاريخهم؟

## هل عجز المسلمون عن تطبيق شريعة الإسلام عبر تاريخهم ؟

قلتِ يا بنتي : " الذي لا نستطيع تطبيقه صح خلال ١٤٠٠ سنة يبقى حاجة غير قابلة للتطبيق ... حاجة مش عايزة ذكاوة " .

وسوف نحاول الإجابة عن تساؤلات : هل المسلمون عجزوا عن تطبيق شريعة الإسلام عبر تاريخهم ؟ ولم يقوموا ببناء حضارة ، وكانوا عالة على غيرهم من الأمم ؟

### ماذا صنع الإسلام في العرب ؟

بدَّل الله تعالى من صحَّ إيمانه من العرب – وغيرهم – من بعد خوفهم أمنا، ومن بعد ضعفهم قوة حتى دانت لهم الدنيا .

﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [ النور : ٥٥ ] .

وبالإيمان والتمسك بشريعة الله تحوَّل العرب المؤمنون إلى إخوة متحابين بعد أن كانوا متناحرين ومتقاتلين فإذا بهم بنعمة الإيمان بالله يتحوَّلون إلى أخوة متحابين متعاونين .

﴿وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [ آل عمران : ١٠٣ ] .

وبعد أن كان العربي ذا حميَّة جاهليَّة واندفاع وتهوُّر أنزل الله على المؤمنين منهم سكينة وألزمهم كلمة التقوى ، وثبَّتهم على الرضا والتسليم ، ولم يدخل قلوبهم ما أدخل قلوب الكفار من الحميَّة .

﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ [ الفتح : ٢٦ ] .

واستبدل الله تعالى المؤمنين العرب الأخوة الدينيَّة بالعصبيَّة الجاهليَّة ، وجعل كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه .

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ أي في الدين والحرمة لا في النسب، ولهذا قيل: أخوَّة الدين أثبت من أخوَّة النسب، فإن أخوَّة النسب تنقطع بمخالفة الدين، وأخوَّة الدين لا تنقطع بمخالفة النسب. قال رسول ﷺ : " إيَّاكُم والظَّنَّ ، فإنَّ الظَّنَّ أَكذَبُ الحديثِ ، ولا تحسَّسوا ، ولا تجسَّسوا ، ولا تَناجَشوا ولا تحاسَدوا ولا تباغَضوا ، ولا تدابَروا ، وَكونوا عِبادَ اللَّهِ إخوانًا " [ متفق عليه ] .

أما عن العصبيَّة الجاهليَّة ونصرة الأخ ظالماً ومظلوماً فقد صحح الإسلام مفهوم النُصْرة فجعلها للحق والعدل والدين ، أما العدوان فلا يكون إلا على الظالمين .

قال رسول الله : " انصرْ أخاك ظالِمًا أو مظلومًا ، قالوا: يا رسولَ اللهِ هذا ينصرُه مظلومًا فكيف ينصرُه ظالِمًا ؟ قال: " يكُفُّه عنِ الظُّلمِ " [ صحيح البخاري ] .

فنُصْرة الأخ تكون في الحق فقط فإن رأيته على باطل ضربت على يده ومنعته من التمادي في الباطل .

﴿وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [ الأنفال : ٧٢ ] .

وشدَّد الإسلام أشدَّ التحريم في حرمة النفس الإنسانية .

﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾

[المائدة:٣٢]

كما أسقط الإسلام ثارات الجاهلية ، فالإسلام يَجُبُّ ما قبله .

قال النَّبِيَّ ﷺ فِي حَجَّة الْوَدَاعِ " يَا أَيُّهَا النَّاسُ! أَلاَ أَيُّ يَوْمٍ أَحْرَمُ ؟ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ. قَالُوا: يَوْمُ الْحَجِّ الأَكْبَرِ. قَالَ : فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعراضَكُمْ بَيْنَكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هذَا، وَلاَ مَوْلُودٌ عَلَى وَالِدِهِ. أَلاَ إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يُعْبَدَ فِي بَلَدِكُمْ هذَا أَبَداً. وَلكِنْ سَيَكُونُ لَهُ طَاعَةٌ فِي بَعْضِ مَا تَحْتَقِرُونَ مِنْ أَعْمَالِكُمْ، فَيَرْضى بِهَا. أَلاَ وَكُلُّ دَمٍ مِنْ دِمَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ. وَأَوَّلُ مَا أَضَعُ مِنْهَا دَمُ الْحرِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ " [ رواه أبو داود ] .

وعدَّ النبي ﷺ سِبَاب المسلم فُسُوق وقتاله كفر فقال ﷺ " سِبابُ المسلِمِ فُسوقٌ ، وقتالُهُ كُفرٌ [ متفق عليه ] .

ونفى ﷺ الإسلام عمن حمل على المسلين السلاح فقال ﷺ " مَن حمل علَينا السِّلاحَ فليسَ منَّا " [ متفق عليه ] .

كذلك نهى النبي ﷺ عن السلب والنهب الذي كان شائعاً في الجاهلية فقال ﷺ " مَن انتَهب نُهبةً فليس منَّا " [ صحيح ابن حبان ] .

كما جاء الإسلام ليضع القصاص في يد ولي الأمر لا لولي القتيل ، ولا قصاص إلا من القاتل .

﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالعَيْنَ بِالعَيْنِ وَالأَنْفَ بِالأَنْفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ [المائدة:٤٥] .

وبالنسبة للمرأة فقد رفع الإسلام شأنها وجعلها مساوية للرجل وجعل مقياس التفاضل بينهما هو التقوى والعمل الصالح وليس التفاضل على أساس النوع : ذكر وأنثى كما كان شائعاً في الجاهلية .

## الإسلام وعمارة الأرض

أما بالنسبة للعمل وتعمير الكون فقد جعل الإسلام مهمة الإنسان المؤمن الإيمان بالله وتعمير الكون فالعمل الصالح النافع عبادة يتقرب بها المسلم إلى الله.

لقد طهَّر الإسلام المؤمنين به من كل أدران الجاهلية وصبغهم صبغة الإسلام ومن أحسن من الله صبغة ؟ فجعل العلاقة بين المسلمين تقوم على الحب والتعاون والإيثار أما علاقة المسلم بالأمم الأخرى فتقوم على حسن الجوار ، والمحافظة على المعاهدات الدولية ، وإن جنحوا للسلام يجابوا إليه ، ولا يبدءون بالعدوان فالحرب في الإسلام تكون لرد العدوان وليس للاعتداء على الآمنين المسالمين . ﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [ البقرة : ١٩٠ ] .

فالحرب في الإسلام لرد العدوان وليس للابتداء به كما كان حال أهل الجاهلية الذين كان دستورهم :

وَمَن لا يَذُد عَن حَوضِهِ بِسِلاحِهِ          يُهَدَّم وَمَن لا يَظلِمِ الناسَ يُظلَمِ

فجاء الإسلام ليجعل العدوان فقط على الظالمين .

﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [ البقرة : ١٩٣ ] .

وهكذا جاءت أحكام الله دستوراً شاملاً لكل مناحي الحياة ذلك الدستور الإلهي العظيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه بعكس قوانين الجاهلية الجائرة .

﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة : ٥٠]

ولما كانت الدعوة الإسلامية حركة إصلاحية أعظم تنقذ البشرية جمعاء من الاستبداد والفقر والرذيلة والتأخر الحضاري ، وثورة على النظم الرجعية القديمة

التي تتنافى هي والإنسانية والحضارة . وكل ثورة إصلاحية لا بد أن تلقى حركات مضادة ، تبعا لسنة الحياة ، وتعبيراً عن الصراع بين القديم البالي ، والجديد الناهض ، وبين أنوار الحضارة وظلام الجاهلية الرجعية " (١)

ولأسباب دينيَّة ، واقتصاديَّة ، وسياسيَّة ، ونفسيَّة رفضت قريش معظمهم الإسلام وبذلوا غاية جهدهم في صرف صاحب الرسالة عن إتمام رسالته .

فلم يجد النبي بداً من الهجرة إلى المدينة ، وفي المدينة بدأ النبي في إنشاء حضارة الإسلام ، وإقامة المجتمع الإسلامي الرشيد الذي سيحمل رسالة الإسلام إلى جميع الآفاق فبدأ بعقد المؤاخاة بين الأنصار واليهود ، ثم وضع دستور المدينة الذي ينظم العلاقة بين المسلمين وبين يهود المدينة وكان أهم ما جاء فيها:

" إنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة ، غير مظلومين ولا متناصرين عليهم ؛ وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ؛ وإن ، لليهود دينهم ، وللمسلمين دينهم ، مواليهم وأنفسهم ، إلا من ظلم وأثم ، فإنه لا يُوتِغُ –يهلك– إلا نفسه ، وأهل بيته وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم ؛ وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ؛ وإن بينهم النصح والنصيحة ، والبر دون الإثم؛ وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه ؛ وإن النصر للمظلوم " (٢)

وفي المدينة أصبح للإسلام نظام سياسي وحضاري إلى جانب أنه رسالة هداية ورشاد ، وكان أبرز ما حققه الإسلام في المدينة " محو البدوية الجاهلية ، وإقامة حضارة اجتماعية جديدة راقية ، تقوم على الحرية والإخاء والمساواة ، وتسمو بالإنسانية ، وتقضي على الجهل والفاقة ، وتدعم روح الجماعة ، وتقضي على الروح الانفصالية ، والإقليمية والفردية ، وتحقق الزمالة الإنسانية ، والمشاعر العالمية " (٣)

---

(1) د. علي حسني الخربوطلي " الحضارة الإسلامية " دار المعارف ص ٨

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ، سيرة ابن هشام باب وموادعته ﷺ اليهود الذين كانوا بالمدينة.

(3) د. علي حسني الخربوطلي " الحضارة الإسلامية " مرجع سابق ص ١٢

وانتقلت زعامة العرب من قريش إلى المسلمين في المدينة وتأكد ذلك بفتح المسلمين مكة ودخول الناس في دين الله أفواجاً ، لكن على الرغم من أن المسلمين لم يرغموا أحداً على اعتناق الإسلام لأنه ﴿لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ﴾ [البقرة:٢٥٦] ولكن بفضل تعاليم الإسلام السامية التي تأمر بالعدل والإحسان وصلة الأرحام ، وتنهى عن الظلم والبغي ومنكر القول والعمل انتشر الإسلام ﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [ النحل : ٩٠ ] .

دخل أبناء الأمم المفتوحة من عرب وعجم في دين الله أفواجاً لما رأوا من أن الإسلام دين متوازن .. كما أنه يسوي بين الناس مهما اختلفت أعراقهم فقد خلقوا من أب واحد وأم واحدة ، ولا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [ الحجرات : ١٣ ] .

وحارب الإسلام كل ألوان العصبية ، ودعا إلى الأخوة والمحبة بين جميع المسلمين حتى يشيدوا صرح الإسلام العظيم ، وأخرج الإسلام أجمل ما في المؤمنين به من فكر وعلم وحضارة وتقدم ، كل ذلك مع إيمان وحسن خلق لذا لا عجب أن شهد العالم ظهور حضارة عظيمة ورثت الحضارات البائدة وارتقت بالبشرية إلى معارج الرقي والتقدم .

## الحضارة الإسلامية

إن نظام الخلافة الإسلاميَّة يجعل جميع البلاد التي فتحها المسلمون ولايات تابعة لخلفاء المسلمين كأنها محافظات في دولة مركزيَّة يتحكَّم في كل شئون الولايات التابعة له ابتداء من تعيين الوالي وعامل الخراج (وزير المالية) حتى التحقيق في شكوى آحاد الرعيَّة ، كما جعل نظام الخلافة الولايات الإسلامية

كالأواني المستطرقة(١) يفيض غنيُّها على غَيْض فقيرها ؛ فلا حدود جغرافيَّة سياسيَّة ولا قيود على حركة سكانها ؛ فحريَّة التنقُّل والسفر والإقامة الدائمة أو المؤقتة مكفولة لكل الناس في بلاد الإسلام لكل المسلمين ، وقد نتج عن ذلك انصهار الولايات الإسلاميَّة في دولة الخلافة لذا لا نستطيع القول إن هناك ولاية من الولايات الإسلاميَّة أنشأت حضارة خاصة اعتمدت فيها فقط على عواملها الطبيعيَّة والبشريَّة ، لذا دأب المؤرخون على الحديث عن الحضارة الإسلاميَّة بصفة عامَّة ، ولم يتحدَّثوا قط عن حضارة بغداد أو القاهرة أو خراسان أو مكة ... كحضارات مستقلَّة كالحضارة المصريَّة القديمة ، الحضارة السومريَّة ، الحضارة البابليَّة ، الحضارة الآشوريَّة ، الحضارة الفينيقيَّة ، الحضارة الأكديَّة ، الحضارة الساسانيَّة ... فأصحاب كل هذه الحضارات وغيرها صارت تجمعهم حضارة واحدة في الخلافة الإسلاميَّة ذلك النظام الديني السياسي الذي خضعت له البلاد الإسلاميَّة أكثر من ألف سنة ، وإن كانت هناك بعض الولايات لها وضع متميز في العلم والثقافة ومظاهر الحضارة كمصر ودمشق وبغداد وقرطبة .

لقد قامت الحضارة الإسلاميَّة على أكتاف كل المسلمين فمسلمو العرب فتحوا البلاد ونشروا الدين ، ومسلمو الأمم الأخرى كمصر والشام والعراق والأندلس .. أقاموا صرح الحضارة على هدى الإسلام وتعاليمه ، وبما تعلَّموه من حضارة أممهم والأمم الأخرى من أصحاب الحضارات القديمة ، وكان مسلمو العرب من الذكاء بحيث أبقوا على النظم الإداريَّة والسياسيَّة والماليَّة التي كانت مُتَّبَعة سابقاً في البلاد المفتوحة ذات الحضارة ، كما حافظوا على التقاليد الفنيَّة والصناعيَّة لدى أهلها .

وتعدُّ الحضارة الإسلاميَّة واحدة من أعظم الحضارات التي عرفها العالم " بسبب الدور الذي لعبته في تاريخ الإنسانية ، ففي بوتقة الحضارة الإسلاميَّة التقت

(1) تنص نظرية الأواني المستطرقة على أننا إذا ما وضعنا سائلاً ما في مجموعة أوانٍ يتصل بعضها ببعض فإن المستوى العلوي للسائل سيكون متساوياً في الأواني جميعها، على الرغم من اختلافها في الشكل والحجم .

حضارات عديدة متباعدة نجحت في اختيار العناصر الصالحة منها ثم مزجت بينها وأكملت نواحي النقص فيها . " (1)

ولاغرو أن استفادت الحضارة الإسلاميَّة من الحضارات السابقة فهي تُعِدُّ نفسها الوريثة الشرعيَّة للحضارة المصريَّة القديمة أمِّ الحضارات كما أنها انتفعت بكل العلوم الأخرى التي تتفق وشريعة الإسلام ، فالعلوم العقليَّة كالطبيعة والرياضة والتكنولوجيا لا وطن لها ولا دين " العلوم العقليَّة كالطبيعة والرياضة والطب فأكثر ما تعتمد على معقوليَّة الحقائق وامتحانها إما عن طريق المنطق ، وإما عن طريق تجربة الحقائق وامتحانها عمليّاً ، فإذا ذكرت حقيقة فقلما يعنون بقائلها ، ولكنهم يعنون بوضع قواعد المنطق ، هل من قوانينه ما يؤيدها أو ما ينقضها ، وكذلك يمتحنونها عمليّاً ليرقبوا نتيجتها فيحكموا عليها بالخطأ أو الصواب " (2)

## أسس بناء الحضارة الإسلامية

وبناء على ما سبق يتبيَّن لنا الأسس التي بنيت عليها الحضارة الإسلاميَّة وهي كالتالي :

١- دين قويم عمل على توحيد العرب والمسلمين ، ونزع من نفوسهم أدران الشرك والعصبيَّة الجاهليَّة ، والسمات السلبيَّة .

٢- دعوة الإسلام إلى التفكير والإبداع وإعمال العقل ، ذم التقليد والتكرار واتباع الهوى .

٣- دعوة الإسلام للتفكر في الآفاق وفي النفس ، وهما مجال البحث العلمي الحديث.

٤- دعوة الإسلام لدراسة سير الأمم السالفة واستخلاص العبرة منها .

٥- ربط الإيمان بالعمل الصالح الذي يعني كل عمل يعود بالنفع على الإنسان أو غيره سواء أكان دينيّاً أم دنيويّاً .

---

(1) د. أحمد عبد الرازق أحمد " الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى " دار الفكر العربي ص ١١
(2) أحمد أمين " ضحى الإسلام " ص ١٦ الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٦- الانفتاح على الحضارات الأخرى وترجمة علومها ومعارفها وفنونها إلى العربيَّة .

٧- تشجيع الخلفاء والأمراء العلم والعلماء ، والإنفاق عليهما بسخاء .

٨- علو منزلة العلماء بين الناس بفضل تعاليم الدين الإسلامي الذي رفع درجتهم ، وجعلهم ورثة الأنبياء ، وجعل تفكر ساعة خير من عبادة سنة .

٩- إنشاء المدارس والجامعات والمكتبات ودور العلم وجعلها جميعاً بالمجان لطلاب العلم والمعرفة .

١٠- الإنفاق على طلاب العلم وتأمين معاشهم ، وإتاحة حرية السفر لهم.

١١- عدم الحجر على آراء العلماء ، وفتح باب الاجتهاد أمامهم واسعاً .

١٢- أدب الاختلاف ، ومقارعة الحجة بالحجة ، وعدم الاحتكام للعنف في نشر العلم .

## خصائص الحضارة الإسلامية

أبرز ما يلفت نظر الدارس لحضارتنا أنها تميزت بالخصائص التالية:

**١ - الوحدانية المطلقة في العقيدة :**

لقد قامت الحضارة الإسلامية على أساس الوحدانية المطلقة في العقيدة، فقد نادت بالإله الواحد الذي لا شريك له في حكمه وملكه، هو وحده الذي يُعيد، وهو وحده الذي يُقصد وهو الذي يعز ويذل، ويعطي ويمنح، وما من شيء في السموات والأرض إلا وهو تحت قدرته وفي متناول قبضته.

هذا السمو في فهم الوحدانية كان له أثر كبير في رفع مستوى الإنسان وتحرير الجماهير من طغيان الملوك والأشراف والأقوياء ورجال الدين، وتصحيح العلاقة بين الحاكمين والمحكومين، وتوجيه الأنظار إلى الله وحده وهو خالق الخلق ورب العالمين.

كما كان لهذه العقيدة أثر كبير في الحضارة الإسلامية تكاد تتميز به عن كل الحضارات السابقة واللاحقة، وهي خلوها من كل مظاهر الوثنية وآدابها وفلسفتها في العقيدة والحُكْم والفن والشعر والأدب، إن الإسلام الذي أعلن الحرب على الوثنية ومظاهرها لم يسمح لحضارته أن تقوم فيها مظاهر الوثنية وبقاياها المستمرة من أقدم عصور التاريخ، كتماثيل العظماء والصالحين والأنبياء والفاتحين.

**٢ – إنسانية النزعة والهدف، عالمية الأفق والرسالة :**

وثاني خصائص حضارتنا أنها إنسانية النزعة والهدف، عالمية الأفق والرسالة، فالقرآن الذي أعلن وحدة النوع الإنساني رغم تنوع أعراقه ومنابته ومواطنه، في قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبًا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ [الحجرات: ١٣] .

إن القرآن الكريم حين أعلن هذه الوحدة الإنسانية العالميَّة على صعيد الحق والخير والكرامة جعل حضارته عِقْدًا تنتظم فيه جميع العبقريات للشعوب والأمم التي خفقت فوقها راية الفتوحات الإسلامية، ولذلك كانت كل حضارة تستطيع أن تفاخر بالعباقرة الذين أقاموا صرحها من جميع الأمم والشعوب، فأبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد والخليل وسيبويه والكندي والغزالي والفارابي وابن رشد وأمثالهم ممن اختلفت أصولهم وتباينت أوطانهم، ليسوا إلا عباقرة قدَّمت فيهم الحضارة الإسلامية إلى الإنسانية أروع نتاج الفكر الإنساني السليم.

**٣ – مراعاة المبادئ الأخلاقية تشريعًا وتطبيقًا :**

وثالث خصائص حضارتنا أنها جعلت للمبادئ الأخلاقيَّة المحل الأول في كل نظمها ومختلف ميادين نشاطها ، وهي لم تتخلَّ عن هذه المبادئ قط ، ولم تجعل وسيلة لمنفعة دولة أو جماعة أو أفراد، ففي الحكم وفي العلم وفي التشريع وفي الحرب وفي السلم وفي الاقتصاد وفي الأسرة، روعيت المبادئ الأخلاقية تشريعًا وتطبيقًا، وبلغت في ذلك شأوًا ساميًّا بعيدًا لم تبلغه حضارة في القديم والحديث،

ولقد تركت الحضارة الإسلامية في ذلك آثارًا تستحق الإعجاب وتجعلها وحدها من بين الحضارات التي كفلت سعادة الإنسانية سعادة خالصة لا يشوبها شقاء.

**٤ – الإيمان بالعلم في أصدق أصوله :**

الحضارة الإسلامية حضارة تؤمن بالعلم في أصدق أصوله ، وترتكز على العقيدة في أصفى مبادئها ، فهي تخاطب العقل والقلب معًا ، وتثير العاطفة والفكر في وقت واحد .

وسر العجب في هذه الخاصة من خصائص حضارتنا أنها استطاعت أن تنشئ نظامًا للدولة قائمًا على مبادئ الحق والعدالة، مرتكزًا إلى الدين والعقدية دون أن يقيم الدين عائقًا ما دون رقي الدولة واطراد الحضارة، بل كان الدين من أكبر عوامل الرقي فيها، فمن بين جدران المساجد في بغداد ودمشق والقاهرة وقرطبة وغرناطة انطلقت أشعة العلم إلى أنحاء الدنيا قاطبة .

إن الحضارة الإسلامية لا يُفصل فيها الدين عن الدولة مع نجاتها من كل مآسي المزج بينهما كما عرفته أوروبا في القرون الوسطى.

لقد كان رئيس الدولة خليفة وأميرًا للمؤمنين، لكن الحكم عنده للحق والتشريع للمختصين فيه، ولكل فئة من العلماء اختصاصهم والجميع يتساوون أمام القانون، والتفاضل بالتقوى والخدمة العامة للناس " وايْمُ اللهِ، لو أنَّ فاطِمَةَ بنتَ مُحمدٍ، سَرَقَت لَقَطَعَ مُحمدٌ يَدَها " [ متفق عليه ] .

هذا هو الدين الذي قامت عليه حضارتنا، ليس فيه امتياز لرئيس ولا لرجل دين ولا لشريف ولا لغني .

**٥ – التسامح الديني :**

وآخر ما نذكره من خصائص حضارتنا هذا التسامح الديني العجيب الذي لم تعرفه حضارة مثلها قامت على الدين. إن الذي لا يؤمن بدين ولا بإله لا يبدو عجيبًا إذا

نظر إلى الأديان كلها على حد سواء، وإذا عامل أتباعها بالقسطاس المستقيم، ولكن صاحب الدين الذي يؤمن بأن دينه حق وأن عقيدته أقوم العقائد وأصحَّها، ثم يتاح له أن يحمل السيف، ويفتح المدن، ويستولي على الحكم، ويجلس على منصة القضاء، ثم لا يحمله إيمانه بدينه، واعتزازه بعقيدته، على أن يجور في الحكم، أو ينحرف عن سنن العدالة، أو يحمل الناس على اتباع دينه. إن رجلاً مثل هذا لعجيب أن يكون في التاريخ، فكيف إذا وجد في التاريخ حضارة قامت على الدين وشادت قواعدها على مبادئه ثم هي من أشد ما عرف التاريخ تسامحًا وعدالة ورحمة وإنسانية ! وحسبنا أن نعرف أن حضارتنا تنفرد في التاريخ بأن الذي أقامها دين واحد ولكنها كانت للأديان جميعًا . (١)

وأسمعك يا بنتي تسخرين ممن يتحدثون عن حضارة الإسلام التي لا وجود لهم إلا في أوهامهم أو كتبهم ، كما يزعم أعداؤها ، وتقولين إن جميع محاولات المسلمين لتطبيق شريعتهم لم تجن على شعوبهم إلا الخراب .

وأذكِّرُك ثانية بما دونتيه يا بنتي يوم ٤/ ١٢ / ٢٠١٦ " لا يضحكني شيء أكثر من مقولة يرددها الملايين " احنا لو فهمنا الدين صح وطبقناه صح حياتنا هتبقى جميلة خالص" ... الذي لا نستطيع فهمه صح خلال ١٤٠٠ سنة يبقى حاجة غير قابلة للفهم ، والذي لا نستطيع تطبيقه صح خلال ١٤٠٠ سنة يبقى حاجة غير قابلة للتطبيق ... حاجة مش عايزة ذكاوة ... مشكلة أغلب المتدينين إنهم مش عايزين يفهموا إن الدين مجرد شعور بالإيمان بخالق الكون ومصدقين كلام المشايخ والكهنة إن الدين نظام سياسي واقتصادي واجتماعي عشان كدة بقالهم ١٤٠٠ أو ٢٠٠٠ سنة بيحاولوا يدخلوا الفيل من خرم الباب وبيفشلوا ، ولسة بيحاولوا .. ومضيعين عمر شعوبنا في هذه المحاولة الخرقاء لحد ما القطر سابنا وبقينا حثالة الأمم. " .

---

(١) د. مصطفى السباعي " خصائص حضارتنا " بتصرف نقلاً عن الشبكة الإسلامية .

وسأقوم بتذكيرك يا بنتي ببعض إنجازات الحضارة الإسلامية التي شهد العالم بعظمتها وبفضلها على النهضة الأوربية الحديثة .

## من إنجازات الحضارة الإسلامية على البشرية

لقد تركت حضارتنا الإسلامية آثارًا خالدة في مختلف النواحي العلمية والخلقية وغيرها، وحققت دورًا عظيمًا في تأريخ تقدم الإنسانية، وخلّفت آثارًا بعيدة المدى قوية التأثير فيما وصلت إليه المدنيات الحديثة، وليس هذا من المبالغة في شيء، ولا ضَرْبًا من التفاخر الكاذب والادعاء المذموم، وإليك بعض الشواهد الواقعية والنماذج الحية من تأريخ حضارتنا المشرق الوضاء، الذي ينضح عدلاً ورحمة وإنصافًا حتى مع المُخَالف .

إن النهضة الأوربية وما ينعم به الغرب الآن لم يكن من قبيل الصدفة إنما كان ثمرة عمل متصل وجهد دءوب لِمَا يزيد على خمسة قرون متصلة أفادوا فيها من الحضارة العربية أيما إفادة وهذه حقيقة لا ينكرها إلا جاحد ولا يعترض عليها إلا معاند ، فيقول سارتون " لولا أعمال العلماء العرب ، لاضطر علماء النهضة الأوربية أن يبدءوا من حيث بدأ هؤلاء ولتأخر سير المدنية عدة قرون " (١)

ففي نزعة حضارتنا الإنسانية يُعلن الإسلام المبدأ الإنساني الخالد: ﴿يَأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عَندَ ٱللَّهِ أَتْقَكُمْ﴾[الحجرات: ١٣] لينقل الإنسانية من أجواء الحقد والكراهية، والتفرقة والعصبية، والتمييز العنصري إلى المساواة والتعاون الذي لا أثر فيه لاستعلاءٍ عرقي أو عنصري، ويتجلى ذلك في مبادئ حضارتنا وتشريعاتها وواقعها.

وقد زخرت كتب السير والتأريخ بوقائع كثيرة، هذا أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، يرى مرة في السوق شيخًا كبيرًا يسأل الصدقة، وكان يهوديًا من سكان

---

(1) نفسه ص ١٩١ .

المدينة، فيسأله (عن حاله، وإذا بعمر المسلم الإنساني الملهم يقول له: " ما أنصفناك إذ أخذنا منك الجزية في شبيبتك، ثم ضيعناك شيخًا " وأخذ بيده إلى بيته، فقدم له من طعامه، ثم أرسل إلى خازن بيت المال أن افرض له ولأمثاله ما يغنيه ويغني عياله.

هذا من شواهد الروعة الحضارية في تأريخ أمتنا المجيد.

وفي مجال النظرة إلى المُخَالِف أعلنت حضارتنا الإسلامية مبدأ الإنصاف، وحسن التعامل، والدعوة إلى الله بالحسنى، مؤكدة الإيمان بجميع الرسل عليهم الصلاة والسلام، ﴿ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ ﴾ [البقرة:١٣٦] مع الحرص على مبدأ الحوار والإقناع ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ٩٩] ﴿وَلاَ تُجَدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلاَّ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [العنكبوت: ٤٦] مع التأكيد على الأخذ بقاعدة سد الذرائع في عدم سبّ آلهتهم، حتى يكون لهم ما لنا، وعليهم ما علينا، والحرص على المصاحبة بالمعروف، وحسن الجوار، وكريم المعاملة، فقد كان لرسول الإسلام ﷺ جيران من أهل الكتاب، فكان يزورهم ويتعاهدهم ببره، ويقبل هداياهم، وما كتاب أمير المؤمنين عمر لأهل إيليا، وإعطاؤهم الأمان على أنفسهم وأموالهم وأماكن عباداتهم، وإجابتهم لاشتراطهم ألا يساكنهم فيها يهودي إلا أنموذج رائعٌ يحمل مغزى عميقًا في آثار حضارتنا الإسلامية، مما دعا كثيرًا من منصفيهم إلى الاعتراف بأن الأمم لم تعرف فاتحين راحمين متسامحين مثل العرب، ولا دينًا سمحًا مثل دينهم، والفضل ما شهدت به الأعداء.

وثمة جانب مشرق في حضارتنا الإسلامية ألا وهو جانب أخلاقنا الحربية، فقد أشرقت شمس حضارتنا والعالم كلُّه تحكمه شريعة الغاب، حتى تردّى إلى عالم الوحوش الكاسرة، فوضعت حضارتنا الضوابط الحربية محرِّمة الحرب للنهب والسلب، وإذلال كرامة الشعوب، وسحق المجتمعات، وجعلت لها غايات نبيلة، منها الدفاع عن عقيدة الأمة وأمن المجتمع وردّ عدوان المعتدين ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ

ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٠] فالحرب لا تنسينا مبادئنا، ولذلك جاءت الوصايا الكريمة حينما يشتد الوطيس: " لا تمثلوا، ولا تغدروا، ولا تغلوا، ولا تقتلوا شيخًا ولا وليدًا ولا امرأة، ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرًا إلا لمأكله، وسوف تمرون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له "، جاء هذا في وصية أبي بكر الصديق حينما أنفذ جيش أسامة .

وأبلغ من هذا رسول الإسلام في غزوة أحد " لمَّا كُسِرتْ رَباعيَّةُ رسولِ اللهِ ﷺ وشُجَّ في جبهتِه فجعلت الدِّماءُ تسيلُ على وجهِه قيل : يا رسولَ اللهِ ، ادعُ اللهَ عليهم فقال ﷺ : " إنَّ اللهَ تعالَى لم يبعثْني طعَّانًا ولا لعَّانًا ، ولكن بعثني داعيةً ورحمةً ، اللَّهمَّ اهدِ قومي فإنَّهم لا يعلمون " [ رواه البيهقي في شعب الإيمان ] وهكذا قال يوم الفتح: " يا معشرَ قريشٍ ما ترَونَ أنِّي فاعلٌ بكم ؟ قالوا : خيرًا ، أخٌ كريمٌ ، وابنُ أخٍ كريمٍ ، فقال : اذهبوا فأنتم الطُّلَقاءُ " ورأى في بعض غزواته امرأة مقتولة فغضب وقال: " ألم أنهكم عن قتل النساء؟! ما كانت هذه لتقاتل" .

ويمضي تأريخنا المجيد مسجلاً هذه الروائع، ففي حروب التتار وقع بأيديهم كثيرٌ من أسرى المسلمين وأهل الذمة، فتدخل ابن تيمية في فك الأسرى، فأجابه الوالي إلى فكّ أسرى المسلمين فقط، فأبى الشيخ ذلك، وقال: "لا بد من افتكاك الجميع، من أهل ديننا وأهل ذمتنا، ولا ندع أسيرًا لا من أهل الملة ولا من أهل الذمة"، وهكذا تعامل حضارتنا الأسرى من المسلمين وغيرهم .

ولما فتح صلاح الدين بيت المقدس كان فيها ما يزيد على مائة ألف من غير المسلمين فبذل لهم الأمان على أنفسهم وأموالهم، وسمح لهم بالخروج منها لقاء شيء يسير يدفعه المقتدرون منهم، ومن لا يقدر من الفقراء ففداؤه عليه . (١)

---

(١) الشيخ عبد الرحمن السديس نقلاً عن الشبكة الإسلامية .

## آثار الحضارة الإسلامية في تاريخ الإنسانية

إنّ الحضَارَات إنَّما تخلُد بمقدار ما تُقدمه في تاريخ الإنسانيَّة من آثار خالدة في مُختلف النَّواحي الفِكرية، والخلقية، والمادية، والحَضَارة الإسلامية لعبت دورًا خطيرًا في تاريخ التقدُّم الإنْسَاني، وتركت في ميادين العقيدة والعلم، والحكم والفلسفة، والفن والأدَب وغيرها – آثارًا بعيدة المدى، قويةَ التأثير فيما وصلت إليه الحَضَارة الحديثة، فما الآثار؟ وما أهميتها؟

نستطيع أن نجمل الآثار الخالدة لحضارتنا في ميادين أربعة رئيسة:

**أولاً** : **في ميدان الفلسفة والعلوم**

أفاقت أوروبا في عصورها المظلمة على صوت علمائنا وفلاسفتنا يدرِّسون هذه العلوم في مساجد إشبيلية وقرطبة وغرناطة وغيرها، وكان روَّاد الغَربيين الأُول بمدارسنا شديدي الإعجاب والشغف بكُلِّ ما يستمعون إليه من هذه العلوم، في جوٍّ من الحرِّية لا يعرفون له مثيلاً في بلادهم؛ ففي الوقت الذي كان فيه علماؤنا يتحدَّثون في حلقاتهم العلميَّة ومؤلفاتهم عن دوران الأرض وكرويَّتها، وحركات الأفلاك والأجرام السماويَّة – كانت عقول الأوروبيين تمتلئ بالخرافات والأوهام عن هذه الحقائق كُلِّها؛ ومن ثَمَّ ابتدأت عند الغَربيين حركة التَّرجمة من العَربية إلى اللاتينية، وغدت كُتُب علمائنا تُدرَّس في الجامعات الغَربية؛ فقد تُرجم كتاب (القانون) في الطبِّ لابن سينا في القرن الثاني عشر، كما تُرجم كتاب (الحاوي) للرَّازي – وهو أوسع من القانون وأضخَم – في نهاية القرن الثالث عشر، وظل هذان الكتابان عمدة لتدريس الطب في الجامعات الأوروبية حتَّى القرن السادس عشر، أمَّا كتب الفلسفة فقد استمرت أكثر من ذلك، ولم يعرف الغَرب فلسفة اليونان إلاَّ عن طريق مُؤلفاتنا وترجماتنا، ومن هنا يعترف كثير من الغَربيِّين بأنَّنا كنا في القرون الوسطى أساتذة أوروبا مدةً لا تقل عن ستمائة سنة.

يقول العلاَّمـة المستشرق "سيديو": "كـان العَرب وحدَهم حـاملين لـواءَ الحَضَارة الوسطى، فدحروا بربرية أوروبا التي زلزلتها غاراتُ قبائل الشمال، وسار العَرب إلى منابع فلسفة اليونان الخالدة، فلم يقفوا عند حدٍّ ما اكتسبوه من كُنُوز المعرفة، بل وسعوه وفتحوا أبوابًا جديدة لدرس الطبيعة"، ويقول أيضًا: "والعَرب حين زاولوا علم الهيئة عُنُوا عناية خاصَّة بالعلوم الرياضية كلِّها؛ فكان لهم فيها القدح المعلَّى، فكانوا أساتذة لنا في هذا المضمار بالحقيقة " .

ويقـول "هومبلـد" فـي كتابـه عـن الكـون: "والعَـرب هـم الـذين أوجـدوا الـصَّيْدَلَةَ الكيماويـة، ومـن العَـرب أتـت الوصـايا المُحكَمـة الأولـى التـي انتحلتهـا مدرسـة (ساليرم) فانتشرت في جنوب أوروبا بعد زمَن، وأدَّت الصيدلة ومادة الطب اللتان يقوم عليهما فنُّ الشفاء إلى دراسة علم النبات والكيمياء في وقت واحدٍ، ومن طريقين مُختَلِفين، وبالعَرب فُتِحَ عهدٌ جديد لذلك العلم " .

ويقول "سيديو" عن الرَّازي وابن سينا: " إنَّهما سيطرا بكُتُبهما على مدارس الغَرب زمنًا طويلاً، وعُرف ابن سينا في أوروبا طبيبًا؛ فكان له على مدارسها سلطان مطلق مدَّة ستة قرون تقريبًا، فتُرجِم كتابه (القانون) المشتمل على خمسة أجزاء، وطُبع عدَّة مرات؛ لِعَدِّه أساسًا للدراسات في جامعات فرنسا وإيطاليا " .

## مناقشة حول ابن سينا والرازي

قالت منَّة معلقة على حديثي عن ابن سينا : " فى صفحة رقم ١١٦ ذكرت فضل ابن سينا من باب المباهاة بانجازاته وانها ثمرة للحضارة الاسلامية رغم ان ابن سينا عانى فى حياته الامرين من تضييق تلك الحضارة ودخل السجن مرات واتفق فقهاء عصره على تكفيره، فعن اى حضارة وحرية تتحدث!! " .

الحقيقة يا بنتي على النقيض مما ذكرتيه فلقد كان للحضارة الإسلامية وحكامها أعظم الأثر في نشأة وتكوين ابن سينا ، ولم يعادِ بعض الناس ابن سينا بسبب اشتغاله بالعلم إنما بسبب اشتغاله بالسياسة وعمله كوزير ، أما تكفير بعض

العلماء ابن سينا فكان هذا رأيهم في آرائه الفلسفية لا في بحوثه العلميَّة ، والحضارة الإسلاميَّة اتَّسعت لجميع الآراء والأفكار الدينيَّة والفلسفيَّة وإن كانت متطرِّفة وشاذة . وسوف أذكر لك ما كتبه ول ديورانت المؤرخ الأمريكي الشهير الذي أعتقد أن شهادته غير مجروحة بالنسبة لك " وبسط السامانيون رعايتهم على ابن سينا أعظم فلاسفة العصور الوسطى جميعها، وفتحوا له أبواب مكتبة بلادهم العظيمة الغنية بما فيها من المؤلفات " .

ويقول عنه أيضاً : " وشفى وهو في السابعة عشر من عمرهِ نوح بن منصور أمير بخارى من مرضهِ، معين في منصب في بلاطهِ، وكان يقضي في الدرس ساعات طوالاً في مكتبة السلطان الضخمة. ولما قضي على سلطان السامانيين في أواخر القرن العاشر الميلادي لجأ ابن سينا إلى بلاط المأمون أمير خوارزم. ولما استدعى محمود الغزنوي ابن سينا والبيروني وغيرهما من جهابذة العلماء في بلاط المأمون، لم يطع ابن سينا أمره، وفرَّ هو وزميل له من العلماء إلى الصحراء. وهبت عليهما عاصفة رملية مات فيها زميلهُ، ونجا ابن سينا ووصل إلى جرجان بعد أن قاسى كثيراً من الصعاب، وفيها عين في منصب في بلاط قابوس. ونشر محمود الغزنوي في بلاد الفرس صورة لابن سينا، ووعد من يقبض عليه بجائزة سخية، ولكن قابوس حماه من عيون الأمير. ولما قتل قابوس دعي ابن يسنا لعلاج همذان، وشفي الأمير على يديهِ فاتخذه وزيراً له، ولكن الجيش لم يرتح لحكمهِ، فقبض عليه ونهب بيتهُ، وأراد أن يقتله. واستطاع ابن سينا أن يفلت منهم ويختبئ في بيت صيدلي، وبدأ وهو في مخبئهِ يؤلف كتبهُ التي كانت سبباً في شهرتهِ. وبينما هو يدبر لنفسهِ أمر الفرار سراً من همذان قبض عليه ابن الأمير وزج به في السجن حيث قضى عدة أشهر واصل فيها التأليف. واستطاع مرة أخرى أن يفرَّ من السجن، وتخفى في زي أحد رجال الطرق الصوفية، وبعد عدة مغامرات لا تتسع لها صحائف هذا الكتاب وجد له ملجأ في بلاط علاء الدولة البويهي أمير أصفهان، ورحب بهِ الأمير وكرمهُ، وهنا التفت حوله جماعة من العلماء والفلاسفة وأخذوا يعقدون مجالس علمية برياسة الأمير نفسه. ويستدل من

بعض القصص التي وصلت إلينا أن فيلسوفنا كان يستمتع بملاذ الحب، كما يستمتع بملاذ الدرس. غير أن قصصاً تصوره لنا مكباً بالليل والنهار على الدرس، والتعليم، والشؤون العامة " .

وعادت منَّة تقول : " وابن سينا ليس استثناءا فقد عانى اغلب العلماء الذين عاشوا فى ظل الخلافة الاسلامية، وذكرت ايضا ابو بكر الرازى رغم ان كتبه تشهد بأنه لم يكن مسلما واتفق الفقهاء ايضا على تكفيره واعتقد انك تعلم جيدا مصير كتب ابن رشد وكتب المعتزلة التى احرقت جميعا حتى بتنا نعلم عنهم من كتب المخالفين لهم. " .

أبو بكر الرازي الذي تزعمين أنه ليس مسلماً تقول عنه الموسوعة العربية (١) : " أبو بكر الرازي. كان من الأطباء المسلمين الذين برعوا في المعالجة بالأعشاب. درس الرازي الطب والصيدلة وعلم الكيمياء وأشرف على المستشفيات في مدينة الرّي وعلى مستشفيات بغداد بعد ذلك. وكان الرازي قد وضع كتابًا أسماه المنصوري؛ تُرجم إلى اللاتينية بوساطة جيرار الكريموني. ودُرِّست الأجزاء الطبية منه في أوروبا حتى القرن السادس عشر الميلادي. ومن أشهر كتب الرازي في المعالجة بالأعشاب كتابه الحاوي. وكان هذا الكتاب واحدًا من تسعة كتب كانت تُدرّس في كلية الطب بباريس عام ١٣٩٤م." .

ويقول عنه ديورانت " ولقد كان الرازي بإجماع الآراء أعظم الأطباء المسلمين وأعظم علماء الطب السريري (الكلينيكي) في العصور الوسطى . ومات الرجل فقيراً في الثانية والثمانين من عمرهِ. وقد علقت في مدرسة الطب بجامعة باريس صورتان ملونتان لطبيبين مسلمين هما: الرازي وابن سينا. وكان أبو علي الحسين بن سينا (٩٨٠-١٠٣٧) أعظم فلاسفة الإسلام وأشهر أطبائه " (٢)

---

(1) الموسوعة العربية العالمية : عمل موسوعي ضخم اعتمد في بعض أجزائه على النسخة الدولية من دائرة المعارف العالمية World Book International . شارك في إنجازه أكثر من ألف عالم، مؤلف، ومترجم، ومحرر، ومراجع علمي ولغوي، ومخرج فني، ومستشار، ومؤسسة من جميع البلاد العربية .
(2) ول ديورانت " قصة الحضارة " ج ١٤ ص ٥٣ .

نعم بعض العلماء رمى الرازي وابن سينا بالكفر بسبب آرائهما الفلسفية لا بسبب علومهما الطبية ولم يتعرض أحدهما للاضطهاد بسبب اعتقاده وآرائه الدينية ، وهذا ما يؤكد مناخ الحرية الذي ساد الحضارة الإسلامية الذي ازدهرت فيه شتى العلوم والمعارف ، وإن كانت هناك استثناءات فإنها تؤكد القاعدة ولا تنفيها .

وبعد أن ناقشنا رد منه حول ابن سينا والرازي نعود لاستكمال الحديث عن آثار الحضارة الإسلامية .

**ثانياً : في ميدان اللُغة والأدَب:**

فقد تأثر الغَربيُّون – خاصَّة شعراء الإسبان – بالأدَب العَربي تأثرًا كبيرًا؛ فقد دخل أدب الفُرُوسيَّة والحماسة، والمجاز والتَّخيُّلات الراقية البديعة إلى الآدَاب الغَربية، عن طريق الأدَب العَربي في الأندَلس على الخصوص؛ يقول الكاتب الإسباني المشهور "أبانيز": "إنَّ أوروبا لم تكن تعرف الفُرُوسيَّة، ولا تدين بآدابها المرعيَّة، ولا نخوتها الحماسيَّة قبل وفود العَرب إلى الأندلس، وانتشار فُرسانهم وأبطالهم في أقطار الجنوب".

ومِن عباقرة الأدَب في أوروبا في القرن الرابع عشر وما بعده – مَن لا يُشَكُّ أبدًا في تأثير الآدَاب العَربية على قصصهم وآدابهم؛ ففي سنة ١٣٤٩هـ كتب "بوكاشيو" حكاياته المُسماة بـ "الصباحات العشرة"، وهي تَحذو حذو ألف ليلة وليلة، ومنها اقتبس شكسبير موضوع مسرحيته "العبرة بالخواتيم"، كما اقتبس لسنغ الألماني مسرحيته "ناتان الحكيم".

وكان شوسر إمام الشعر الحديث في اللغة الإنجليزية أكبر المقتبسين من بوكاشيو في زمانه؛ فقد لَقِيَه في إيطاليا، ونظم بعد ذلك قصصه المشهورة باسم (حكايات كانتربري).

أما (دانتي)، فيؤكد كثيرٌ من النُّقاد أنَّه كان في (القصَّة الإلهيَّة) – التي يصف فيها رحلتَه إلى العالم الآخر – متأثرًا برسالة الغفران للمعرِّي، ووصف الجنة لابن عربي.

وقد تأثرت القصَّة الأوروبيَّة في نشأتها بما كان عند العَرب من فنون القصص في القُرُون الوسطى، وهي المقامات، وأخبار الفُرُوسيَّة، ومُغامرات الفرسان في سبيل المجد والعِشق، وكان لألف ليلة وليلة – بعد ترجمتها إلى اللُّغات الأوروبيَّة في القرن الثاني عشر – أثرٌ كبيرٌ جدًّا في هذا المجال؛ حتَّى إنها طُبعت منذ ذلك الحين حتَّى الآن أكثر من ثلاثمائة طبعَة في جميع لُغات أوروبا؛ حتى لَيرى عددٌ من النُّقاد الأوروبيين أن رحلات (جليفر) التي ألَّفها (سويفت)، ورحلة (روبنسون كروزو) التي ألفها (ديفوه) – مدينة لألف ليلة وليلة، ولرسالة "حي بن يقظان" للفيلسوف العَربي ابن طفيل.

ولا حاجة بنا إلى أنْ نذكر ما دَخَل اللُّغات الأوروبية على اختلافها منْ كلمات عربيَّة في مُختلف نواحي الحَيَاة؛ حتَّى إنها لتكاد تكون كما هي في اللُّغة العَربية: كالقطن، والحرير الدِّمشقي، والمسك، والشراب، والجرة، والليمون، والصِّفر، وغيرها مِمَّا لا يُحصى.

**ثالثاً : في ميدان التّشريع**:

فقد كان لاتِّصال الطُّلاب الغَربيِّين بالمدارس الإسلاميَّة في الأندلس وغيرها – أثرٌ كبيرٌ في نقل مجموعة من الأحكام الفقهيَّة والتشريعيَّة إلى لُغاتِهم، ولم تكن أوروبا في ذلك الحين على نظام مُتقن ولا قوانين عادلة؛ حتَّى إذا كان عهد نابليون في مصر ترجمَ أشهر كُتُب الفقه المالكي إلى اللُّغة الفرنسيَّة، ومن أوائل هذه الكتب "كتاب خليل" الذي كان نواة القانون المدني الفَرَنسي، وقد جاء مُتشابهًا إلى حدٍّ كبير مع أحكام الفقه المالكي، يقول العلامة "سيديو": "والمذهب المالكي هو الذي يستوقفُ نظرنا على الخُصُوص؛ لما لنا من الصِّلات بعرب إفريقيَّة، وعهدت الحُكُومة الفرنسيَّة إلى الدكتور بيرون في أن يُترجم إلى الفرنسيَّة كتاب "المختصر في الفقه"، للخليل بن إسحاق بن يعقوب المتوفى سنة ١٤٢٢م".

**رابعًا: في مفهوم الدَّولة وعلاقة الشَّعب بالحكومة**:

فقد كان العالم القديم والوسيط يُنكر على الشَّعب حقَّه في الإشراف على أعمال حُكَّامه، كما يجعلون الصِّلة بينه وبين الحاكم صلةً بين العبد وسيِّده، فالحاكم هو السيد المطلق يتصرَّف بالشَّعب كما يشاءُ، وكانت المملكة تُعدُّ ملكًا خاصًّا للملك تُورثُ عنه كما تورث بقيَّة أمواله، ويستبيحون من أجل ذلك أن تقوم الحرب بين دولة وأخرى من أجل المُطالبة بحصة أميرة في العرش، أو للخلاف على ميراث الأصهار.

أمَّا العلاقة بين الأمم المُتحاربة، فهي استباحة الغالب لكُلِّ ما في يد المغلوب، وما في وطنه من مال وعِرض وحُرِّية وكرامَة، وظَلَّ الأمر كذلك حتَّى قامت الحَضَارة الإسلاميَّة تعلن فيما تعلن من مبادئها: أن الشَّعب هو صاحب الحقِّ في الإشراف على حُكَّامه، وأن هؤلاء ليسوا إلاَّ أُجَرَاء يسهرون على مصالح الشَّعب وكرامَته بأمانة ونزاهة، وفي هذا يقع لأول مرَّة في التَّاريخ أن يحاسب فردٌ من أفراد الشَّعب حاكمَه عما يلبس، من أين جاء به؟ فلا يحكم عليه بالإعدام، ولا يُقاد إلى السجن، ولا يُنفَى من الأرض، ولكن يقدم له الحاكم حسابه حتَّى يقتنع ويقتنع الناس، ولأول مرَّة في التَّاريخ يقول أحد أفراد الرَّعيَّة لحاكمِه الأكبر: السَّلام عليك، أيُّها الأجير، فيعترف الحاكمُ بأنَّه أجير الشَّعب، عليه ما على الأجير من حقِّ الخدمة بإخلاص، والنصح بأمانة، أعلنت الحَضَارة الإسلاميَّة هذا فيما أعلنته وطبَّقته بعد ذلك، فما هي إلا نسمة الحرية والوعي تهبُّ في الشعوب المجاورة للمُجتمع الإسلامي، فتتململ، ثم تتحرَّك، ثم تثور، ثم تتحرَّر.

وكان مما أعلَنَتْه حَضَارتنا في حُرُوبها: احترام العهود، وصيانة العقائد، وترك المعابد لأهلها، وضمان حُرِّيات النَّاس وكرامتهم، فأثارت في الشُّعوب المغلوبة لحكمها روح العِزَّة والكرامة، ونبهت فيهم معاني الإنْسَانية الكريمة العزيزة.

وكان في التَّاريخ لأول مرَّة أن يشكوَ والدُ مغلوبٍ الحاكمَ الغالبَ إلى رئيسِ الدَّولة الأعلى، من أنَّ ولدَ الحاكمِ قد ضرب ولده الصَّغير خفقتَين بالسَّوط على رأسه من

غير حق، ويغضب رئيس الدَّولة الأعلى، ويحاسب ولد الحاكم ويقتَص منه، ويقرع الحاكم ويؤنبه، ويقول له: "متى استعبدتم النَّاسَ وقد ولدتهم أمَّهاتُهم أحرارًا؟!".

إنَّ هذه روح جديدة تبعثُها حَضَارتُنا في الأفراد والشعوب.

وبعد، فهذه هي بعض الآثار الخالدة لحَضَارتنا في أربعة ميادين رئيسة، هي أبرز مظاهر الحَيَاة في الأُمَم والحضَارَات؛ ومن أجْل ذلك كان لنا – نحن أبناء هذه الحَضَارة – دَين على الشُّعوب التي حرَّرتها حَضَارتنا، يجبُ أن نستردَّه لا بالتَّفاخر الكاذب، ولا بالأماني والأباطيل، بل بمعرفتنا لقَدْر أنفسنا، وقيمة حَضَارتنا، وسُمُو تُراثنا، واستحقاقنا لأَنْ نكون الأمة الوسط التي تشهد على النَّاس، وتقودهم إلى الخير والحق والكرامة . (١)

## مناقشة حول حقيقة بناء العرب الحضارة الإسلامية

كان رد منَّة على بناء العرب حضارة إسلامية : " هل حقا بنى الاسلام حضارة اسلامية؟ او بمعنى ادق هل كانت الحضارة التى نشأت نتيجة عن تطبيق الاسلام؟ لا اعتقد، فلو ان الاسلام هو منشئ تلك الحضارة لكانت مكة او المدينة هما منارتا الحضارة الاسلامية، وذلك لم يحدث ابدا فلم يكن لهما اى دور فى مسيرة الحضارة وكانت مراكز الحضارة هى بغداد ودمشق مصر، وهى المدن ذات الحضارة العظيمة من قبل الاسلام حتى علماء الاندلس لم يكونوا عربا واغلبهم لم يكونوا مسلمين وانتهى بهم الامر الى احراق كتبهم وتكفيرهم. "

اعلمي يا بنتي أن أهل مكة والمدينة هم الذين قاموا بالدين الإسلامي إيماناً وتطبيقاً وتعليماً وجهاداً في سبيله ونشره في سائر ربوع العالم الإسلامي ، وأهل مكة والمدينة كانوا منارات الحضارة الإسلامية في علوم الدين وحسن السياسة وإن كانت هناك استثناءات فإنها تؤكد القاعدة .

---

(١) د. مصطفى السباعي " خصائص حضارتنا " بتصرف نقلاً عن الشبكة الإسلامية .

أما الحواضر الإسلامية : دمشق ، وبغداد ، ومصر ، والأندلس .. فقد قامت بالفعل – كما يقول ابن خلدون – بمنجزات الحضارة الإسلامية في العلوم والفنون والثقافة .ولكن قولي لي يا بنتي كيف كان حال هذه البلاد تحت حكم الفرس والروم وقبل أن يفتحها أهل مكة والمدينة وينشروا فيها الإسلام ؟

الحقيقة يا بنتي إن حضارة هذه البلاد : المصرية القديمة ، والآشورية ، والبابلية ، والساسانية ، والفينيقية كانت قد ماتت ولم يبق منها إلا آثارها الشاهدة عليها ، فلما فتح المسلمون هذه البلاد وحرروها ممن دمَّروا حضاراتها وأذلوا شعوبها ونهبوا ثرواتها ، نشر المسلمون فيها الحق والعدل ودعوة دين الإسلام إلى العلم والتعليم ، والفكر والتفكير ، والفهم والتدبر ، والنظر في أقطار السموات والأرض وفي النفس {إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالعَدْلِ } {النساء:٥٨} وقول النبي ﷺ " الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " [ متفق عليه ] { يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ } [المجادلة: ١١] وقول النبي ﷺ " مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَبْتَغِي فِيهِ عِلْماً سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقاً إِلَى الجَنَّةِ، وَإِنَّ المَلاَئِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ العِلْمِ رِضاً بِمَا يَصْنَعُ ، وَإِنَّ العَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّماوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ حَتَّى الحيتَانُ في المَاءِ ، وَفضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِ القَمَرِ عَلَى سَائِرِ الكَوَاكِبِ ، وَإِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ ، وَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يَوَرِّثُوا دِينَاراً وَلاَ دِرْهَماً وَإِنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بحَظٍّ وَافِرٍ " [صحيح أَبي داود والترمذي ] .{ أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى الإبل كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السمآء كَيْفَ رُفِعَتْ * وإلى الجبال كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الأرض كَيْفَ سُطِحَتْ } [ الغاشية : ١٧ –٢٠ ] {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي البَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ المُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ] [البقرة:١٦٤] .

إن العرب المسلمين ، رغم تراثهم العريق القديم الذي تمثل، في حضارات معين وسبأ وحمير في بلاد اليمن، إلا أنهم وجدوا في البلاد التي فتحوها حضارات قديمة راقية، ولها نظم في الزراعة وأعمال الري والصناعة، ولها تاريخ حافل في ميادين العلوم العقلية والتجريبية كالرياضيات والفلك والفيزياء، فأقرُّوا النافع من هذه النظم وأحيوا من العلوم والمعارف وما يتفق مع عقيدتهم. وهذا هو السر في تلك الحضارة العظيمة .

لقد قام المسلمون بنقل وترجمة وتعريب التراث الحضاري الإنساني ثم إذا ما تم لهم دراسته واستيعابه أخذوا ينتجون ويبدعون ويضيفون، حتى قدَّموا للعالم ما عرف بالحضارة العربية الإسلامية . وهذه ميزة تحسب لها لا عليها، إذ تعنى تفتح العقل المسلم واستعداده لتقبُّل ما لدى الآخرين، ولكن وضعه فيما يتناسب والنظام الإسلامي الخاص بشكل متكامل، ولا ينقص من الحضارة الإسلامية استفادتها من الحضارات السابقة، فالتقدُّم والتطوُّر يبدأ بآخر ما وصل إليه الآخرون، ثم تضيف الحضارة الجديدة وتكمل ما بدأته الحضارات الأخرى .

## مناقشة حول تأثر دانتي بالتراث الإسلامي

قالت منَّة عن تأثر " دانتي " بالتراث الإسلامي : " فى صفحة ١١٨ ذكرت ان "دانتى" فى كتابه "القصة الالهية" تأثر برسالة الغفران ووصف الجنة لابن عربى، بالمناسبة لا يوجد كتاب لدانتى يدعى القصة الالهية، انما "الكوميديا الالهية" ذلك هو العمل الاشهر لدانتى وهو يصف الحياة بعد الموت ومراحلها، الجحيم والمطهر والجنة، وذلك حسب العقيدة الكاثوليكية."

معك حق يا بنتي فكتاب " دانتي " هو " الكوميديا الإلهية " وأنا نقلت المعلومة دون مراجعتها ، وهي معلومة معروفة جداً ، وجلَّ من لا يسهو .

أما أن " دانتي " وصف الحياة بعد الموت حسب العقيدة الكاثوليكية . فاعلمي يا بنتي أن كبار مؤرخي الأدب الأوروبي يقرُّون بما لا يدع مجالاً للشك، أن

دانتي تأثر في هذا العمل بـ " رسالة الغفران " لأبي العلاء المعري الذي سبقه بـ ٢٦٤ سنة، وأخذ الفكرة والمنهج . الشاعران تخيلا الشعراء في العالم الآخر وهم يستغفرون ربهم من ذنوبهم العظيمة. كما قام الشاعران بإخراج مسرحية الواقع التاريخي للشخصيات المهمة في مجتمعهم وثقافتهم في إطار متخيل متقن ومدهش، تماماً كما ظهرت "رسالة الغفران" في العهد الإسلامي لفترة طويلة حين ظهرت الأفكار المنقولة والمماثلة كـ "الكوميديا الإلهية" لدانتي و" الفردوس المفقود" لملتون .الدليل الأقوى على نسخ دانتي لفكرة "رسالة الغفران" ظهر في القرن العشرين على يد مستشرق إسباني معاصر، عندما عثر على مخطوطين لترجمتين لقصة «الإسراء والمعراج»، خلص منها إلى نظرية تثبت أن دانتي قد بنى كوميدياه على أفكار وأصول إسلامية، من بينها " رسالة الغفران " وقصة " الإسراء والمعراج " .

## مناقشة حول الفتوحات الإسلامية

قالت منَّة عن الفتوحات الإسلامية : " قد استرسلت فى كتابك فى وصف مدى سماحة الفاتحين المسلمين كما لو كانوا انتصروا بالورود والازهار، فتح المسلمون البلاد بالسيف واستعبدوا اهلها، وادعوك لقراءة كتاب فتح البلدان للبلاذرى حتى تدرك حجم المعناة والذل الذى رأته الشعوب تحت هذا الحكم الذى تصفه بالسماحة." .

والرد على هذا الاتهام يحتاج إلى صفحات طوال ولقد كتبت فيه فصلاً كاملاً (1) – أكثر من خمسين صفحة – ولقد اعتمدت على الكتب والمراجع المسيحية في الإجابة عن التساؤلات التالية :

١–ماذا كان حال المصريين قبل الفتح العربي ؟

٢–ما موقف المصريين من الفاتحين العرب ؟

(1) في كتاب " لسنا فراعنة ولا عرباً ولا أورومتوسطين ، فمن نكون ؟

٣- هل كان الفتح العربي احتلالاً استيطانيّاً ؟ وكيف تمَّ هذا الفتح ؟

٤- هل أحرق عمرو بن العاص مكتبة الإسكندريَّة عند الفتح أو بعده ؟

٥- كيف حكم الولاة المسلمين مصر ؟

٦- ما حقيقة الجزية التي فرضها المسلمون على المصريين ؟

٧- لماذا ثار المصريون على بعض الولاة الأمويين والعباسيين ؟

٨- كيف دخل المصريون في الدين الإسلامي أفواجاً ؟

٩- هل المسيحيون مصريون ، والمسلمون عرب ؟

١٠- هل الإسلام خصيصة عربيَّة أم دعوة عالميَّة ؟

١١- ما الفرق بين العرب المُسْتَعْرِبَة ، والعرب المُسْتَعْجَمَة ؟

وسوف أقتطف من هذا الفصل بضع فقرات تخص موضوع النقاش .

## حال المصريين قبل الفتح الإسلامي

يقول د. ميلاد حنا : " عندما دخل القبط القرن السابع الميلادي كانت أزمة المجتمع من خلال الصراعات الدينيَّة قد استعصت على الحل وهنا حاول الإمبراطور هرقل (٦١٠ – ٦٤١ م) أن يعيد الوحدة إلى جسم الإمبراطوريَّة الممزَّق ، فطرح مذهباً دينيّاً جديداً عام ٦٢٢م بأن يوفِّق بين أصحاب مذهب الطبيعة الواحدة ( كنيسة الإسكندريَّة ) وأصحاب مذهب الطبيعتين ( كنائس قسطنطينيَّة وروما ) وأقام مذهبه التوفيقي على أساس وحدة المشيئتين في شخص المسيح أي المشيئة الإلهيَّة والمشيئة الإنسانيَّة .

ولم تنجح محاولات هرقل رغم استخدامه العنف ، ودخلت مصر فيما أسماه المؤرِّخون " عهد العذاب العظيم " واضطر البطريرك بنيامين الأول ( ٦٢٣ – ٦٦٢ م ) أن يترك كرسيِّه ويختفي هارباً فتشرَّد الأساقفة والقسس وأرغم الكثيرون

من الأهالي – بما في ذلك عدد من رجال الدين – على التنكُّر لعقيدتهم وهذا هو سر استمرار هذه الأقليَّة الهزيلة من " الروم الأرثوذكس " في مصر .

وحدث هذا كله في وقت احتدم فيه سخط الشعب واختل الأمن وتردَّت التجارة والصناعة وكانت هذه الأحوال كلها باعثاً للمصريين على الترحيب بالعرب ويحدوهم الأمل في أن يتمتعوا بحياة فيها راحة وطمأنينة . " (١)

## كيف فتح المسلمون مصر ؟

يقول يعقوب نخلة في كتابه " تاريخ الأمة القبطيَّة " الذي يمثِّل تاريخ الكنيسة المصريَّة شبه الرسمي : : " وصار عمرو يخترق الهضاب والبطاح ويجوب الفيافي والبلاد حتى وصل إلى حدود مصر فدخل مدينة العريش وذلك في ١٨ هـ ولمَّا استولى عليها وجد بها " أرمانوسة " بنت المقوقس فلم يمسَّسها بأذى ولم يتعرَّض لها بشرٍّ بل أرسلها إلى أبيها في مدينة منف مكرَّمة الجانب معزَّزة الخاطر فعدَّ المقوقس هذه الفعلة جميلاً ومكرمة من عمرو وحسبها منه له ." (٢)

ويقول أيضاً : " لمَّا وصل عمرو إلى بابليون وجد الحصن غاصّاً بأعظم أبطال الروم وأجنادهم فنزل أمامه بعسكره وحاصره وضيَّق على من فيه واستمر محاصراً له سبعة أشهر موالياً الهجوم من وقت إلى آخر والمقوقس يتظاهر بمقاومة جنود العرب وصد هجماتهم فلم يشك أحد من رؤساء جنود الروم في إخلاصه لدولته ولما طال الحصار وأبطأ الفتح طلب عمرو من الخليفة أن يمدَّه بالرجال فأنفذ إليه أربعة آلاف مقاتل فتقوَّى بهم وشدَّد الحصار وجعل يتخابر مع الروم في أمر التسليم بالتي هي أحسن فأبوا كل الإباء غير أن المقوقس كان يميل إلى ذلك تخلُّصاً من الروم إلا أنه لم يستطع أن يكشف عن غامض رغبته لأن رجاله ولاسيما الروم منهم لم يكونوا كلهم من حزبه ولما رأى تشديد الحصار وتجلُّد

(٢) د. ميلاد حنا " الأعمدة السبعة للشخصية المصرية " نهضة مصر ص ٩٤، ٩٥.
(١) يعقوب نخلة روفيله " تاريخ الأمة القبطية " مرجع سابق ص ٣٩، ٤٠

العرب على القتال عمد هو ومن معه من الذين كان يعتمد عليهم ويركن إليهم إلى الانسحاب من الحصن فانسحب منه وعبر نهر النيل وذهب إلى الجزيرة المعروفة الآن بالروضة وتحصَّن فيها وحصَّن مدينة منف أيضاً وترك الحصن في يد نفر قليل وكانت قيادة الجند موكلة لعهدة رجل من الروم يُسمَّى الأعرج وهذا لمَّا رأى أن المقوقس قد انسحب من الحصن تبعه برجاله وبقي في عهده عدد قليل من القبط لم يقووا على مقاومة العرب فعمدوا إلى الهرب قاصدين منف " (١)

## لماذا رحَّب المصريون بالفاتحين المسلمين ؟

لم يعتبر المصريون الفتح العربي الإسلامي غزواً واحتلالاً إنما اعتبروه منقذاً لهم من الظلم الروماني ؛ فقد سمعوا بعدل المسلمين في الأمم التي فتحوها .

يقول د. ميلاد حنا : " في القرن السابع دخل العرب إلى مصر في ظروف خاصة غير متكرِّرة إذ لم يتم الغزو بحد السيف ، بل رحَّب المصريون بالعرب كجزء من الخلاص في " عهد الاضطهاد العظيم " والذي كان قد سنَّه هرقل إمبراطور الرومان لإخضاع المصريين لعقيدة ومذهب مسيحي يختلف عن المذهب الأرثوذكسي الذي تمسَّكوا وناضلوا في سبيل الاحتفاظ به . " (٢)

والذي يؤكِّد ترحيب المصريين بالمسلمين ومساعدتهم في حربهم ضد البيزنطيين هو دخول المصريين في الإسلام أفواجاً وهم الذين قاوموا بل استشهدوا في سبيل الدفاع عن عقيدتهم ضد الرومان وغيرهم .

ويشهد التاريخ أن المصريين على الجملة لم يشاركوا في أي حرب ضد العرب المسلمين بل إنهم ساعدوهم على فتح مصر ، وقبلوا حكمهم راضين .

يقول يعقوب نخلة : " قال المقوقس لعبادة بن الصامت " اذهب الآن أنت وأصحابك وأعلم أميرك بأني مجيب له إلى واحدة من الخصال الثلاثة التي أرسل

---

(١) يعقوب نخلة روفيله " تاريخ الأمة القبطية " مرجع سابق ص ٤٠ ، ٤١
(٢) د. ميلاد حنا " الأعمدة السبعة للشخصية المصرية " نهضة مصر ص ٢٥ .

إلىَّ بها . فليضرب موعداً لاجتمع أنا به في نفر من أصحابي وهو في نفر من أصحابه ليستقيم الأمر بيننا وإلا عدنا إلى ما كنا عليه . ولما اجتمعا تقرَّر الصلح بينهما بوثيقة أن يعطي الأمان للأقباط ومن أراد البقاء بمصر من الروم على أنفسهم وأموالهم وكنائسهم وفي نظير ذلك يدفع كل قبطي دينارين ما عدا الشيخ والولد والمرأة وأُحْصِىَ من دفع الجزية في هذه السنة من القبط فكان عددهم ستة ملايين وقيل ثمانية . " (١)

## حقيقة الجزية

وعلى ذكر الجزية نترك الحديث عنها للدكتور نبيل لوقا بباوي الذي ألَّف كتاباً كاملاً فيها جاء فيه: " إن الجزية التي فُرِضَت على غير المسلمين في الدولة الإسلاميَّة بموجب عقود الأمان التي وُقِّعت معهم، إنما هي ضريبة دفاع عنهم في مقابل حمايتهم والدفاع عنهم من أي اعتداء خارجي، لإعفائهم من الاشتراك في الجيش الإسلامي حتى لا يدخلوا حرباً يدافعون فيها عن دين لا يؤمنون به. ومع ذلك فإذا اختار غير المسلم أن ينضمَّ إلى الجيش الإسلامي برضاه فإنه يعفى من دفع الجزية.

إن الجزية كانت تأتي أيضاً نظير التمتُّع بالخدمات العامَّة التي تقدمها الدولة للمواطنين مسلمين وغير مسلمين، والتي ينفق عليها من أموال الزكاة التي يدفعها المسلمون بصفتها ركناً من أركان الإسلام .

وهذه الجزية لا تمثِّل إلا قدراً ضئيلاً متواضعاً لو قورنت بالضرائب الباهظة التي كانت تفرضها الدولة الرومانيَّة على المسيحيين في مصر والتي كانت قدرها ٢٥ ضعفاً بالنسبة للجزية ، ولا يعفى منها أحد !! في حين أن أكثر من ٧٠% من الأقباط الأرثوذكس كانوا يعفون من دفع هذه الجزية. فقد كان يُعفى من دفعها: القُصَّر والنساء والشيوخ والعَجَزَة وأصحاب الأمراض والرهبان .

---

(٢) يعقوب نخلة روفيله " تاريخ الأمة القبطية " مرجع سابق ص ٤٣ ، ٤٤

ولم تكن الجزية من مستحدثات الإسلام فقد فرضها اليونانيون القدماء على شعوب سواحل آسيا لحمايتها من هجمات الفينيقيين وعرفت باسم "ضريبة الرءوس" في القرن الخامس الميلادي، كما فرضها الفرس والروم على الشعوب الخاضعة لهم." (١)

## كيف دخل المصريون في دين الله أفواجاً ؟

يا بنتي إذا كان المسلمون العرب قد استخدموا القوة في قتال الفرس والروم الذين احتلوا البلاد وأذلوا العباد فإن قيم الإسلام هي التي جعلت أهل هذه البلاد يستبدلون الإسلام واللغة العربية بأديانهم ولغاتهم ، وإليك حواراً جرى بين هرقل عظيم الروم وأبي سفيان بن حرب – وكان لمَّا يسلم بعد – يبين لك لماذا انتشر الإسلام .

" فَقَالَ [ هرقل ] لِلتَّرْجُمَانِ قُلْ لَهُ سَأَلْتُكَ عَنْ نَسَبِهِ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ فِيكُمْ ذُو نَسَبٍ فَكَذَلِكَ الرُّسُلُ تُبْعَثُ فِي نَسَبِ قَوْمِهَا وَسَأَلْتُكَ هَلْ قَالَ أَحَدٌ مِنْكُمْ هَذَا الْقَوْلَ فَذَكَرْتَ أَنْ لا فَقُلْتُ لَوْ كَانَ أَحَدٌ قَالَ هَذَا الْقَوْلَ قَبْلَهُ لَقُلْتُ رَجُلٌ يَأْتَسِي بِقَوْلٍ قِيلَ قَبْلَهُ وَسَأَلْتُكَ هَلْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا قُلْتُ فَلَوْ كَانَ مِنْ آبَائِهِ مِنْ مَلِكٍ قُلْتُ رَجُلٌ يَطْلُبُ مُلْكَ أَبِيهِ وَسَأَلْتُكَ هَلْ كُنْتُمْ تَتَّهِمُونَهُ بِالْكَذِبِ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ فَذَكَرْتَ أَنْ لا فَقَدْ أَعْرِفُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِيَذَرَ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ وَيَكْذِبَ عَلَى اللَّهِ وَسَأَلْتُكَ أَشْرَافُ النَّاسِ اتَّبَعُوهُ أَمْ ضُعَفَاؤُهُمْ فَذَكَرْتَ أَنَّ ضُعَفَاءَهُمْ اتَّبَعُوهُ وَهُمْ أَتْبَاعُ الرُّسُلِ وَسَأَلْتُكَ أَيَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ فَذَكَرْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ وَكَذَلِكَ أَمْرُ الْإِيمَانِ حَتَّى يَتِمَّ وَسَأَلْتُكَ أَيَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ فَذَكَرْتَ أَنْ لَا وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ حِينَ تُخَالِطُ بَشَاشَتُهُ الْقُلُوبَ وَسَأَلْتُكَ هَلْ يَغْدِرُ فَذَكَرْتَ أَنْ لا وَكَذَلِكَ الرُّسُلُ لا تَغْدِرُ وَسَأَلْتُكَ بِمَا يَأْمُرُكُمْ فَذَكَرْتَ أَنَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَيَنْهَاكُمْ عَنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَيَأْمُرُكُمْ بِالصَّلَاةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ فَإِنْ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا فَسَيَمْلِكُ مَوْضِعَ

(1) راجع د. نبيل لوقا بباوي " الجزية على غير المسلمين عقوبة أم ضريبة " دار البباوي للنشر.

قَدَمَيَّ هَاتَيْنِ وَقَدْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّهُ خَارِجٌ لَمْ أَكُنْ أَظُنُّ أَنَّهُ مِنْكُمْ فَلَوْ أَنِّي أَعْلَمُ أَنِّي أَخْلُصُ إِلَيْهِ لَتَجَشَّمْتُ لِقَاءَهُ وَلَوْ كُنْتُ عِنْدَهُ لَغَسَلْتُ عَنْ قَدَمِهِ ثُمَّ دَعَا بِكِتَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّذِي بَعَثَ بِهِ دِحْيَةُ إِلَى عَظِيمِ بُصْرَى فَدَفَعَهُ إِلَى هِرَقْلَ فَقَرَأَهُ فَإِذَا فِيهِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ سَلَامٌ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإِسْلامِ أَسْلِمْ تَسْلَمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الأَرِيسِيِّينَ وَ ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَنْ لا نَعْبُدَ إِلا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ "

[ صحيح البخاري عن ابن عباس ]

وإن شئت راجعت أيضاً حوار جعفر بن أبي طالب مع النجاشي ، وحوار ربعي بن عامر مع رستم قائد الفرس ؛ لتعرفي لماذا انتشر الإسلام وهُزِمَ الفرس والروم ومن ظاهرهم ؟

## مناقشة حول من بنى الحضارة الإسلامية ؟

كان رد منَّة على بناء العرب حضارة إسلامية : " هل حقا بنى الاسلام حضارة اسلامية؟ او بمعنى ادق هل كانت الحضارة التى نشأت نتيجة عن تطبيق الاسلام؟ لا اعتقد، فلو ان الاسلام هو منشئ تلك الحضارة لكانت مكة او المدينة هما منارتا الحضارة الاسلامية، وذلك لم يحدث ابدا فلم يكن لهما اى دور فى مسيرة الحضارة وكانت مراكز الحضارة هى بغداد ودمشق مصر، وهى المدن ذات الحضارة العظيمة من قبل الاسلام حتى علماء الاندلس لم يكونوا عربا واغلبهم لم يكونوا مسلمين وانتهى بهم الامر الى احراق كتبهم وتكفيرهم. "

اعلمي يا بنتي أن أهل مكة والمدينة هم الذين قاموا بالدين الإسلامي إيماناً وتطبيقاً وتعليماً وجهاداً في سبيله ونشره في سائر ربوع العالم الإسلامي ، وأهل

مكة والمدينة كانوا منارات الحضارة الإسلامية في علوم الدين وحسن السياسة وإن كانت هناك استثناءات فإنها تؤكد القاعدة .

أما الحواضر الإسلامية : دمشق ، وبغداد ، ومصر ، والأندلس .. فقد قامت بالفعل – كما يقول ابن خلدون – بمنجزات الحضارة الإسلامية في العلوم والفنون والثقافة . ولكن قولي لي يا بنتي كيف كان حال هذه البلاد تحت حكم الفرس والروم وقبل أن يفتحها أهل مكة والمدينة وينشروا فيها الإسلام ؟

الحقيقة يا بنتي إن حضارة هذه البلاد : المصرية القديمة ، والآشورية ، والبابلية ، والساسانية ، والفينيقية كانت قد ماتت ولم يبق منها إلا آثارها الشاهدة عليها ، فلما فتح المسلمون هذه البلاد وحرروها ممن دمَّروا حضاراتها وأذلوا شعوبها ونهبوا ثرواتها ، نشر المسلمون فيها الحق والعدل ودعوة دين الإسلام إلى العلم والتعليم ، والفكر والتفكير ، والفهم والتدبر ، والنظر في أقطار السموات والأرض وفي النفس ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالعَدْلِ﴾ {النساء:٥٨} وقول النبي ﷺ " الظُّلْمُ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ " [ متفق عليه ] ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة: ١١] وقول النبي ﷺ " مَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَبْتَغِي فِيهِ عِلْماً سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقاً إِلَى الجَنَّةِ، وَإِنَّ المَلائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ العِلْمِ رِضاً بِمَا يَصْنَعُ ، وَإِنَّ العَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّماوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ حَتَّى الحيتَانُ في المَاءِ ، وَفضْلُ العَالِمِ عَلَى العَابِدِ كَفَضْلِ القَمَرِ عَلَى سَائِرِ الكَوَاكِبِ ، وَإِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ ، وَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يَوَرِّثُوا دِينَاراً وَلاَ دِرْهَماً وَإِنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بحَظٍّ وَافِرٍ " [صحيح أَبُي داود والترمذي ] . ﴿أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى الإبل كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السمآء كَيْفَ رُفِعَتْ * وإلى الجبال كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الأرض كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [ الغاشية : ١٧ –٢٠ ] ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي البَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ المُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآَيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:١٦٤] .

إن العرب المسلمين ، رغم تراثهم العريق القديم الذي تمثل، في حضارات معين وسبأ وحمير في بلاد اليمن، إلا أنهم وجدوا في البلاد التي فتحوها حضارات قديمة راقية، ولها نظم في الزراعة وأعمال الري والصناعة، ولها تاريخ حافل في ميادين العلوم العقلية والتجريبية كالرياضيات والفلك والفيزياء، فأقرُّوا النافع من هذه النظم وأحيوا من العلوم والمعارف وما يتفق مع عقيدتهم. وهذا هو السر في تلك الحضارة العظيمة .

لقد قام المسلمون بنقل وترجمة وتعريب التراث الحضاري الإنساني ثم إذا ما تم لهم دراسته واستيعابه أخذوا ينتجون ويبدعون ويضيفون، حتى قدَّموا للعالم ما عرف بالحضارة العربية الإسلامية . وهذه ميزة تحسب لها لا عليها، إذ تعنى تفتح العقل المسلم واستعداده لتقبُّل ما لدى الآخرين، ولكن وضعه فيما يتناسب والنظام الإسلامي الخاص بشكل متكامل، ولا ينقص من الحضارة الإسلامية استفادتها من الحضارات السابقة، فالتقدُّم والتطوُّر يبدأ بآخر ما وصل إليه الآخرون، ثم تضيف الحضارة الجديدة وتكمل ما بدأته الحضارات الأخرى .

## نظام الحكم في الإسلام

يقول الشيخ محمد عبده : " إنه ليس في الإسلام سلطة دينية ، سوى سلطة الموعظة الحسنة والدعوة للخير والتنفير من الشر .. هَدَم الإسلام تلك السلطة ومحا أثرها حتى لم يبق لها عند الجمهور من أهله اسم ولا رسم ولم يدَّعِ الإسلام لأحد ، بعد الله ورسوله سلطاناً على عقيدة أحد ولا سيطرة على إيمانه . وكان الرسول مُبَلِّغاً ومُذَكِّراً لا مُهَيْمِناً ولا مُسَيْطَراً ، وليس لمسلم مهما علا كعبه في الإسلام على الآخر مهما انحطت منزلته فيه إلا حق النصيحة والإرشاد " .

ثم يقرر الشيخ محمد عبده أن الأمة هي مصدر سلطة الحاكم وذلك أن " الأمة أو نائب الأمة هو الذي ينصبه ، والأمة هي صاحبة الحق في السيطرة عليه ، وهي تخلعه متى رأت ذلك من مصلحتها ، فهو حاكم مدني من جميع الوجوه ،

ولا يجوز لصحيح النظر أن يخلط الخليفة عند المسلمين بما يسميه الإفرنج " ثيوكراتيك " أي سلطان إلهي .. إن بعض الناس يقولون إن لم يكن للخليفة ذلك السلطان الديني ، أفلا يكون للقاضي ؟ أو للمفتي ؟ أو لشيخ الإسلام ؟ وأقول : إن الإسلام لم يجعل لهؤلاء أدنى سلطة على العقائد وتحرير الأحكام ، وكل سلطة تناولها أحد من هؤلاء فهي سلطة مدنية ، قدرها الشرع الإسلامي ولا يسوغ لواحد منهم أن يدَّعي حق السيطرة على إيمان أحد ، أو عبادته لربه ، أو ينازعه في طريقة نظره .. إن الإيمان بالله يرفع الخضوع والاستعباد للرؤساء الذي استذلُّوا البشر بالسلطة الدينية ، وهي دعوى القداسة والوساطة عند الله ، ودعوى التشريع والقول على الله دون إذن الله ، أو السلطة الدنيوية وهي سلطة المُلك والاستبداد ، فالمؤمن لا يرضى لنفسه أن يكون عبداً لبشر مثله للقب ديني أو دنيوي ، وقد أعزه الله بالإيمان إنما أئمة الدين مُبَلِّغون لما شرعه الله ، وأئمة الدنيا مُنَفِّذون لأحكام الله ، وإنما الخضوع الديني لله وشرعه ، لا لشخوصهم وألقابهم " .

وعلى هذا النحو من الوضوح والعمق تناول الإمام محمد عبده تلك القضية ، قضية " السلطة الدينية " وذلك عندما أرادت القوى المتخلِّفة والرجعية ممثلة في " مشيخة الإسلام العثمانية " أن تعود بعقارب ساعة التطور إلى الوراء ، وبمحاولتها إجهاض سعي العرب والمسلمين نحو التحرر الوطني والتقدم الاجتماعي والاستنارة الدينية وذلك عن طريق تكبيل العقل الإسلامي بقيوم العصور الوسطى تحت دعاوى " السلطة الدينية " والقداسة المزعومة لأعداء تقدم المسلمين واستنارتهم وتحضرهم وانعتاقهم من أسر العصور المظلمة .

لقد أكَّدت مدرسة التجديد الإسلامي الحديثة – بلسان الإمام محمد عبده – تميُّز الإسلام عن الكهانة الكاثوليكية الأوربية :

- فدولة الإسلام ليست دولة دينية ، كما كان الحال في " القيصرية البابوية " .
- وعلماء الإسلام ليسوا رجال دين – أكليروس – يحولون – بالوساطة – بين الإنسان وبين الله ، أو يملكون سلطان الحكم على العقائد والتحليل والتحريم .

- والشريعة الإسلامية – التي لم تَدَع كل ما لقيصر لقيصر – قد وقفت عند النهج والمقاصد والحدود فيما هو ثوابت .. ثم قررت أن تكون الأمة مصدر السلطة التي تشرع وتقنِّن وتنفِّذ كي تتحوَّل مقاصد الشريعة إلى نظم تحقِّق للأمة المصالح المتجدِّدة والمتطوِّرة بتغاير الزمان والمكان .
- فالقائلون – منا – بالسلطة الدينية مقلِّدون للغرب وكهانته الكاثوليكية .. ولا علاقة لفكرهم هذا بأصول الإسلام ! (١)

ومصطلح " الحكم " منسوباً إلى الله تعالى في القرآن الكريم معناه " قضاء وفصل في التحاكم ، أي التقاضي والقضاء الإلهي ، وليس حكم وسياسة مجتمع ، كما يعنيه هذا المصطلح في أدبيات السياسة الحديثة والمعاصرة .

والآن نعود للرد على آراء مِنَّة .

## تساؤلات حول الحضارة الإسلامية

لم تكد تتحدث عن خصائص الحضارة الإسلامية ومنجزاتها إلا داهمك العلمانيون بطوفان من الأسئلة ، والسخرية ، والتهكمات .

أين هذه الحضارة الإسلامية الآن ؟! وما مكانة المسلمين بين الشعوب المتحضرة ؟! وأين ما أنجزه المسلمون في كل تاريخهم مما وصل إليه غيرهم في حاضرهم ؟! ...

ولا يعطيك العلمانيون فرصة الرد عن هذه الأسئلة بل يستأنفون قائلين لم يكن للمسلمين يوماً حضارة إنما كانوا دائماً عالة على حضارات غيرهم من الأمم . إن تمسك المسلمين بتراثهم الغابر ، وأفكارهم البالية سبب تخلفهم . وما دام المسلمون يتمسكون بدينهم فلن يتقدموا أبداً ألا ترى كيف تقدَّم الغرب عندما تخلى عن دينه.

---

(1) د. محمد عمارة " الدولة الإسلامية بين العلمانية والسلطة الدينية " دار الشروق ص ٢٧ – ٣٠ بتصرف .

نعم لم يتقدَّم الغرب إلا بعدما طرح الدين وراء ظهره وأخذ في أسباب العلم المادي هذا حق ، ولكن الحق أيضاً أن الدين الذي طرحه الغرب والذي كان عائقاً دون التقدم العلميِّ والذي حكم رجال دينه على جاليليو بالهرطقة والكفر واضطروه إلى العدول عن نظرياته العلمية ! ليس هو دين الإسلام الذي يجعل العلم ، بمفهومه الشامل ، فريضة وأنه لا تعارض بين الفهم الصحيح للدين والحقائق العلمية .

إن الذي أدَّى إلى تخلف المسلمين ليس تمسكهم بالدين ، كما زعم العلمانيون ، إنما هو الفهم الخاطئ لطبيعة الإنسان ، ولنظام الكون ، ولخصائص الدين الإسلامي .

فالإنسان ليس روحاً فقط كما فهم كثير من وعاظ الدين ، وليس عقلاً فقط كما فهم العلمانيون، وليس غرائز جنسية فقط كما فهم الفنانون ، إنما الإنسان : روح ، وعقل ، وجسد ، وقلب .

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِى أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [ التين : ٤ ] .

لقد خلق الله تعالى الإنسان متوازناً ، والكون متوازناً ، وأنزل دينه متوازناً فإن طبق الإنسان دين الله في فهم نفسه وفى فهم الكون فإنه يحقق خلافة الأرض، وهى عبادة الله وتعمير الكون و تزكية النفس .

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [ البقرة : ٣٠ ] .

﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [ هود : ٦١ ] .

فالآية الأولى تبين مهمة الإنسان في الأرض وهى أن يكون خليفة في الأرض، والآية الثانية تبين مفهوم هذه الخلافة وهى عبادة الله وتعمير الكون .

ولن يتحقق هذا إلا باتباع كتب الله تعالى ورسله .

فإن أخذ الإنسان منهج الله وطبقَّه على كون الله ومخلوقاته تناغمت حياته وحياة بقية الكائنات ، وكوَّن مع بقية الكائنات منظومة بديعة ، ويؤتيه الله ﴿ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[آل عمران : ١٤٨] .

وثواب الدنيا : السعادة ، والتقدم ، والظهور على الأعداء ..، وثواب الآخرة ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة : ٧٢ ] .

وإن لم يفهم نفسه ، ولم يفهم دين الله أصبح نغمة شاذة وسط لحن قدسي عظيم فأتعس نفسه ، وأفسد حياته وآخرته . (١)

## أين الحضارة الإسلامية الآن ؟

لعل حُجَة المُسْتَخِفِّين من قومنا بقيمة حضارتنا أنها ليست شيئًا إذا قِيست بروائع هذه الحضارة الحديثة واختراعاتها وفتوحاتها في آفاق العلم الحديث، وهذا لو صح لا يبرر الاستخفاف بحضارتنا لسببين:

الأول: أن كل حضارة فيها عنصران: عنصر روحي أخلاقي، وعنصر مادي. أما العنصر المادي فلا شك في أن كل حضارة متأخرة تفوق ما سبقها، تلك هي سنة الله في تطور الحياة ووسائلها، ومن العبث أن تطالب الحضارة السابقة بما وصلت إليه الحضارة اللاحقة، ولو جاز هذه لجاز لنا أن نزري بكل الحضارات التي سبقت حضارتنا، لما ابتدعته حضارتنا من وسائل الحياة ومظاهر الحضارة ما لم تعرفه الحضارات السابقة قط، فالعنصر المادي في الحضارات ليس هو أساس التفاضل بينها دائمًا وأبدًا .

أما العنصر الأخلاقي والروحي فهو الذي تخلد به الحضارات، وتؤدي به رسالتها من إسعاد الإنسانية وإبعادها عن المخاوف والآلام، ولقد سبقت حضارتنا كل الحضارات السابقة واللاحقة في هذا الميدان، وبلغت فيه شأوًا لا نظير له في أي عصر من عصور التاريخ، وحسب حضارتنا بهذا خلودًا.

إن الغاية من الحضارة هي أن تقرب الإنسان من ذروة السعادة، وقد عملت لذلك حضارتنا ما لم تعمله حضارة في الشرق والغرب.

---

(1) انظر مقدمة كتاب " ميزان الحق بين العلمانية اللا دينية والسلفية اللا أصولية " .

الثاني: أن الحضارات لا يقارن بينها بالمقياس المادي، ولا بالكمية في الأعداد والمساحات، ولا بالترف المادي في المعيشة والمأكل والملبس، وإنما يقارن بينها بالآثار التي تتركها في تاريخ الإنسانية، شأنها في ذلك شأن المعارك والممالك، فهي لا تقارن بينها بسعة الرقعة ولا بحساب العدد، والمعارك الفاصلة في التاريخ القديم والوسيط لو قيست بمعارك الحرب العالمية الثانية من حيث أعداد الجيوش ووسائل القتال لكانت شيئًا تافهًا، ولكنها لا تزال تعتبر معارك لها قيمتها البالغة في التاريخ لما كان لها من الآثار البعيدة .(١)

## أسباب ضعف الحضارة الإسلامية

لقد تضافرت عدة عوامل أدت إلى تراجع الحضارة الإسلامية وضعفها وعلى رأس تلك العوامل الاحتلال العثماني . فمنذ أن وطئت قدم العثمانيين أرض العروبة والإسلام وحل بها الخراب والدمار " حيث صارت البلاد مسرحاً للفوضى والاضطراب نتيجة تنازع الهيئات التي تقتسم الحكم فيها ، وسارت الدولة على سياستها التقليدية في تغيير الباشوات خوفاً من جنوحهم إلى الاستقلال تحقيقا لأطماعهم الخاصة ، كما اتسم الحكم العثماني في بلاد المشرق العربي بالرجعية وشمل البلاد التأخر إذ كانت فكرة الحكم عند العثمانيين بسيطة اقتصرت وظيفة الدولة في نظرهم على الدفاع عن البلاد وحفظ الأمن وجمع الضرائب والفصل في الخصومات أما ما عدا ذلك من خدمات عامة فقد أهملت ولم تعتبرها الدولة من بين مسئولياتها وتركتها للأفراد والجماعات ، ولذلك ساءت أحوال الشعوب العربية اقتصاديا . " (٢)

وفي العصر الحديث عندما أخذت المجتمعات الإسلامية تخطو إلى أعتاب عصر يقظتها ونهضتها في القرن التاسع عشر وتجاهد لإزاحة ظلمات العصور المملوكية والعثمانية عن فكرها وممارساتها السياسية والاجتماعية ، وُوجِهَت "

(١) د. مصطفى السباعي " خصائص حضارتنا " بتصرف نقلاً عن الشبكة الإسلامية .
(2) د. محمود صالح منسي " حركة اليقظة العربية في الشرق الأسيوي " ص ٣١ .

بمشيخة الإسلام " العثمانية في الآستانة ، تلك المشيخة التي أرادات أن تحمي كل المواريث المتخلفة والرجعية التي شابت نقاء فكر الإسلام السياسي وتراث المسلمين المتقدِّم في تنظيم المجتمعات ، واجتهدت كي تلعب دور أولئك النفر من الفقهاء الذين أضفوا طابع " السلطة الدينية " على المستبدين القدامى فجاءت هي الأخرى لتجعل من سلاطين آل عثمان خلفاء لله وظلالاً له على الأرض وسيوفاً زعموا أنه قد جرَّدها وسلَّطها على رقاب عباده المؤمنين ! ..

كانت المعركة الحقيقية ، إذن ، لهذه المشيخة في سبيل تكريس التخلُّف والاستبداد والاستغلال ، عن طريق تقديس النظام السياسي الاجتماعي الذي تحميه ، بواسطة إضفاء " الصبغة الدينية " على هذا النظام حتى يصبح نقده ، فضلاً عن الثورة عليه ، جرماً دينياً وخطيئة إسلامية تجلب على أصحابها تُهَم : الكفر والزندقة والإلحاد والمروق ؛ لأنها تُهَم أفعل وأشد في إبعاد الناس عن هذا الميدان من تُهَم : المعارضة واختلاف الرأي وتنوِّع الاجتهادات !!

ولحسن حظ الإسلام والمسلمين فإن هذه " المشيخة " العثمانية لم تنفرد وحدها بالميدان ، فلقد تصدَّت لها حركة التجديد الديني التي بذر بذورها ورفع أعلامها وصنع علماءها الفيلسوف الثائر جمال الدين الأفغاني ووجَّه لها أشد السهام وأقوى الطعنات إمام المجتهدين والمجددين المسلمين في العصر الحديث وأعظم عقل إسلامي وقف أمام كتاب الله منذ نهضتنا الحديثة الشيخ محمد عبده . (١)

وإن المرء ليأخذه العجب من بعض الكُتَّاب المسلمين الذين يطلقون على الاحتلال العثماني الأجنبي اسم " الفتح العثماني " !! كما يطلقون على الحكم العسكري العثماني المستبد " الخلافة العثمانية " فكأن البلاد العربية كانت بلاد كفر وإلحاد فجاء العثمانيون ففتحوها ونشروا فيها الإسلام !!

وهم بذلك يسوون بين الفتوحات التي قام بها صحابة رسول الله لتحرير الشعوب من قبضة الاحتلال الأجنبي الغاشم ( الفرس والروم ) وبين هذا الاحتلال الأجنبي

---

**(1)** د. محمد عمارة " الدولة الإسلامية بين العلمانية والسلطة الدينية " دار الشروق ص ٢٦، ٢٧ .

العثماني الغاشم ، كما يسوون بين الأخلاق الإسلامية النبيلة التي اتصف بها صحابة رسول الله وبين الأخلاق اللا إنسانية التي اتصفت بها الطُّغْمة العسكرية العثمانية المستبدة كما يدنسون اسم الخلافة الإسلامية الراشدة بإطلاقه على هذا الحكم العسكري المستبد ، والمثير للدهشة أن مبررات هؤلاء الكُتَّاب الذين يدافعون عن الإمبراطورية العثمانية وحجتهم الرئيسة هي أن العثمانيين هم الذين حموا بلاد الإسلام من الدول الأوربية بلاد الكفرة !! ونسي هؤلاء – أو تناسوا – أن الحروب الصليبية هي التي أيقظت روح الجهاد الإسلامي ووحَّدت الأمة بعد فترة من التمزُّق وقضت على الخلافة الفاطمية الشيعية وأعادت مصر إلى الخلافة العباسية السنية ، ونسي هؤلاء أن هذه الحروب هي التي ولدَّت أعظم من حكم وعدل وقاد وانتصر – بعد الخلفاء الراشدين – نور الدين محمود ، وصلاح الدين الأيوبي .

فلو أن الغزو العثماني العسكري الغاشم لم يحط على أمة العربية الإسلامية كقطع الليل المظلم لاستمرت النهضة الإسلامية ولما غرقت البلاد الإسلامية في بحر الظلمات .

لقد استغلَّ العثمانيون اسم الخلافة الإسلامية التي يعلمون مدى تأثيرها في نفوس المسلمين الذين كانت العاطفة الدينية لديهم أقوى من أي رابطة أخرى ليقضوا بها على حضارة الإسلام ويحبطوا بها كل حركة تحرر.

لقد كان العثمانيون السبب ليس فقط في تخلف الأمة الإسلامية بل كانوا السبب أيضاً في وقوعها في براثن الاحتلال الأجنبي : الإنجليزي والفرنسي والإيطالي لسنوات طويلة مما صيِّر الأمة الإسلامية إلى هذا الوضع المهين في الوقت الراهن .

أليس التخلف الحضاري والعزلة اللذان فرضهما العثمانيون على البلاد كانا هما السبب في الاحتلال الفرنسي ؟

والحقيقة أن البلاد العربية كانت مهد الإسلام وصانعة حضارته ، وإن كان في العثمانيين خيرٌ لكانوا تعاونوا مع إخوانهم المسلمين في إقالة عثرتهم ومواصلة نهضتهم إما الذي حدث فكان استعماراً بغيضاً استعبد الشعوب واستغل مواردها وجردها من عوامل نهضتها فأول شيء عمله السلطان سليم الأول أبطل النقود العربية القديمة " وضرب نقوداً جديدة تحمل اسمه ولكنها كانت أخف من القديمة بمقدار الثلث فخسر الناس في ذلك ثلث أموالهم " (١)

أهذا هو الفتح العثماني ؟! أهذه هي الخلافة الإسلامية ؟!

ولم يكتف بذلك بل أصدر أمره " بترحيل طوائف من أعيان الناس ، ما بين قضاة ونواب قضاة وأكابر من المسلمين والمسيحيين واليهود والتجار والوراقين إلى إسطنبول ليقيموا بها إقامة جبرية ، ليكونوا أشبه بالرهائن من ناحية ، لكي يألفوا الحياة العثمانية في عاصمة الدولة " (٢)

أ ليس ذلك سبياً كالسبي البابلي والآشوري والروماني ؟! ولم يكتف سليم الأول بذلك بل عمل على تجريد المسلمين من خيرة علمائها وعمالها " وكان من بين الذي قضى السلطان سليم بتسفيرهم إلى إسطنبول عدد كبير من أرباب الصنائع المهندسين والبناءين والنجارين والمرخمين والمبلطين ، وطائفة من الفعلة ، وقيل في تعليل هذه الهجرة الإجبارية لأصحاب الحرف ، أن السلطان سليم أراد أن ينشئوا له مدرسة في إسطنبول مثل مدرسة الغوري . وأيا كان الغرض من جمعهم وتسفيرهم ، فقد ترتب على هذه العملية تعطيل خمسين صناعة على ما يقول ابن إياس " (٣)

وكانت مصر خلال هذا العهد ترزح تحت الحكم العثماني المباشر ، وكان السلطان هو الذي ينصب الباشا ، أما خزانة مصر فكانت مرتبطة بخزانة السلطنة

---

(1) أحمد حسين " موسوعة تاريخ مصر " الجزء الثالث مرجع سابق ص ٨١٦
(2) نفسه ص ٨١٦
(3) نفسه ص ٨١٧

مباشرة . وبالجملة إن مصر لم تكن تتمتع تحت حكم العثمانيين بالاستقرار من جراء ما كان ينشب فيها بين القوى الثلاثة من فتن . كما أن الباشاوات أنفسهم لم يكونوا مطمئني النفوس على بقائهم في الحكم لأن أمر تثبيتهم أو نقلهم كان يرجع إلى قدر ما لكل من سند بين حاشية السلطان . فكان هم الباشا جمع المال لرشوة هذه الحاشية للبقاء في الحكم مدة أطول مما أضر بمصالح البلاد والعباد إضرارا بالغا . وقد بلغ عدد هؤلاء الباشاوات ٧٦ واليا في حقبة قدرها ١٩٠ سنة فقط .

هذا وكانت ولاية مصر خلال هذا العهد عوناً للسلطان عند كل أزمة ، وكثيراً ما سيَّرت مصر الحملات إلى الأقطار التي تثور على السلطنة كاليمن وسوريا والحركة المهدية في المملكة العربية السعودية ؛ وكثيراً ما جنِدت النجدات مساعدة للدولة على أعدائها ، كما فعلت في حرب فارس .

لقد قام الاحتلال العثماني بأعمال دمَّرت فيها الحضارة الإسلامية ، وقضت على الأمة العربية منها :

١- إغلاق المدارس فانشر الجهل .

٢- ترحيل العلماء البارزين ، والصناع المهرة ، والفنانين المبدعين من بلادهم العربية ، وتوطينهم في استانبول عاصمة الإمبراطورية العثمانية لكي يبنوا لهم فيها حضارة للدولة العثمانية التي كانت تتسم بالقوة وتفتقر إلى الحضارة والعلم .

٣- استنزاف الموارد الاقتصادية ، وحرمان بلاد المسلمين منها .

٤- العمل على القضاء على اللغة العربية لغة الإسلام وحضارته ، لحساب اللغة التركية ، وهو ما عرف بالتتريك : أي جعل اللغة التركية لغة رسمية للبلاد الإسلامية الخاضعة للحكم العثماني.

٥- إطلاق أيدي ولاتهم في البلاد العربية في أموال الناس يتخوَّضون فيها بالسلب والنهب . مما تترتب على ذلك انتشار الفوضى والفزع وعدم الاستقرار .

١٠- استبداد الحكام ، واستخدام العنف في مقاومة معارضيهم .

لهذه الأسباب وغيرها غرق العرب والمسلمون في مستنقع التخلف والجهل ، وأصبحوا صيدا سهلا لبلاد أوربا الناهضة .

## أسباب تخلُّف المسلمين في العصر الحديث

لقد تكاتفت عوامل كثيرة تسببت في تخلف المسلمين وهوانهم بعد أن تحرروا من الاحتلال العثماني .

إذا كان سبب تقدُّم المسلمين كما ذكرنا كان إخلاص العقيدة ، وحسن الخلق ، واستقامة السلوك ، والأخذ في أسباب العلم والتحضر – فإن سبب تخلفهم كان ضعف العقيدة ، وسوء الخلق ، واعوجاج السلوك ، وإهمال العلم ، وهذا ما حذَّر منه النبي ﷺ فعَنْ ثَوْبَانَ مَوْلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمُ الأُمَمُ مِنْ كُلِّ أُفُقٍ كَمَا تَتَدَاعَى الأَكَلَةُ عَلَى قَصْعَتِهَا ، قُلْنَا : مِنْ قِلَّةٍ بِنَا يَوْمَئِذٍ ؟ قَالَ : لا ، أَنْتُم يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ ، يَنْزَعُ اللَّهُ الْمَهَابَةَ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ وَيَجْعَلُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهَنَ ، قِيلَ : وَمَا الْوَهَنُ ؟ قَالَ : حُبُّ الْحَيَاةِ وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ. " [ صحيح أبي داود ] .

ولا يظنن ظانٌّ أن المقصود بكراهية الدنيا تركها والإعراض عنها بل ترك حبها والتعلق بها ، فالدنيا يجب أن تكون بأيدينا لا في قلوبنا .

## مناقشة حول استبداد الخلفاء المسلمين

ردَّت مِنَّة على كلامنا عن أسباب ضعف الحضارة الإسلامية قائلة : " اراك تذم الخلافة العثمانية وتصفها بأنها جائرة وظالمة وغير اسلامية، احسبك تستحسن حكم ابو العباس السفاح العباسى، ام الخلافة الاموية وفظائعها؟ ام الخلافة الراشدة التى حمل فيها الصحابة السيوف ضد بعضدهم البعض؟ عن اى خلافة عادلة تتحدث؟

اعلمي يا بنتي أن المسلم الحقيقي يحب الحق وأهله ويكره الظلم وحزبه ، وليس هناك مسلم حُجَّة على الإسلام إلا رسول الإسلام فقط ، وما عداه فالإسلام حُجَّة

عليه ﴿اليَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لا ظُلْمَ اليَوْمَ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الحِسَابِ﴾ [غافر:١٧] ﴿مَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولا﴾ [الإسراء:١٥] وهل من العدل أن نحمّل الديانة المسيحية جميع المجازر والمظالم التي ارتكبها الحكّام المسيحيون ابتداء من عصر الشهداء حتى غزا الرجل الأوربي الأبيض أمريكا وأباد الهنود الحمر وأحلَّ الرقيق الأسود محلهم مروراً بالحروب الصليبية وحرب المائة عام ومحاكم التفتيش ؟! فهل تنسب هذه الجرائم للمسيحية بدعوى أن الذين قاموا بها مسيحيون؟

وهل تنسب مجازر الصهيونية ضد العرب لليهودية بدعوى أن الذين قاموا بها يهود ؟

وهل تقبلين أن تنسب للعلمانية الجرائم والمظالم من احتلال إنجلترا وفرنسا بلادَ الشرق إلى الغزو الأمريكي العراقَ مروراً بالحربين العالمتين : الأولى والثانية بدعوى أن الدول التي قامت بذلك دول علمانية ؟

يا بنتي إننا نحن – المسلمين – نؤمن بأن كل إنسان سيحاسب على ما عمل ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزَّلزلة:٧ ، ٨] ﴿وَنَضَعُ المَوَازِينَ القِسْطَ لِيَوْمِ القِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء:٤٧] المشكلة في العلمانيين الذين لا يؤمنون باليوم الآخر كيف يتحملون مظالم الحياة وابتلاءاتها ؟!

إن كل حاكم مسلم ظالم سوف يحاسبه الله تعالى على ظلمه مرتين : مرة على المظالم التي ارتكبها ، ومرة على أنه أساء إلى الإسلام وأشمت أعداءه في المسلمين .

أما الفتنة التي وقعت بين علي ومعاوية فإنها لم تقع لأسباب دينية إنما لأسباب سياسية ونَكِل أمر من تسبب فيها وشارك جميعاً لله تعالى ﴿قُلِ اللهُمَّ فَاطِرَ

السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ عَالِمَ الغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [الزُّمر:٤٦] وعندنا في الإسلام لا عصمة إلا للنبي ﷺ وما عداه فيؤخذ منه ويرد عليه ورأي الناس في أنفسهم غير حكم الله تعالى عليهم فقانون الله تعالى العادل الذي نؤمن به ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء:١٢٣] وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ : أَلا أُخْبِرُكُمْ بِالْمُؤْمِنِ ؟ الْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَى أَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ ، وَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ النَّاسُ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ ، وَالْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ الْخَطَايَا وَالذُّنُوبَ " [ صححه الألباني ] .

***

# هل هناك خلق قويم بغير دين صحيح ؟

# هل هناك خلق قويم بغير دين صحيح ؟

## هل يجب تدريس الأخلاق بدلاً من الدين ؟

كَتَبْتِ يا بنتي يوم ٣٠ / ٩ / ٢٠١٦ ما نصه : " أنا ضد تدريس الدين فى المدرسة أصلا ولو خيرونى ولادى يدرسوا دين ولا أخلاق هختار يدرسوا أخلاق بلا تردد .

أنا شايفة أن المدرسة دورها تهتم بالعلم والاخلاق والمواطنة بس ، واللى عايز يدرس دين يبقى يدرسه فى بيته .

ده غير أن المصريين مش بس مسلمين ومسيحيين، فيه بشر تانيين ومن حقهم ما يدرسوش دين يخالف ضميرهم ويمتحنوا فيه بلطجة .

إنك تزرع فى ابنك معتقدك الدينى زى ما تزرع فيه أيديولوجيتك السياسية بالظبط .

ببساطة بتصادر حقه في الاختيار زي ما أهلك صادروا حقك في الاختيار.

متصور أنه بعد ما يكبر هيبقى عنده القدرة أن يتحرر من القيود دي كلها ويفكر من جديد ويختار طريق مختلف؟

## الفرق بين مفهوم الأخلاق في الإسلام والعلمانية .

ابنتي أريد أن أُحِيطُكِ علماً ببعض الحقائق ثم أترك لك مراجعة كلامك بعد ذلك .

الحقيقة الأولى : أن كلمة أخلاق دون ذكر صفة تميزها تنطبق على الصفات الحسنة والسيئة ، وهناك خطأ شائع فعندما يريد بعض الناس مدح إنسان يقولون " إن فلاناً عنده أخلاق " والحقيقة أن كل البشر عندهم أخلاق ، وكلامهم هذا لم يحدد أي نوع من الأخلاق يعنون ؟

فتعريف الأخلاق في معاجم اللغة معناه : " مجموعة صفات نفسية وأعمال الإنسان التي توصف بالحُسْن أو القُبْح."

فإن قلتِ : معروف أن كلمة أخلاق عندما تُطْلق بدون وصف فإنها تعني الأخلاق الحسنة ، وأنا أريد ابني أن يتعلَّم في المدرسة هذه الأخلاق الحسنة بمعزل عن الدين الإسلامي.

وأقول لك : إن العلمانية التي تؤمنين بها الأخلاق الحسنة عندها نسبية وليست مطلقة فهي أمور اعتبارية لا ثبات لها، تختلف من مكان إلى مكان، ومن زمان إلى زمان، ومن أمة إلى أمة . فالذي يُعْتَبَر منافيًا للأخلاق عند شعب من الشعوب، لا يعتبر منافيًا للأخلاق عند شعب آخر، وبعض ما كان مُسْتَنْكَرًا فيما مضى قد يُعْتَبَر مُسْتَحْسَنًا في عصر آخر، فالأخلاق عند هؤلاء مفاهيم اعتبارية تتواضع عليها الأمم والشعوب، وليس لها ثبات في حقيقتها .

وهذا ما يؤكده كاتبك العلماني خالد البري في مقاله الذي نشرتيه له يوم ١٤ / ١٢ / ٢٠١٦ والذي جاء فيه " هناك الأخلاقيون، الذين يعتقدون أن أخلاقنا سبقت تجربتنا، وأن الإنسان يولد ولديه كاتالوج بالأخلاق الحميدة والأخلاق السيئة. ولا يستوعبون أبدا أن الأخلاق تتغير، هذه ليست وجهة نظر، بل هي فعل حدث على مدار التاريخ بوضوح وبلا لبس. لا يستوعبون أن المجتمعات لم تتبن فقط خلقا ثم تبنت نقيضه تماما، وأنها أطلقت على الاثنين وصف الخلق الحميد في مرحلة ما. لا. بل إن "الخلق الحميد" نفسه تغير من خلق مهم جدا، وله أولوية مطلقة في زمن ما، إلى "خلق حميد" من النوع اللي تبوسه وتحطه جنب الحيط في زمن آخر. وهنا لا يصير اهتمام مجتمع ما بهذا الخلق دليل عظمة وتمسكا بالأصول كما يعتقد ذلك المجتمع، بل دليل عبط، وتفاهة، وجمود، وافتقاد القدرة على مواكبة العصر. " خالد البري

الحقيقة الثانية : إذا رجعنا إلى مفردات الأخلاق الإسلامية وجدنا أنَّ كلَّ واحدة منها ذات حقيقة ثابتة، وهي غير قابلة في المنطق السليم للتحوُّل من حَسَن إلى قبيح ، أو من قبيح إلى حَسَن. إنَّ حَسَنها حَسَن في كلِّ زمان، وقبيحها قبيح في كلِّ زمان، ولا يؤثر على حقيقتها أن تتواضع بعض الأمم على تقبيح الحَسَن منها، أو تحسين القبيح، تأثرًا بالأهواء ، أو بالشهوات، أو بالتقاليد العمياء .

إنَّ الإسلام يقرر أنَّ حبَّ الحقِّ وكراهية الباطل فضيلة خُلُقية، ويقرر أنَّ كراهية الحقِّ وحبَّ الباطل رذيلة خلقية، فهل يشكُّ أحد سَوِيٌّ عاقل في أنَّ هذه الأمر حقيقة ثابتة غير قابلة للتحول ولا للتغير؟ وإن تواضع على خلافها جماعة ذات أهواء؟! وهكذا سائر الأمثلة الأخلاقية الإسلامية .

إن الإسلام لم يفرِّق بين الدين وحسن الخلق بل يجعل الدين هو حُسْن الخلق ، ويجعل الدين المعاملة ، وأن العبادة (الصلاة والصوم والزكاة والحج ...) إذا لم تُثْمِر حُسْن خلق فإن الله لن يقبلها من العبد ؛ فعلاقة الأخلاق بالعبادة علاقة وثيقة فإذا كانت العبادة هي الشجرة فإن الأخلاق هي ثمرتها ، وكما أنه لا ثمر بغير شجرة فكذلك لا قيمة لشجرة لا ثمر لها ولا ظل .

## مناقشة حول نسبية الأخلاق

ردَّت مِنَّة على كلامي حول نسبيَّة قائلة : " فى الصفحة رقم ١٣٤ اوردت مقال للكاتب "خالد البرى" يصف فيه الاخلاق بأنها نسبية، كما لو كان المقال حجة على، رغم ان قيامى بنشره على صفحتى يعنى اتفاقى مع الكاتب فيما اورده، بالطبع الاخلاق نسبية تختلف باختلاف العصر والمكان، اعلم ذلك جيدا من قبل ان ينشره خالد البرى واتفق معه، وسأعلم ابنائى الاخلاق الانسانية كما سأعلمهم انها نسبية فلا اريد لابنائى الجمود، بل اريد لهم اعمال عقولهم وتحرى مصالحهم وساحترم قراراتهم ايا كانت وسأقف بجانبهم مهما كانت الظروف، اما الحديث عن ان الاخلاق مطلقة فى ظل الاسلام، فهو بالضبط ما ارفضه" .

اعلمي يا بنتي أن مقولة الأخلاق نسبية مقولة قديمة ، ولكن الذي أعجب له هو اعتزازك الشديد بهذه المقولة لدرجة أنك تحرصين على أن تنسب لك فتنفين أنك تعلمتيها من خالد البري !!

## الفرق بين أخلاق الإسلام وعادات وتقاليد المسلمين

المشكلة في العلمانيين أنهم يخلطون بين الأخلاق ، والعادات والتقاليد ، ونحن – المسلمين – نؤمن بأن الأخلاق الكريمة من عند الله بعث بها نبيه ﷺ : " إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاَقِ " وعندما مدح الله تعالى نبيه ﷺ قال له : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤] . أما التقاليد فمِن صنع المجتمع نفسه .

والأخلاق التي أرسل الله تعالى بها رسله ثابتة ﴿أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ﴾ [الملك:١٤] أما التقاليد فمتغيرة .

والعلمانيون يجعلون الأخلاق كالعادات والتقاليد متغيرة ونسبية .

## أسباب الخطأ عند أصحاب فكرة نسبية الأخلاق

وأسباب الخطأ عند أصحاب فكرة نسبية الأخلاق ، ترجع إلى ثلاثة:

الأول : تعميمهم اسم الأخلاق على أنواع كثيرة من السلوك الإنساني، فلم يميزوا الظواهر الخُلُقِيَّة، عن الظواهر الجَمَالِيَّة والأَدَبِيَّة، وعن العادات والتقاليد الاجتماعية ، وعن التعاليم والأحكام المَدَنِيَّة أو الدِينِيَّة البحتة، فحشروا مفردات كل هذه الأمور تحت عنوان الأخلاق، فأفضى ذلك بهم إلى الخطأ الأكبر، وهو حكمهم على الأخلاق بأنها أمور اعتبارية نسبية .

الثاني: أنهم جعلوا مفاهيم الناس عن الأخلاق مصدرًا يرجع إليه في الحكم الأخلاقي، مع أنَّ في كثير من هذه المفاهيم أخطاء فادحة، وفسادًا كبيرًا، يرجع إلى تحكُّم الأهواء والشهوات والعادات والتقاليد فيها، ويرجع أيضًا إلى أمور أخرى غير ذلك، والتحرِّي العلمي يطلب من الباحثين أن يتتبعوا جوهر الحقيقة، حيث

توجد الحقيقة، لا أن يحكموا عليها من خلال وجهة نظر الناس إليها، فكل الحقائق عرضة لأن يثبتها مثبتون، وينكرها منكرون، ويتشكك بها مُتَشَكِّكون، ويتلاعب فيها متلاعبون، ومع ذلك تبقى على ثباتها، لا تؤثر عليها آراء الناس فيها .

الثالث: اعتمادهم على أفكارهم وضمائرهم فقط، وجعلها المقياس الوحيد الذي تُقَاس به الأخلاق .

أما مفاهيم الإسلام فإنها قد مَيَّزت الأخلاق عما سواها، وميزت السلوك الأخلاقي عن سائر أنواع السلوك الإنساني، فلم تعمم تعميمًا فاسدًا، ولم تدخل في مفردات الأخلاق ما ليس منها، وهي أيضًا لم تعتمد على مفاهيم الناس المختلفة، ولم تتخذها مصدرًا يرجع إليه في الحكم الأخلاقي، وأما العقل والضمير فإنهما لم تهملهما وإنما قرنتهما بعاصم يردهما إلى الصواب كلما أخطأ سبيل الحق والهداية والرشاد، وهذا العاصم هو الوحي الذي نزل بدين الله لعباده، وشرائعه لخلقه، وتعاليمه التي لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها؛ لأنهَّا تنزيل من عزيز حكيم، وقد بلغها رسله . أما صورتها المثلى المحفوظة من التغيير فهي ما ثبت في نصوص الشريعة الإسلامية، المنزلة على رسول الله محمد ﷺ وعلى سائر الأنبياء والمرسلين .

ولقد أعدَّ الدكتور عبد الله دراز رسالة عنوانها " دستور الأخلاق في القرآن " حصل بها على درجة الدكتوراه من فرنسا فالترجعي يا بنتي إليها ففيها الجواب الشافي عما تسألين إن أردت المزيد .

أما عن تربيتك أبناءك على أن الأخلاق نسبية فأخشى أن يصير أبناؤك معك إلى ما صارت إليه حال العلمانيين في الغرب مع أبنائهم ، يا بنتي لا يوجد دين ولا فلسفة ولا سلوك إنساني رفيع وصل إلى ما وصل إليه الإسلام من توصية وتوجيه وإلزام الأبناء بالوالدين إحساناً ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ

مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [لقمان:١٥] إي إذا كان الأبوان كافرين وبذلا جهدهما في جعل ابنهما كافراً مثلهما فلا ينبغي للابن أن يطيع أبويه في الكفر ومع ذلك يحسن معاملتهما وبرهما والإحسان إليهما طوال حياتهما ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾ [الإسراء:٢٣] فالابن ملزم أن يرعى أبويه وخاصة عند كبرهما وضعفهما ، وألا يسيء إليهما أقل إساءة . والرجاء مقارنة هذا الخلق القرآني بمثيله العلماني . آسف نسيت أن العلمانية ليس عندها أخلاق محددة يمكن الرجوع إليها ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنَ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللهِ إِنَّ اللهَ لَا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [القصص:٥٠] !

وبعد مناقشة رد منة حول نسبية الأخلاق نعود لمواصلة مناقشة آراء بقية آرائها .

## العلاقة بين العبادة والأخلاق

وأنا أسمعكِ تقولين ولكن المسلمين المتمسكين بالعبادة ليس عندهم حُسْن خلق ، ولو كان التمسك بالعبادة يثمر حُسْن خلق كما تقول لظهر حُسْن الخلق في سلوك هؤلاء .

وأنا أتفق معك فإن كثيراً من المسلمين من يفصل جسد العبادة عن روحها ، فيفصل أداء العبادة عن أخلاقها فيسيء الخُلُق مع الناس ، مما يَردُّ عليه عبادته فلا تقبل ويحرمه ثوابها ؛ فالغاية من بعثة النبي ﷺ هي إتمام حسن الخلق " إنما بُعِثتُ لأتمِّمَ مكارمَ الأخلاقِ " [ صححه الألباني ] .

ويقول النبي ﷺ : " رُبَّ قائمٍ حَظُّهُ مِنَ القِيامِ السَّهَرَ ، ورُبَّ صائمٍ حَظُّهُ مِنَ الصِّيامِ الجوعُ والعَطَشُ " [صححه الألباني] .

وإن قُبِلَت عبادته فسوف يبدد سوءُ خلقه ما حصَّل من حسنات بأداء العبادة ويصبح يوم القيامة مُفْلِساً من الحسنات ويدخل النار فعن أبي هريرة قال : قال

رسول الله ﷺ : " أتدرون ما المفلِسُ ؟ قالوا : المفلِسُ فينا من لا درهمَ له ولا متاعَ. فقال : إنَّ المفلسَ من أمَّتي ، يأتي يومَ القيامةِ بصلاةٍ وصيامٍ وزكاةٍ ، ويأتي قد شَتَمَ هذا ، وقَذَفَ هذا ، وأَكَلَ مَالَ هذا ، وسَفَكَ دَمَ هذا ، وضَرَبَ هذا . فيُعطَى هذا من حسناتِه وهذا من حسناتِه . فإن فَنِيَتْ حسناتُه ، قبل أنْ يقضيَ ما عليه، أُخِذَ من خطاياهم فطُرِحت عليه . ثمَّ طُرِح في النَّارِ " [صحيح مسلم] .

## من صور الاستهزاء بآيات الله

ومن صور الاستهزاء بآيات الله والإساءة إلى دينه وتشويه صورة المسلمين أن أداء بعض الناس للعبادات يُسِيء من أخلاقهم بدلاً من تحسينها حيث يظنون أن مجرد أدائهم للعبادة ضمان لغفران الذنوب مهما عظمت ودخول الجنة مهما أذنبوا فيظنون أن صلاتهم وإن لم تنههم عن الفحشاء والمنكر ، وصيامهم وإن لم يثمر تقوى، وزكاتهم وإن لم تطهرهم ، وصومهم عن الطعام والشراب والجماع وإفطارهم على الرفث والفسوق والسباب ، وحجِّهم وإن رفثوا فيه وفسقوا وتجادلوا سوف ينجيهم من عذاب الله ويدخلهم جناته ، فيتوهَّمون أن مجرد الامتناع عن الطعام والشراب في رمضان أو في يوم عرفة أو عاشوراء يغفر لهم ذنوبهم ، وأن أداءهم الحج وإن كان بمال حرام وقصدوا به وجه الناس يعيدهم كيوم ولدتهم أمهاتهم ، وهم يتجاهلون أن الغاية من بعثة النبي ﷺ هي إتمام محاسن الأخلاق ، وأن الدين حسن الخلق ، وأن الدين المعاملة ، وأن امرأة دخلت النار بسبب إيذائها جيرانها بلسانها رغم كثرة صلاتها وصيامها وصدقتها " قال رجلٌ يا رسولَ اللهِ إنَّ فلانةَ فذَكَرَ من كثرةِ صلاتِها وصدقتِها وصيامِها غيرَ أنَّها تُؤْذِي جيرانَها بلسانِها قال هيَ في النارِ قال يا رسولَ اللهِ فإنَّ فلانَةَ فذَكَرَ من قلَّةِ صيامِها وصلاتِها وأنَّها تصَدَّقُ بالأثْوارِ من الأقِطِ ولا تُؤْذِي بلسانِها جيرانَها قال هي في الجنةِ "

[ صححه الألباني ]

## خصائص أخلاق الإسلام

وآسف على الإطالة في هذا الموضوع فالأخلاق في الإسلام يطول فيها الحديث وقد أُلِّفت فيها كتب وأكتفي بذكر سمات الأخلاق في الإسلام دون شرح أو تفصيل لها :

١-الأخلاق الإسلامية ربانية المصدر .

٢-الأخلاق الإسلامية شاملة ومتكاملة .

٣-الأخلاق الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان .

٤-الأخلاق الإسلامية مقنعة عقلياً مُحَبَّبة وجدانياً .

٥-الإنسان مسئول في الأخلاق الإسلامية عما يصدر منه.

٦-العبرة في الأخلاق الإسلامية بالظاهر والباطن من الأعمال معًا .

٧- تُعْنَي الأخلاق الإسلامية بمراقبة المسلم الله تعالى في جميع أمور الحياة .

٨- الأخلاق الإسلامية ترتبط بالجزاء الدنيوي والأخروي .

٩- الأخلاق الإسلامية غَيْرِيَّة وليست أنانية .

وأنا أدعوكِ يا بنتي لتعليم ابنك في المدرسة أخلاق الإسلام أخلاق النبي ﷺ التي اتصف بها وأمر المسلمين بها وليس أخلاق المسلمين الذين خرجوا عليها ، أخلاق الإسلام التي يذكر جعفر بن أبي طالب جزءاً منها للنجاشي ملك الحبشة فيقول : " قال أَيُّهَا المَلِكُ كُنَّا قَوْمًا أَهْلَ جَاهِلِيَّةٍ نَعْبُدُ الأَصْنَامَ ونَأْكُلُ المَيْتَةَ ونَأْتِي الفَوَاحِشَ ونَقْطَعُ الأَرْحامَ ونُسِيءُ الجِوَارَ ويَأْكُلُ القَوِيُّ مِنَّا الضَّعِيفَ فَكُنَّا على ذلك حتى بَعَثَ اللهُ إِلَيْنَا رَسُولا مِنَّا نَعْرِفُ نَسَبَهُ وصِدْقَهُ وأَمَانَتَهُ وعَفَافَهُ فَدَعَانَا إلى اللهِ عزَّ وجلَّ ؛ لِنُوَحِّدَهُ ونَعْبُدَهُ ونَخْلَعَ ما كُنَّا نَعْبُدُ نَحْنُ وآباؤُنَا من دُونِ اللهِ من الحِجَارَةِ والأَوْثَانِ وأَمَرَنَا بِصِدْقِ الحَدِيثِ وأَدَاءِ الأَمَانَةِ وصِلَةِ الرَّحِمِ وحُسْنِ الجِوَارِ والْكَفِّ

عَنِ المَحارِمِ والدِّمَاءِ ونَهَانَا عَنِ الفَوَاحِشِ وشَهَادَةِ الزُّورِ وأَكْلِ مَالِ اليَتِيمِ وقَذْفِ المُحْصَنَةِ وأَمَرَنَا أَنْ نَعْبُدَ اللهَ لا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا " [ صحيح أحمد ] .

## مناقشة حول علاقة أخلاق الإسلام بالرق

ردَّت مِنَّة على موضوع خصائص أخلاق الإسلام قائلة : " الرق واستعباد البشر كان يتم تحت مظلة الاسلام وآيات القرآن تقر الرق بل وتنظم العلاقة مع ملك اليمين وقد اعادت بعض الجماعات الاسلامية التى اقامت خلافة هذا النظام، فهل يمكن ان نعتبره امر اخلاقى؟ بالطبع لا سواء اقره الاسلام فى عصره ام لم يقره، فأنا اراه امرا غير اخلاقى، ذلك مجرد مثال واحد والامثلة كثيرة لا يتسع المجال لذكرها. " .

اعلمي يا بنتي أن الإسلام جاء فوجد الرق منتشراً في كل العالم ، ومعترف به في كل ملَّة ودين ، والإسلام لم يدعُ إلى الرق بل كان الدين الوحيد الذي دعا إلى تصفيته .

جاء القرآن الكريم فأغلق جميع مصادر الرق وهي كثيرة ، وكان رقّ الأسرى بحالة الحرب في تلك المرحلة الزمنية (القرون الوسطى) قانون دولي متعارف عليه بين الدول، فعلى الدولة الإسلامية في حالة الحرب أن تعامل الدولة التي تحاربها بالمثل في استرقاق رعاياها أو يتم تبادل الأسرى بعد انتهاء الحرب، أو فداؤهم بالمال . إلا أن الإسلام دعا إلى إطلاق سراحهم، حتى لو لم يتم التبادل مع الدولة المحاربة ﴿فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الحَرْبُ أَوْزَارَهَا ﴾ [محمد:٤] .

﴿ فَإِمَّا ﴾ تفيد حصر حال المقاتلين بعد الأسر في الأمرين : المن أو الفداء .

وقد صحَّ أن رسول الله ﷺ فدى رجلين من المسلمين برجل من المشركين، كما فدى بعض المشركين في مقابل أن يعلِّم الواحد منهم عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة.

ولا شك أن هذه الأحكام كانت نقلة حضارية كبيرة جاءت مع الإسلام، حيث لم تكن توجد يوم جاء الإسلام التزامات محددة يلتزم بها العالم تجاه الأسرى الذين كانوا يتعرَّضون لأسوأ المعاملة، ويجوز قتلهم قتلاً مطلقًا، فجاء الإسلام بتشريع واضح ملزم يُجيز لهم إطلاق أسراهم .

ويحْرُم الإسلام على المسلم في قتاله ، الغدر والفجور والفساد وقتال غير المقاتلين مثل : النساء والأطفال ، والعجائز ، ورجال الدين ، والفلاحين ، وكل من لم يشترك في قتاله على الجملة . ولا يتبع مُدْبراً ولا يجهز على جرحى ولا يمثل بقتيل ولا يسيء إلى أسير .

ولم يكتف الإسلام بإغلاق مصادر الرق بل راح يرغِّب في عتق الموالي التي سبق استعبادهم قبله وفتح لهم أبواب الحرية ، فمن ذلك رتّب كفارة العتق وأوجبها في بعض الصغائر والكبائر ، كالقتل والظهار وغيرهما . ومن ذلك : جواز المكاتبة أن يطلب الرقيق حريته بدفع شيء يكاتب عليه سيّده ، وجعل للمكاتبين نصيباً في الزكاة الواجبة : ﴿وَفِي الرِّقَابِ﴾ [التوبة:٦٠] وحرّم على السيد استرقاق أمّ الولد أو بيعها ... إلخ .

أوجب على السيد في حقّ مولاه نفقته وكسوته وحمله إذا احتاج الركوب ، وليست النفقة على العمل ، وحرّم على السيد أن يكلّفه بعمل يشقّ عليه ولا يتحمله . قال ﷺ : للمملوكِ طعامُهُ وكِسْوَتُهُ . ولا يُكَلَّفُ من العملِ إلا ما يطيقُ " [ صحيح مسلم ] وكذلك حرّم عليه أن يستخدمه في عمل يؤدي بعد ذلك إلى الإصابة بالأمراض ، ويعجز عنه بعد مرور الأيام . وجعل من حقوق المولى على السيد أن يعطيه ساعات يرتاح فيها من العمل وأطفال الموالي لا يُطالَبون بالكسب ، بل يُتركون حتى يكبروا .

وجعل الإسلام سياجاً منيعاً للحقوق المعنوية للرقيق ، فحرّم إهانتهم واحتقارهم وضربهم .

روى أبو مسعود : " كنتُ أضرب غلامًا لي . فسمعتُ من خلفي صوتًا " اعلمْ ، أبا مسعودٍ ! لله أقدرُ عليك منك عليه " فالتفتُّ فإذا هو رسولُ اللهِ ﷺ فقلتُ : يا رسولَ اللهِ ! هو حُرٌّ لوجه اللهِ . فقال " أما لو لم تفعلْ ، للفحتْك النارُ ، أو لمسَّتْك النارُ " [ صحيح مسلم ] .

وظل النبي ﷺ يوصي بالموالي خيراً حتى آخر لحظة في حياته : " الصلاةَ الصلاةَ وما ملكتْ أيمانُكم حتى جعل يُغرغِرُ بها في صدرِه وما يُفيضُ بها لسانُه " [ صححه الألباني ] .

ولقد ألغى النبي ﷺ كلمة "العبد" و "الأمة" واستبدالها بكلمة الفتى والفتاة " لا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ عَبْدِي وَأَمَتِي كُلُّكُمْ عَبِيدُ اللَّهِ وَكُلُّ نِسَائِكُمْ إِمَاءُ اللَّهِ وَلَكِنْ لِيَقُلْ غُلامِي وَجَارِيَتِي وَفَتَايَ وَفَتَاتِي " [ صحيح مسلم ]

بل لقد مضى الإسلام إلى ما هو أبعد من تحرير الرقيق ، فلم يتركهم في عالم الحرية الجديد دون عصبية وشوكة وانتماء، وإنما سعى إلى إدماجهم في القبائل والعشائر والعصبيات التي كانوا فيها أرقاء، فأكسبهم عزتها وشرفها ومكانتها ومنعتها وما لها من إمكانات ، وبذلك أقام نسيجاً اجتماعيًّا جديداً عن طريق "الولاء" الذي قال عنه رسول الله ﷺ : " الولاءُ لحمةٌ كلحمةِ النسبِ " [ رواه الدارمي ] حتى لقد غدا أرقَّاء الأمس " سادة " في أقوامهم ، بعد أن كانوا "عبيداً " فيهم.

وقد قال عمر بن الخطاب عن بلال الحبشي الذي اشتراه أبو بكر الصديق وأعتقه: سيدُنا أعتق سيدَنا ! كما تمنى عمر بن الخطاب أن يكون سالم مولى أبى حذيفة حيّاً فيختاره في منصب الخلافة؛ فالمولى الذي نشأ رقيقاً قد حرَّره الإسلام ، فكان إماماً في الصلاة وأهلاً لخلافة المسلمين.

ورغم انتكاس الواقع التاريخي للحضارة الإسلامية بعد عصر الفتوحات وسيطرة العسكر المماليك على الدولة الإسلامية، إلا أن حال الأرقاء في الحضارة

الإسلامية قد ظلت أخف قيوداً وأكثر عدلاً بما لا يقارن من نظائرها خارج الحضارة الإسلامية.

عندما سعت أوربا في القرن التاسع عشر إلى إلغاء نظام الرق وتحريم تجارته ، لم تكن دوافعها – في أغلبها – روحية ولا قيمية ولا إنسانية، وإنما كانت في الأساس ، دوافع مادية؛ لأن نظامها الرأسمالي قد رأى في تحرير الرقيق سبيلاً لجعلهم عمالاً أكثر مهارة، وأكثر قدرة على النهوض باحتياجات العمل الفني في الصناعات التي أقامها النظام الرأسمالي.

ولقد كان القرن الذي دعت فيه أوربا لتحرير الرقيق هو القرن الذي استعمرت فيه العالم فاسترقَّت بهذا الاستعمار الأمم والشعوب استرقاقاً جديداً، لا تزال الإنسانية تعانى منه حتى الآن. " (١)

أما بعض الجماعات الإسلامية الإرهابية التي أقامت خلافة وأعادت نظام الرق ، فاعلمي يا بنتي أن هذه الجماعات صناعة أمريكية ولا علاقة لها بالإسلام ولا علاقة للإسلام بها ، وجميع الشعوب العربية والإسلامية تناصبها العداء لأن هؤلاء من قال النبي ﷺ فيهم " من خرج من الطاعةِ ، وفارقَ الجماعةَ ، فماتَ ، ماتَ ميتةً جاهليّةً . ومن قاتلَ تحتَ رايةٍ عميّةٍ ، يغضبُ لعُصبةٍ ، أو يدعو إلى عُصبةٍ ، أو ينصر عُصْبةً ، فقتلِ ، فقتلةُ جاهليّةٌ . ومن خرج على أمّتي ، يضربُ بَرّها وفاجِرها . ولا يتحاشَ من مؤمِنِها ، ولا يَفي لِذِي عهدٍ عهْدهُ ، فليس مني ولستُ منهُ . وفي رواية : لا يتحاشى من مؤمنها " [ صحيح مسلم ]

## هل تعليم الدين مُصَادرة على حق التلميذ في الاختيار ؟

أما قولك : " إنك تزرع في ابنك معتقدك الديني زي ما تزرع فيه أيديولوجيتك السياسية بالظبط .

---

(1) لمزيد من التفصيل راجع د. محمد عمارة " الرق " موقع وزارة الأوقاف المصرية .

ببساطة بتصادر حقه في الاختيار زى ما أهلك صادروا حقك فى الاختيار.

متصور أنه بعد ما يكبر هيبقى عنده القدرة أن يتحرر من القيود دي كلها ويفكر من جديد ويختار طريق مختلف؟ " .

## حق الآباء في اختيار نوع تربية أولادهم

الحقيقة الثالثة : أن ميثاق الأمم المتحدة قد نصَّ في المادة ٢٦ على " لكل شخص الحق في التعلم، ويجب أن يكون التعليم في مراحله الأولى والأساسية على الأقل بالمجان، وأن يكون التعليم الأولي إلزامياً ... يجب أن تهدف التربية إلى إنماء شخصية الإنسان إنماء كاملاً، وإلى تعزيز احترام الإنسان والحريات الأساسية وتنمية التفاهم والتسامح والصداقة بين جميع الشعوب والجماعات العنصرية أو الدينية، وإلى زيادة مجهود الأمم المتحدة لحفظ السلام ... للآباء الحق الأول في اختيار نوع تربية أولادهم ."

فميثاق الأمم المتحدة يقرر حق الآباء في اختيار نوع تربية أولادهم ، وقد ارتضى المصريون في كل الدساتير المصرية وآخرها دستور ٢٠١٤ " الإسلام دين الدولة ، واللغة العربية لغتها الرسمية ، ومبادئ الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسي للتشريع" . وبعد أن يبلغ الإنسان الرشد فله أن يتبنَّى من الأفكار والمعتقدات ما يريد ولا سلطان لأبيه عليه كما حدث معك أنتِ شخصياً .

وجاء في المادة ٢٩ من ميثاق الأمم المتحدة : " يخضع الفرد في ممارسة حقوقه وحرياته لتلك القيود التي يقررها القانون فقط، لضمان الاعتراف بحقوق الغير وحرياته واحترامها ولتحقيق المقتضيات العادلة للنظام العام والمصلحة العامة والأخلاق في مجتمع ديمقراطي " .

## مناقشة حول حرية تربية الأبناء

قالت منة في معرض حديثها عن تربية الأبناء : " فى صفحة ١٣٨ ذكرت ان ميثاق الامم المتحدة اعطى الاباء الحق فى اختيار نوع تربية اولادهم، فهل اعطى

المياق هذا الحق واستثنانى انا منه؟! انا ايضا يحق لى اختيار نوع تربية ابنائى وقد اخترت ان اعلمهم الاخلاق وان اعلمهم استعمال عقولهم بلا قيد وان اترك لهم حرية الاختيار بعد ذلك فما هى المشكلة؟؟

وفى نفس الصفحة اوردت مواد الدستور كحجة على، وهى ليست كذلك، فالدستور كتب بالتوافق وهو ليس منزل من السماء بل هناك آليات لتغييره، والدعوة لتغيير مواد فى الدستور ليست انتهاكا له، كما انى عبرت عن وجهة نظرى ليس الا ولم ادع الى فرضها على الاخرين، لا انادى بالغاء تدريس الدين بل اطالب بجعله اختياريا، وارى ان ذلك ان اكثر عدلا. "

يا بنتي كان ذِكْرِي لما جاء في ميثاق الأمم المتحدة من إعطاء الآباء حق اختيار نوع تربية أولادهم ردّاً على اعتراضك على تعليم أبنائك الدين الإسلامي في المدارس الحكومية ، والغالبية العظمى من الآباء الذين لهم الحق في اختيار نوع تربية أولادهم – باستثناء النزر اليسير أنت واحدة منه – يقبلون تدريس الدين في المدارس بل يطالبون بجعله مادة أساسة تضاف إلى المجموع ، والرجاء مراجعة ما كتب مرة ثانية . أما عن دعوتك إلى تغيير مواد في الدستور فهي حق مشروع ولكن عليك أن تلتزمي بالدستور إلى أن يتم تغييره . أما الذي أضحكني فهو رغبتك في تغيير مواد من الدستور وبالقطع على رأس هذه المواد المادة الثانية " الإسلام دين الدولة، واللغة العربية لغتها الرسمية، ومبادئ الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسي للتشريع " أما مبررك في ذلك فهو أن الدستور ليس منزلاً من السماء !! هذا على أساس أن الدستور المصري الكتاب الذي أنزله الله تعالى على محمد رسول الله ، ومبادئ الشريعة الإسلامية جاءت بالتوافق المجتمعي !!

نعود لمواصلة مناقشتنا لأفكار منَّة التي ذكرتها على صفحتها في الفيس بوك.

## موقف المصريين غير المؤمنين بالشرائع السماوية من تدريس الدين

أما قولك " أن المصريين مش بس مسلمين ومسيحيين، فيه بشر تانيين ومن حقهم ما يدرسوش دين يخالف ضميرهم ويمتحنوا فيه بلطجة ."

فالدستور المصري ينص على : " مبادئ شرائع المصريين من المسيحيين واليهود المصدر الرئيسي للتشريعات المنظمة لأحوالهم الشخصية وشئونهم الدينية واختيارات قياداتهم الروحية " .

وعلى غير أصحاب الديانات السماوية من المصريين كالشيوعيين ، والوجوديين ، والعلمانيين ، والبهائيين ... وهم قلَّة قليلة إما أن يدرس أبناؤهم الدين الإسلامي أو المسيحي كمادة ثقافية إذا أرادوا أن يُلْحِقُوا أولادهم بالمدارس الحكومية المصرية ، وإما أن يُلْحِقوهم بمدارس أجنبية ليس الدين فيها مادة أساسية ، لكن ليس من المنطقي أنه من أجل بضعة آلاف نُلْغِي مادة الدين التي يؤمن بها سائر الشعب المصري ويحرص على تعليمها لأبنائه .

***

# ما الفرق بين حرية الرأي وإثارة الفتنة ؟

## ما الفرق بين حرية الرأي وإثارة الفتنة ؟

### هل الأزهر هو الذي حبس إسلام البحيري ؟

كتبتِ يا بنتي يوم ٢٧ سبتمبر ٢٠١٦ : " بكرة الإفراج عن إسلام بحيري بعد ما قضى العقوبة ، خلينا ما ننساش إن الأزهر هو اللي قدَّم البلاغ ضد إسلام وحبسه، وقبلها هو اللي أوقف برنامجه، الأزهر وليس أي واحد متطرف معدّي في الشارع . "

### رأي الأزهر في كلام إسلام البحيري

قال المركز الإعلامي للأزهر الشريف " إنه تابع ببالغ الاهتمام الهجمات الشرسة والمضللة التي يتبناها بعض الإعلاميين ضد ثوابت الدين والتراث الإسلامي وفقهاء الأمَّة، كما تلقَّى المركز الإعلامي شكاوى عديدةٍ من كثيرٍ من المواطنين حول ما دأب عليه بعض الإعلاميين من الهجوم الدائم على ثوابت الدين الإسلامي وخصوصًا ما يقدمه إسلام البحيري، عبر برنامجه " مع إسلام " المذاع في قناة "القاهرة والناس."

وأكَّد المركز الإعلامي، في بيان له " أن الأزهر الشريف هو المرجع الوحيد في الشئون الإسلامية وفقاً للدستور، وهو الهيئة العلمية الإسلامية التي تقومُ على حِفظ التراث الإسلامي ودراسته وتجليته للناس كافَّة، وتحمُّل أمانة توصيل الرسالة الإسلامية إلى كل شُعوب المعمورة، وتعمل على إظهار حقيقة الإسلام السَّمحة.

وتابع: وفي إطار قيام الأزهر بالحفاظ على الدين الإسلامي من التشكيك والتشويه وعدم السماح بأن ينال أحدهم من صورة الإسلام أو أن يعبث بعقول الشباب، فقد تقدم الأزهر الشريف بشكوى إلى المنطقة الحرة الإعلامية بالهيئة

العامة للاستثمار ضد البرنامج المذكور لما يمثله من خطورة في تعمده تشكيك الناس فيما هو معلومٌ من الدين بالضرورة، بالإضافة إلى تعمُّقه في مُناقضة السَّلم المجتمعي، ومُناهضة الأمن الفكري والإنساني، مما يجعل البرنامج يمثل تحريضاً ظاهراً على إثارة الفتنة وتشويه للدين ومساس بثوابت الأمَّة والأوطان وتعريض فكر شباب الأمة للتضليل والانحراف." .

لقد رأى الأزهر الشريف في كلام إسلام البحيري أنه إساءة للإسلام ، وإساءة لمؤسسة الأزهر فقام بعض علمائه بالرد العلمي على ما قاله البحيري وتنبيهه إلى عدم الإساءة للإسلام وعلماء الإسلام ، وإن كان من حقه أن يبدي رأيه دون إساءة، ولكن البحيري استمرَّ في الإساءة فما كان من الأزهر إلا أن رفع ضده دعوى قضائية كأي مواطن في أي بلد متقدِّم يحترم القانون والدستور ، وحكمت المحكمة وليس الأزهر بالسجن على البحيري فعلى من تقع المسئولية ؟

على الأزهر الذي لجأ إلى القضاء لأخذ حقه ، أم على القاضي الذي حكم وفق القانون والدستور ، أم على البحيري الذي انتهك القانون والدستور ؟!

**مناقشة حول : سلطة الأزهر كهنوت أم سلطة دستورية ؟**

ردت مِنَّة على رأي الأزهر في البحيري قائلة : " صفحة ١٤٣، استعرضت ما قاله المركز الاعلامى للازهر حول قضية اسلام البحيرى، الذى وصف تهمة اسلام البحيرى ب" الهجمة ضد ثوابت الدين والتراث الاسلامى وفقهاء الامة"!!

ياالله!! كيف استطعت ان تستعرض هذا البيان دون ان تجد فيه اى تناقض مع ما اوردته فى هذا الكتاب عن ان الاسلام ليس به كنيسة ولا كهنوت كأوروبا فى العصور الوسطى، ام انك ترى ان الكنيسة مجرد بناء يعلوه صليب!!!

"أكد المركز الاعلامى ان الازهر هو المرجع الوحيد فى الشئون الاسلامية وفقا للدستور" ذلك هو مفهوم المؤسسة الدينية وتلك هى الكنيسة الاسوء من كنيسة اوروبا فى العصور الوسطى، الكهنوت الاسلامى يتحكم فى حياتنا وان مارسنا

حقنا فى نقد التراث الذى اتفق مع اسلام البحيره انه تراث عفن ودموى، كان مصيرنا السجن اى انكم تقدسون هؤلاء الفقهاء، وفى ذات الوقت تتباهون ان لا كنيسة فى الاسلام، اومال المرجع الوحيد فى الشئون الاسلامية يبقى ايه!! " .

يا بنتي ليس في كلامي تناقض إن تدبرتيه ؛ فقد ذكرتُ ما قاله الأزهر تبريراً لرفع الدعوى القضائية على البحيري ، أما أن الأزهر يمثل سلطة كسلطة الكنيسة في أوربا في العصور والوسطى فليس صحيحاً إنما الأزهر الشريف يمارس دوره الذي أعطاه له دستور ٢٠١٤ الذي وافق عليه جموع الشعب المصري فقد جاء في المادة ٧ : " الأزهر الشريف هيئة إسلامية علمية مستقلة، يختص دون غيره بالقيام على كافة شئونه، وهو المرجع الأساسي في العلوم الدينية والشئون الإسلامية، ويتولى مسئولية الدعوة ونشر علوم الدين واللغة العربية في مصر والعالم."

فسلطة الازهر الشريف سلطة مدنية دستورية قانونية يمارسها الأزهر ولا علاقة لها بسلطة الكنيسة في العصور الوسطى التي منحت حكامها الحق الإلهي في إدارة البلاد الذي يعرف بالحكم " الثيوقراطي " والأزهر لم يتدخل في حكم البلاد ولا في أي سلطة من السلطات الثلاث : التشريعية ، القضائية ، التنفيذية . بل بالعكس تماماً فعندما أساء البحيري الحديث في العلوم الدينية والشئون الإسلامية وأثار حفيظة كثيراً من المسلمين وأغضبهم قام الأزهر الشريف بمسئوليته التي خوَّلها له الدستور ورفع قضية إلى السلطة القضائية ، والذي نفذَّ الحكم القضائي السلطة التنفيذية .

وجاء في ردِّ مِنَّة أيضا : " فى اطار قيام الازهر بالحفاظ على الدين الاسلامى من التشكيك والتشويه..." الحقيقة دى حرية الفكر والتعبير فى ازهى صورها! وما التشكيك الا نقطة البداية لعملية التفكير الحر، ام ان التفكير الحر يبدأ من الاقرار والتسليم؟؟

ما يحتاج الى حماية من التشكيك هى الافكار الهشة الجبانة، اما الافكار ذات الاساس القوى الراكز فلا يضرها التشكيك، بل يزيدها رسوخا.

"بالاضافة الى تعمقه فى مناقضة السلم المجتمعى، ومناهضة الامن الفكرى والانسانى..."!!

اى كلام اى كلام، باختصار كلام انشاء لا معنى له ولا قيمة وحرام ان تقيد حرية انسان بتلك التهم الواهية، هذا الازهر الغير شريف يريد ان يمارس الوصاية على الدين وعلينا كأشخاص نريد ان نمارس حقنا فى التفكير والتعبير. "

"وان كان من حقه ان يبدى رأيه دون اساءة ولكن البحيرى استمر فى الاساءة فما كان من الازهر الا ان رفع دعوى قضائية..."!!

اى اساءة يا سيدى؟ هل قام البحيرى بسب السيدة والدة شيخ الازهر مثلا؟ هل خاض فى اعراض السادة المشايخ؟؟ كل ما قاله الرجل ان فتاوى بن تيمية دموية وان تراث عفن ودموى وخلافه من الاوصاف التى تصف افكار السابقين لا اشخاصهم، فعلام حبسه الازهر الغير شريف!!" "على من تقع المسئولية؟ على الازهر الذى لجأ الى القضاء ام على القاضى الذى حكم وفق القانون والدستور"

دعنى اجيبك على هذا السؤال، اولا: الدستور زاخر بالمواد التى تضمن حرية الفكر والتعبير والاعتقاد واذكر منها:

مادة ٦٤ "حرية الاعتقاد مطلقة"

مادة ٦٥ "حرية الفكر والرأى مكفولة ولكل انسان حق التعبير عن رأيه بالقول او بالكتابة او بالتصوير او غير ذلك من وسائل التعبير والنشر"

مادة ٦٧ "لا يجوز رفع او تحريك الدعاوى لوقف او مصادرة الاعمال الفنية والادبية والفكرية او ضد مبدعيها الا عن طريق النيابة العامة، ولا توقع عقوبة سالبة للحرية فى الجرائم التى ترتكب بسبب علانية المنتج الفنى او الادبى او

الفكرى، اما الجرائم المتعلقة بالحريض على العنف او التمييز بين المواطنين او الطعن فى اعراض الافراد، فيحدد القانون عقوبتها"

وما قام به اسلام البحيرى كان فى هذا النطاق ولم يخرج عنه ابدا ولم يستثن الدستور كتب الفقهاء او الحديث من اطار حرية الرأى والتعبير، ثانيا: المشكلة الحقيقية هى الازدواج التشريعى الذى يعانى منه اى قاضى، ما بين القانون المدنى والقانون الدينى الذى رسخته المادة الثانية من الدستور، التى تعلى القانون الدينى فوق القانون المدنى، فيجد القاضى نفسه فى حيرة بين ان يحكم وفقا للقانون المدنى الذى لم يخالفه البحيرى، والقانون الدينى الذى يضع عقوبات على سب الائمة والرسل وما الى ذلك، مما حول نظامنا القضائى والتشريعى الى مسخرة حقيقية." انتهى رد مِنَّة حول دور الأزهر .

## الفرق بين حرية الرأي وإساءة الأدب

يا بنتي ليس كل الناس مثلك علمانيين يسعدهم الطعن في الدين والإساءة إلى أعلامه وعدم مراعاة شعور المؤمنين به تحت دعوى حرية الرأي والفكر فإن لم يتدخل القضاء في الفصل بين المتنازعين قام الناس بالدفاع عن معتقداتهم بطرقهم الخاصة ونعود إلى شريعة الجاهلية . وهناك فرق كبير بين حرية البحث والتفكير والاختلاف وسوء الأدب ، وهناك ميثاق شرف يحترمه الذي يستحق لقب عالم يسمى أدب الاختلاف ، والقارئ لكتب الفقه والتفسير وعلم الكلام وغيرها يجد فيها اجتهادات كثيرة واختلافات كثيرة وردود على المخالفين كثيرة لهم لكن بأسلوب علمي والتزام بأدب الاختلاف ، والبحيري لم يلتزم الأسلوب العلمي في البحث كما لم يلتزم أدب الاختلاف مما حدا بالأزهر إلى رفع قضية ضده فحكم عليه القضاء ومصر ليس استثناء بين الدول العلمانية التي تحترم الدستور والقانون والقضاء .

يا بنتي إن الذي يفصل في المنازعات ليس رأيك ولا رأيي إنما القضاء ، والقضاء لا يحكم بالقانون الديني إنما يحكم بالقانون المدني إذ ليس عندنا في مصر إلا

قانون واحد يحكم به قضاة مصر . أرجو أن تراجعي معلوماتك فيما يخص القانون والقضاء .

نعود إلى مناقشة آراء منَّة بعد أن ناقشنا ردها .

## عقوبة منكر الهولوكوست في أوروبا

ومـاذا سيحدث لكِ يا بنتي لو كنتِ تعيشين في : أية دولة أوربية وأنكرت الهولوكوست ( الإبادة الجماعية لليهود خلال الحرب العالمية الثانية ) ونشرت ذلك ؟

فسيصدر ضدك حكم قضائي إن كنتِ تعيشين في إيطاليا بالسجن لمدة من ٢- ٦ سنوات ، وفي روسيا بالسجن لمدة تصل إلى خمس سنوات، وفي النمسا بالسجن من ١٠- ٢٠ عاماً ، وفي التشيك بالسجن من ٦ أشهر إلى ٣ سنوات ، وفي ألمانيا بالسجن من ٣ شهور إلى ٥ سنوات ، وفي المجر بالسجن لمدة تصل إلى ٣ سنوات ...

مع أن الهولوكوست ليس معتقداً دينياً يدين به غالبية الشعب ويغضبهم الإساءة إليه .

ابنتي العزيزة لكلِّ حرية ضوابط تحكمها وإلا صارت فوضى، ولكل دولة مقدساتها وخطوطها الحمراء التي تحاكم من يتجاوزها ، ومصر ليست بدعاً في هذا الأمر بين الدول .

## مناقشة حول مخالفة القانون وحرية الرأي

جاء في رد مِنَّة حول موضوع الهولوكوست ما يلي : " فى صفحة ١٤٤ تناولت عقوبة منكرى الهولوكوست واحب ان اطمأنك الى انى ارفض كل قيد على حق الانسان فى التعبير السلمى عن ارائه وان كان الله خلقنى مواطنة المانية او نمساية، كنت سأسعى جاهدة الى تغيير تلك القوانين، ثم التشكيك فى الهولوكوست لا يعد جريمة فى كل دول العالم ماعدا تلك التى ذكرتها، فلماذا تقتدى بدول تقيد الحرية لتنتصر لوجهة نظرك فى حين تترك باقى دول العالم!!! " .

اعلمي يا بنتي أن القانون يطبَّق إلى أن يتم تغييره ، وجميع المواطنين يجب أن يقبلوا به وإن كانوا معارضين له هذه هي الديمقراطية التي تؤمنين بها .

يا بنتي أذكرك بما فعله "سقراط" بعدما حُكِم عليه بالموت ، عرض عليه تلاميذه ومريدوه رشوة حراس السجن وإنقاذه من حكم الإعدام الظالم ، ولكن سقراط رفض، أتدري يا بنتي لما رفض سقراط لأنه مواطن يعيش بالمدينة ويخضع لقوانينها، ولو قام بما ينافي ذلك فإنه يكون بذلك قد خرق العقد الاجتماعي الذي وقَّعه مع الدولة وبالتالي سيسبِّب ضررًا لها ومثل هذا التصرُّف ينافي المبادئ التي ينتهجها "سقراط." وكل مواطن صالح . أتمنى أن تكوني قد وعيت الدرس.

أما قولك إني اقتديت بدول تقيد الحريات فأنا الحقيقة قد استشهدت بإيطاليا ، وألمانيا ، وروسيا ، والنمسا ، والمجر ، والتشيك وهي دول أوربية ديمقراطية علمانية كنت أظن أن الحرية فيها غير مقيدة !! وكان واجب عليك أن تذكريني بأسماء الدول العلمانية التي تطلق العنان للحريات فيها بلا قيد ولا شرط ، ولا تطبق القانون على الخارجين عليه !!!

## كيف يأخذ الإنسان حقه ممن اعتدى عليه ؟

إذا كان الأزهر الشريف متطرفاً وإرهابياً حقاً ، كما يحلو للعلمانيين وصفه ، لما رفع قضية ، وإنما يقوم بإثارة الرأي العام والتحريض ضد البحيري وأنت تعلمين النتيجة .

وإذا كنت ترفضين لجوء الأزهر إلى القضاء فدليني كيف يأخذ الإنسان حقه ممن أساء إليه في دول تحترم القانون ؟!

يا بنتي هناك فرق بين الرأي وإثارة الفتنة . والدستور يكفل حرية الرأي ، لكن يعاقب على مثير الفتنة والذي يفرِّق بين هذا وذاك هو القضاء ،وليس أحد سواه .

فالمشكلة ليست في حرية الفكر إنما في إثارة الناس والعبث بمقدساتهم .

## حيثيات إدانة إسلام البحيري

وإليك حيثيات إدانة البحيري " قالت هيئة المحكمة برئاسة المستشار محمد السحيمي ، وأحمد عطا وكيل النيابة ، وسكرتارية هشام مختار، إنه بعد أن اطلعت المحكمة على أوراق الجنحة المباشرة التي حملت رقم ٦٩٣١ لسنة ٢٠١٥، وعلى كافة المستندات الخاصة بالقضية ، وعقب الاطلاع أيضا على ما ورد بكارت الميموري المُقدَّم من المدعى بالحق المدني، بجلسة النطق بالحكم، تبين صحة ما جاء بصحيفة الدعوى .

واتضح للمحكمة توافر أركان الجريمة في نص المادة ٩٨ من قانون العقوبات، وذلك من خلال ما ورد بتسجيلات المتهم بقناة القاهرة والناس المذاعة للكافة من ازدرائه للدين الإسلامي، حينما تعدَّى على أئمة الإسلام بوصفه لهم بالتخلف والعته والسفه، بجانب قوله إن كتب التراث الإسلامي هي سبب وجود ظاهرة الإرهاب في العالم، فضلاً عن لعن المتهم لثوابت الدين.

وعقب اطلاع المحكمة على تقرير مجمع البحوث الإسلامية الذي أكَّد أن ما بدَر من قِبَل إسلام يمثل مساساً للعقيدة الإسلامية وهدماً للدين الإسلامي من أساسه ، بدءاً من كتاب الله تعالى وسنه نبيه محمد ﷺ واجتماع علماء أئمة الإسلام، مما يتضمن تهكماً وتطولاً وسخرية وسبّاً لكافة الأئمة، بالإضافة إلى تطاوله على علم الحديث الشريف وعلمائه ، مما يهدر هيبة العلماء في قلوب محبيهم وقطعاً لسلسة نقل العلم من السلف للخلف .

وأكدَّ القاضي في حيثياته أن ارتكاب المتهم لهذه الجريمة يتيح الفرصة والظروف لأعداء الإسلام للفتك به، وذلك يعد استبداداً فكريّاً وإرهاباً دينيّاً فضلاً عن حديثه عن الذات الإلهية وسيدنا محمد دون إجلال وتعظيما لذات المولى عز وجل وسنة رسوله الكريم، الأمر الذي ترى معه المحكمة توافر أحكام الجريمة في حق إسلام، وبذلك تكون الجريمة ثابتة ثبوتاً يقينياً في حق المتهم، خاصة وأنه لم يقدم طعن بما ورد في تلك التسجيلات.

ورأت المحكمة بأن الجريمة التي ارتكبها المتهم تمثل تهديداً للأمن والسلم العام وتعدياً على حرمات الأديان السماوية وخاصة للدين الإسلامي، مستنداً لأفكاره المتطرفة التي أدت إلى ازدراء الدين الإسلامي ، واستندت المحكمة في اتهامه للمتهم إعمالاً بنص المادة ٣٠٤ /٢ إجراءات جنائية.

وقضت محكمة جنح مصر القديمة برئاسة المستشار محمد السحيمي، بمعاقبة الباحث إسلام بحيري بالسجن ٥ سنوات، مع الشغل والنفاذ والمصاريف، لاتهامه بازدراء الأديان."

وقد خُفِّف الحكم بعد ذلك إلى سنة واحدة ، وقد خرج البحيري من السجن يوم ١٨ / ١١ / ٢٠١٦ بموجب العفو الرئاسي للإفراج عن الشباب قبل إتمام مدة حبسه .

## العقوبة ليست على الرأي إنما على إثارة الفتنة

فأنت يا بنتي تطعنين أحياناً في ثوابت الدين في مجالسكِ الخاصة ، وعلى الفيس بوك مع أصدقائك فهل رفع الأزهر قضية ضدكِ؟ ، بالطبع لا .. أما أن ينشر كلام ويثير فتنة بين الناس وترى المؤسسة الدينية الرسمية إن فيه إساءة للدين وعلمائه فترفع قضية أمام القضاء فإن هذا يحمي حقها ، ويحمي صاحب الرأي لأنها إن لم تقم بهذه الخطوة لقام أحد المتطرفين بالاعتداء على البحيري كما حدث مع فرج فودة مثلاً .

## ما يؤخذ على إسلام البحيري

أما عن رأيي الشخصي في إسلام البحيري ، وليس في قرار حبسه لأنه لا يجوز التعليق على قرارات المحكمة ، فأولاً : إسلام لم يأتِ بجديد فيما طرحه من أفكار وآراء فقد سبقه بعض المستشرقين في طرح نفس هذه الآراء التي تطعن في ثوابت الدين والتراث الإسلامي وعلماء الأمَّة .

ثانياً : إن أسلوب السب والشتم والإثارة الذي اتبعه البحيري لا يتناسب وقضايا الدين التي يتناولها ولا يناسب كرامة العلماء الذين يسبهم .

ثالثاً : الباحث عن الحق لا ينبغي أن يطلب رضا الناس بسخط الله أو رضا أصحاب القنوات الفضائية على حساب الحق ، أنا أعلم أن بريق الشهرة يعمي أبصاراً ، وأموال أصحاب القنوات الفضائية تجعل اللبيب محتاراً ، ولكن إلا المساس بثوابت الدين .

رابعاً : إن كثيراً مما يقوله البحيري أنا أوافقه عليه ولكن أختلف بشدة على أسلوب التناول ، وكم أضاع الأسلوب الخاطئ حقوقاً مستحقَّة . وأنا أعلم جيداً أن البحيري إن استخدم أسلوباً علمياً ربما لم يسمع به أحد ككثير من الباحثين الجادين بل والعلماء الكبار الذين ماتوا دون أن يسمع بهم غير دوائر ضيقة جداً .

وأختم كلامي بذكر بعض الأخطاء التي جاءت في كلام البحيري ، وإن أردت المزيد فأنت تعرفين من أين تأتين به .

" البخاري ملئ بالعفن الفكري واحنا اعلم من البخاري وجيل الصحابه . " .

فالمشكلة عند البحيري ليست مشكلة حديث مُشْكِل إنما المشكلة عنده هو علم الحديث نفسه ، وليس حديث في البخاري إنما هو صحيح البخاري أو البخاري نفسه لقد نقد بعض علماء الحديث بعض أحاديث في البخاري نقداً علميّاً منضبطاً ورد غيرهم عليهم رداً علميّاً منضبطاً وفق ضوابط العلم وقواعده وأصوله .

إسلام البحيري يقول : " أنا عندي رأي بأن ما طرحه الأئمة الأربعة في بعض الحدود يستحقون به وصف خوارج ومفسدون في الأرض ونحن نناقش الكلام وليس المتكلم " .

كيف يصف أئمة الفقه : أبو حنيفة ، ومالك ، والشافعي ، وأحمد بن حنبل . بأنهم خوارج ومفسدون في الأرض ؟ وهل هذه طريقة سليمة ومناقشة علمية أم إثارة وفتنة ؟ إن لهؤلاء لعلماء مكانة كبيرة في نفوس كل المسلمين .

يقول البحيري : " كتب التراث هي البيئة الحاضنة والمنشأة لداعش ، وابن تيمية زنديق كافر كما قال تاج السبكي ، وأن فقهه ليس فقهاً أو منهجنا لكنه لعنة وبيئة حاضنة لداعش " .

أولا : مفهوم التراث ماذا يقصد به ؟ هل يقصد به ما أنتجه العلماء المسلمون : مفسرون ، فقهاء ، محدِّثون ، ...؟

إن كان يقصد به هؤلاء فإن هؤلاء هم من نقلوا إلينا الدين والتشكيك في كل ما كتبوه تشكيك في الدين نفسه ، وليت الأمر يتوقف عند هذا الفهم إنما العلمانيون يطلقون كلمة تراث على كل ما تركه لنا القدماء من علوم ومعارف وآداب بما في ذلك القرآن الكريم والحديث الشريف ، وهذا الكلام خطير جداً.

إنَّ هذا التراث الذي يدعي أنه البيئة الحاضنة للإرهاب والمنشئة لداعش قد أنشأ هذا التراث حضارة عظيمة في شتى العلوم والمعارف والآداب كانت أساساً للنهضة الأوربية الحديثة كما يعترف بذلك الغرب نفسه ، أما داعش ومن على شاكلتها فقد خرجوا على النهج القويم الذي جاء به الدين الحنيف وبينه العلماء الإجلاء عبر العصور والأجيال وعملت به الأمة في عصور ازدهارها أما أصحاب الهوى والفكر المنحرف الضال فيجتزئون بعض الأقوال بعيداً عن سياقها ليؤكدوا بها أفكارهم السقيمة ويبرروا بها أفعالهم القبيحة .

أما ابن تيمية فهو عالم كبير من علماء الإسلام يُؤْخَذ منه ويُرَدُّ عليه كغيره ، ويجب تناول آرائه في سياقها : التاريخي ، والاجتماعي ، والفكري ، والثقافي ... واتهام البحيري له بالكفر والزندقة وأنه لعنة وبيئة حاضنة للإرهاب فأقل ما يوصف به أنه جهل مُطْبِق .

والتصريح بأسماء علماء وشتمتهم والإساءة إليهم ليس من نهج الدين ولا هدي المصطفى ﷺ الذي كان يوجه المخطئ ويعلم المسيء ، ولكن بأسلوب التعميم رفقاً بالمخطئ ، وستراً للمسيء ، تقول السيدة عائشة : " كانَ النَّبيُّ ﷺ إذا بلغَهُ عنِ الرَّجلِ الشَّيءَ لم يقل ما بالُ فلانٍ يقولُ ولَكن يقولُ : ما بالُ أقوامٍ يقولونَ كذا وَكذا. " [ صححه الألباني ] .

ويقول النووي : " الأوْلى ترك التشهير والإعلان بالإنكار على المُعيَّن أمام الناس إن كان الأمر لا يتطلب ذلك ، وينبغي أن يسر بالنصيحة إليه ليتحقق القبول ." .

والبحيري يعترف بخطئه فيقول : " أسلوبي وألفاظي على الأئمة لم أقصد بها سباب، لكنها قاسية باعتبار أنهم بشر وليسوا مُقَدَّسين .. " .

## مناقشة حول ضوابط الحرية

ردت مِنَّة على رأيي حول ضوابط الحرية : " قلت سيدى "لكل حرية ضوابط تحكمها والا صارت فوضى، ولكل دولة مقدساتها وخطوطها الحمراء التى تحاكم من يتجاوزها ومصر ليست بدعا فى هذا الامر بين الدول"

اوفقك تماما ان لحرية التعبير ضوابط تحكمها، وتلك الضوابط هى منع التحريض على العنف والكراهية والعنصرية وما الى ذلك كما حدد الدستور، وليس مناقشة افكار دينية حتى ولو من باب الازدراء والتحقير، فالافكار كل الافكار يجب لن تخضع للنقاش الحر حتى يدرك الجميع الخطأ من الصواب، اما ان منعت كل دولة تناول دين الاغلبية فيها بالنقد والتمحيص، فكيف سيهتدى البشر الى الطريق الصواب، تصور معى ان اوروبا واميركا منعوا دحض ونقد الكتاب المقدس ووضعوا عقوبات على ذلك بحجة انه مقدس لديهم ومن حقهم وضع قوانين لحمايته، ابسط شئ ان كتبك يا سيدى سيتم منع تداولها فى تلك الدول، بل ان القرآن نفسه سيحظر طبعه او تداوله فهو زاخر بالايات التى تتهم اليهود والنصارى بتحريف كتبهم المقدسة، او يصفهم بالحمار الذى يحمل اسفارا، ببساطة لن يتمكن المسلمون من توزيع المصاحف او بناء مساجد فى تلك الدول، تلك هى الفاشية فى اوضح صورها " .

يا بنتي مبلغ علمي أن الإنجيل والتوراة يطبعان في مصر ، وعندي منهما أكثر من نسخة ، كما أن للإخوة المسيحيين قنوات تليفزيونية دينية خاصة يتحدثون فيها

كما يشاءون ، وكنائسهم لا رقابة للدولة عليها إلا الحراسة ، ويمارسون فيها شعائرهم كما يشاءون ، أما الازدراء بشكل علني وعلى نطاق واسع مما يثير حفيظة الناس ويؤدي إلى الصراع والفتن فهذا مجرَّم في القانون المصري ، أما أن الدول العلمانية تسمح بنقد الكتاب المقدس علانية ولا تضع قوانين لتحميه فذلك لسبب بسيط وهو أنها دول علمانية لا تؤمن بمقدس ديني بخلاف البلاد العربية التي تحترم الأديان وتقدسها ، ومع ذلك فإن بعض الدول العلمانية تحارب بعض الشعائر الدينية وإن أدت إلى إثارة الفتنة فقد أدَّى حظر فرنسا لارتداء الحجاب في المدارس عام ٢٠٠٤ وحظر النقاب في الأماكن العامة عام ٢٠١٠، إلى نفور كثير من المسلمين البالغ عددهم خمسة ملايين في البلاد.

## مناقشة حول إباحة الزنا

قالت منة : " مبدأيا احترم حق كل انسان فى الاختيار ويشمل ذلك بالطبع العلاقات الحرة طالما لا تؤذينى، فلا اريد أن أفرض قناعاتى على أحد كما أن موقفى الشخصى لا يعد سندا او حجة على الآخرين، فلا اعتبر نفسى محور الكون، وبالطبع لا اقبل ان يقيم زوجى علاقة مع غيرى لأنه زوجى ونحن نحترم هذه العلاقة، كما انى بالطبع استطيع ان ادافع عن افكارى سواء امام ابنائى او والداى، لانها افكارى واقتنعت بها ويمكننى الدفاع عنها. "

كيف تحترمين الاختيار الحر ثم تشترطين ألا يؤذيك ؟! وتؤكدين ذلك بقولك " وبالطبع لا اقبل أن يقيم زوجى علاقة مع غيرى لأنه زوجى ونحن نحترم هذه العلاقة " وهذا يتعارض يا بنتي مع الاختيار الحر الذي تؤمنين به والذي يمارسه كل أفراد الدول العلمانية – إلا من رحم ربي – وما الذي يلزمك ويلزم زوجك باحترام العلاقة الزوجية ، ولا يكاد أحد يحترم هذه العلاقة في الدول العلمانية . والرجاء دراسة نسب الزنا في الدول العلمانية ونسبته في الدول الإسلامية ، وسلي نفسك عن السر في ارتفاعها هناك وندرته عندنا . وبالمرة ادرسي رأي العلم الحديث فيه ، وأنا أثق في أمانتك العلمية .

## الإعلام الغربي والصورة النمطية للإسلام

يحاول الإعلام الأوروبي ترسيخ الصورة التاريخية في أذهان الشعب الأوروبي ، من خلال التأكيد علي المشاهد الدموية ومظاهر العنف والاختطاف والحروب في تطرقه لشئون المسلمين ، خاصة ما يجري في الشرق الأوسط والعالم العربي .. فتري المشاهد التليفزيونية تعرض "يوميّاً" أمام الرأي العام صوراً لمسلمين متعصبين ينادون بشعارات الموت ضد أعدائهم ، ويحملون بنادق وسكاكين وكأنهم متعطشون للدماء ، كما يعرض للمشاهد مسلمين غاضبين يتظاهرون في الشوارع يطالبون بقتل مؤلف أو صحفي أو سياسي..

وهذه الصور اليومية توحي للمشاهد البسيط بحالة الارتباط بين الإسلام والعنف والإرهاب ، وتجعله يعتقد بأن جميع المسلمين أصوليون وأن كلمة "أصولي" تعني "عدواني" و"متعصب" .

يتخذ الإعلام الأوروبي موضوع المرأة مناسبة للطعن في الشريعة الإسلامية وأحكامها ، وذلك بسبب الخلط بين التقاليد الإسلامية من جهة وبين العادات والتقاليد المختلفة للشعوب الإسلامية والسلوك الشخصي لبعض المسلمين .. ولا يمر أسبوع دون أن يتطرق الإعلام الأوروبي في مقال صحفي أو برنامج أو ندوه تلفزيونية لوضعية المرأة المسلمة ، فيجري تصويرها على أنها تعاني من الأحكام الإسلامية التي تضطهدها وتقهرها .

أما الحجاب فيحتلّ اهتماماً كبيراً من حين لآخر في الإعلام الأوروبي وذلك كرد فعل لحادث طرد تلميذات في فرنسا . منتصف التسعينات . لأنهن يرتدين الحجاب ، أو لرفض مدير إحدى المدارس في هولندا دخول طالبة مرتدية الحجاب ، فيجري استضافة خبراء ومتخصصين في علم الاجتماع وعلم النفس والأديان وضيوف من المسلمين والمحجبات لمناقشتهم في ذلك الموضوع.. كما رسم الإعلام صورة للمسلم علي أنه رجل مزواج يبحث عن المتع والغريزة ، رغم

أن القرآن اشترط العدل بين الزوجات وجعل التعدد علاجاً لبعض المشاكل مثل العنوسة .

تطرق الإعلام الأوروبي لقضايا "المهاجرين" بشكل مسيء لا ينسجم مع أبسط الحقوق الإنسانية ، فيشار إليهم بصورة واحدة وهي التخلف الحضاري والثقافي واتهامهم بارتكاب جرائم السرقة والاغتصاب والاعتداء المسلح .. وهذه الاتهامات يتعرض لها "المهاجرون المسلمون" بصفة خاصة ، لأن غالبية المهاجرين الذين يتدفقون سنويا علي أوروبا هم من الدول العربية والإسلامية وفي حالة التعرض لأخبار الجرائم والاتهامات في الإعلام الأوروبي ،ُتظهر المشاهد التلفزيونية ملامح المتهم بكل وضوح إذا كان أجنبيّاً ، أما إذا كان أوروبيّاً ُفيكتفي بالخلفية أو يتم التشويش علي ملامح وجهه ...

كما يُتهم أولاد الأجانب بأنهم أعضاء في شبكات توزيع المخدرات والإجرام.. وقد حمّلت إحدى الصحف الشعبية واسعة الانتشار في بريطانيا الأجانب مسئولية انتشار مرض "الحمي القلاعية" الذي تسبب في خسائر اقتصادية هائلة هناك .

تحاول وسائل الإعلام في أوروبا الترويج لدعوات منظمات حماية الحيوانات والأحزاب العنصرية التي تعمل علي زرع بذور الكراهية للمسلمين ، من خلال موضوع ذبح الحيوانات ، حيث يتابع الإعلام الأوروبي المسلمين في عيد الأضحى وبعض المواسم الإسلامية ، ويذهب المصورون لالتقاط الأفلام والصور في المجازر الإسلامية لتعرض علي المشاهد خاصة في "فرنسا" مناظر الدم وقطع رءوس الماشية والأغنام .. كما تعرض وسائل الإعلام صوراً مؤلمة عن حيوانات تعاني الآلام أثناء النقل والشحن وتعرضها للجوع والعطش ، فالمسلمون متهمون بإساءة معاملة الحيوانات بسبب قيامهم بذبح الأغنام والماشية في المواسم الإسلامية وعيد الأضحى .

أبدى الإعلام الغربي في تلك الفترة تحيزاً واضحاً فيما يتعلق بالأحداث في الأراضي العربية المحتلة، إذ كانت التغطية الإعلامية لهذه القضية تتصف

بحساسية شديدة ، خاصة فيما يتعلق بأخبار المقاومة الإسلامية ضد إسرائيل ، فعندما تقوم المقاومة بأي عمل فدائيٍّ ضد الجانب الصهيونيِّ ، تتباري الصحف والإذاعات والمحطات التلفزيونية الغربية – التي لها مراسل دائم في تل أبيب – في تخصيص مساحات وأوقات كبيرة لا تتناسب مع الحدث نفسه فيما لو كان الضحايا من الفلسطينيين ، كما صورت أعمال المقاومة علي أنها إرهاب وتطرف وأعمال تخريبية بينما المذابح والقتل والدمار الذي يقوم الجانب اليهودي هو "دفاع عن النفس" في مواجهة الإرهاب والتطرف !!

تصور الصحف الغربية عبر "رسوم الكاريكاتير" العرب والمسلمين في قالب من السخرية والتشويه ، فقد أخذ رسامو الكاريكاتير بالصحف الغربية منذ السبعينات إلى تصوير المسلمين والعرب علي أنهم قوم يتصفون بالعناد والسخف إلى جانب الإرهاب والتطرف .. غالبا ما تعرض هذه الرسوم شخصية العربي المسلم . كشخص ضخم الجسد ذو لحية وشارب مع أنف مقوس وعباءة واسعة وكوفية رأس ويحمل خنجرا في خاصرته . ثم تطور فيما بعد الي حمل بندقية كلاشنكوف ، ويظهر في بيئة صحراوية ومن خلفه آبار البترول . (١)

## القرآن الكريم وأهل الكتاب

أما قولك : إن القرآن الكريم زاخر بالآيات التي تتهم اليهود والنصارى بتحريف كتبهم " فاعلمي يا بنتي أن القرآن الكريم لم يكفِّر كل أهل الكتاب إنما فقط من يقول إن الله ثالث ثلاثة أو إن الله هو المسيح ابن مريم أو إن العزير ابن الله وهذه طوائف من أهل الكتاب وبعضها انقرض كمن يعتقد أن العزير ابن الله ، ولا يعتقد كل المسيحيين بأن الله ثالث ثلاثة ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَـهٍ إِلَّا إِلَـهٌ وَاحِدٌ } [المائدة:٧٣] ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ المَسِيحُ ابْنُ

(1) لمزيد من التفصيل راجعي كتاب " الحروب الإعلامية على الإسلام والمسلمين " أحمد عبد الرحمن موسى دار زهور المعرفة والبركة .

مَرْيَمَ ﴾ [المائدة:٧٢] ومعظم مسيحيي مصر – كما قال لي أصدقائي المسيحيون – يؤمنون بأن المسيح هو كلمة الله وروح منه وهذا ما قاله القرآن الكريم ﴿يَا أَهْلَ الكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلَّا الحَقَّ إِنَّمَا المَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ ﴾ [النساء:١٧١] وقالوا لي إنهم موحدون " فَقَالَ لَهُ الْكَاتِبُ : " جَيِّدًا يَا مُعَلِّمُ . بِالْحَقِّ قُلْتَ، لأَنَّهُ اللهُ وَاحِدٌ وَلَيْسَ آخَرُ سِوَاهُ." [ مرقس ١٢ : ٣٢ ] .

والقرآن الكريم لم يتَّهم كل أهل الكتاب بتحريف كتبهم المقدسة إنما قال ﴿مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ﴾ [النساء:٤٦] والله تعالى لم يصف كل اليهود بالحمير إنما وصف من لم يعملوا بالتوراة وخالفوا تعاليمها ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ القَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآَيَاتِ اللهِ وَاللهُ لَا يَهْدِي القَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الجمعة:٥] .

والقرآن الكريم يجعل الإيمان بالأنبياء جميعاً ركن من عقيدة المؤمن التي لا يكتمل إيمانه إلا به . ﴿آَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آَمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ المَصِيرُ ﴾ [البقرة:٢٨٥] ويتجلَّى التسامح في مخاطبة أهل الكتاب بالأسلوب اللين السمح في قوله تعالى ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:٦٤] .

ولا يعمم القرآن الكريم الحكم على أهل الكتاب جميعاً إنما يقول ﴿وَمِنْ أَهْلِ الكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ﴾ [آل عمران:٧٥] ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آَيَاتِ اللهِ آَنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾ {آل عمران:١١٣} ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ للهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآَيَاتِ

اللهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللهَ سَرِيعُ الحِسَابِ ﴾ [آل عمران:١٩٩] .

ويضع القرآن الكريم مقياساً عادلاً لأصحاب الأديان السماوية جميعاً فيقول : ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَا أَمَانِيِّ أَهْلِ الكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾ [النساء:١٢٣] .

﴿إِنَّ الَّذِينَ آَمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آَمَنَ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآَخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة:٦٢] وجعل الله تعالى إليه وحده الحكم في الخلاف بين أتباع الرسالات السماوية ﴿وَقَالَتِ اليَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ اليَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ [البقرة:١١٣] .

ولقد دعا الله تعالى أهل الكتاب إلى كلمة عدل بينهم وبين المسلمين ، والكلمة العدل ، هي أن يوحدوا الله جميعاً ولا يعبدوا غيره ، وأن يبرءوا من كل معبود سواه .

﴿قُلْ يَا أَهْلَ الكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران:٦٤]

كما أمر القرآن الكريم بوجود العدل مع أهل الكتاب وغيرهم كما أمر بالإحسان إليهم : ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ المُقْسِطِينَ ﴾ [الممتحنة:٨] .

وعندما يعمم القرآن الكريم فيقول ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آَمَنُوا اليَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آَمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ [المائدة:٨٢] فإن " أل " في كلمة

اليهود للعهد ، وليس للجنس ، والمقصود اليهود الذي غدروا بالنبي ﷺ ونقضوا عهده .

والقرآن الكريم لم يستثن المسلمين من فضح المنافقين منهم وتوعد العصاة ﴿المُنَافِقُونَ وَالمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ المُنَافِقِينَ هُمُ الفَاسِقُونَ﴾ [التوبة:٦٧] ﴿إِذَا جَاءَكَ المُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللهِ وَاللهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّ المُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾ [المنافقون:١] ﴿يَحْذَرُ المُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ﴾ [التوبة:٦٤] ولقد أنزل الله تعالى سورة كاملة في المنافقين يذكر فيها جرائمهم ويفضحهم .

والله تعالى أنصف يهودياً اتهمه جماعة من المسلمين بالسرقة ، ولام على النبي ﷺ أنه مال لتصديق هؤلاء المسلمين ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللهُ وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا * وَاسْتَغْفِرِ اللهَ إِنَّ اللهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا * وَلا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ إِنَّ اللهَ لا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا﴾ [النساء:١٠٥ – ١٠٧] والله تعالى أنزل ثماني آيات كاملة تتلى إلى يوم القيامة لتنصف هذا اليهودي وتفضح طُعْمة بن أُبَيْرِق ومن شايعه من عشيرته الذين اتهموا اليهودي بالباطل.

وجاء رجلٌ من اليهودِ إلى النبيِّ ﷺ قد لُطمَ وجهُه، فقال : يا محمدُ، إنَّ رجلًا من أصحابِك من الأنصارِ لطم وجهي، قال : " ادعُوهُ " . فدعَوهُ، قال : " ألطمْتَ وجهَه " . قال : يا رسولَ اللهِ، إني مررتُ باليهودِ فسمعتُه يقول : والذي اصطفى موسى على البشرِ، قال : قلت : أعلى محمدٍ ﷺ ؟ قال : فأخذتْني غضبةً فلطَمتُهُ، قال : " لا تخيِّروني من بينِ الأنبياءِ، فإنَّ الناسَ يُصعقون يومَ القيامةِ، فأكون أولَ من يُفيق، فإذا أنا بموسى آخذٌ بقائمةٍ من قوائمِ العرشِ، فلا أدري أفاق قبلي، أم جُوزِيَ بصعقةِ الطورِ " [ متفق عليه ] .

والحديث ينهَى عن المُفاضَلةِ بَينَ الأنبياءِ وفيه : النَّهيُ عن التَّفضيلِ الَّذي يُؤدِّي إلى الخُصومةِ .

أما الحرية المطلقة بلا قيد ولا شرط التي تنادين بها فلا مكان لها على الأرض إنما في الجنة التي جعلها الله للمؤمنين به في الدنيا ﴿ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآَخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴾ [فصِّلت: ٣١]

**هل تطبيق القانون اعتداء على حرية الرأي ؟**

ذكرت مِنَّة قولي : "يا بنتى هناك فرق بين الرأى واثارة الفتنة.. المشكلة ليست فى حرية الفكر انما فى اثارة الناس والعبث بمقدساتهم" ثم قالت : " لا مانع عندى ان الازهر يرى ان من الصواب سجن اسلام البحيرى او فاطمة ناعوت او حامد عبد الصمد، لكن المانع انك تعتبر تلك الفاشية حرية وتسامح وعدل وتقارنها بممارسات الكنيسة فى العصور الوسطى دون ان تدرك ان الكنيسة الاسلامية تقوم بنفس الشئ." .

كل ما قلتُه يا بنتي أن الأزهر الشريف رفع قضية ضد شخص رأى أنه أساء إلى الإسلام وحكم القضاء عليه وفق القانون والدستور ومع ذلك تعتبرين هذا فاشية وعودة إلى ممارسات الكنيسة في العصور الوسطى ، ولا يدخل ما فعله الأزهر في الفاشية إلا من باب الظلم والتعسف والكلام غير المسئول .

وأضافت مِنَّة قائلة : " يا سيدى الفاضل لفظ "فتنة" فضفاض وليس له معنى واضح، فان كانت اراء اسلام البحيرى تفتنك فى دينك، فتلك مشكلتك او مشكلة الازهر وليست مشكلتنا، حضرتك تناولت فى كتبك الكتاب المقدس وتوصلت الى تحريفه والتلاعب به من قبل من كتبه لتحقيق مصالح اليهود السياسية، اى مواطن مصرى مسيحى او يهودى يقرأ ما كتبه يا سيدى سيتهمك باثارة الفتنة والتلاعب بالمقدسات المسيحية واليهودية، مع الاخذ فى الاعتبار ان اسلام البحيرى لم

يصف القرآن بالتحريف او نصف ما وصفت به الكتاب المقدس، فلماذا يا سيدى لم تضع تلك المعايير فى اعتبارك عندما نشرت كتبك؟؟؟ " .

اتفق معك يا بنتي أن لفظ الفتنة لفظ فضفاض لذا تُرك تحديده وتطبيقه للقضاة ، أما أن كلام البحيري يفتنني في ديني أو يفتن الأزهر فكما سبق أن قلت لك إن كثيراً مما يقوله البحيري أنا أوافقه عليه وسبق أن كتبته قبله بنحو عشر سنوات في كتاب " ميزان الحق بين العلمانية اللادينية والسلفية اللاأصولية " وما من كتاب ديني أو غير ديني إلا وانتقدتُ فيه السلوكيات الخاطئة التي يقوم بها بعض المسلمين ولكن هناك فرق كبير بين النقد البناء المبني على أسس علمية ويهدف إلى الإصلاح ابتغاء مرضاة الله ، والنقد الهدام المبني على الجهل ويهدف إلى الإثارة والإفساد ابتغاء الشهرة والمال ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [يوسف:٥٣] .

## الفرق بين اليهودية والصهيونية

أما كتبي عن الصهيونية فأفرق فيها بين الصهيونية كنظام سياسي عنصري هدَّام وبين الأديان السماوية ، بل إن بعض كتبي عن الصهيونية كتبت في مقدمتها الأتي :

" قبل أن نبدأ في ذكر المرجعية النصية للأساطير الصهيونية والرد عليها لابد أن نذكر ، إحقاقاً للحق ، أن هذه الأفكار لا يتبناها كلُّ اليهود ، ولا كلُّ الغرب ، فهناك من الجماعات اليهودية من يناهض هذه الأساطير ، ويناصبها العداء ويتظاهر ضد من ينادي بها .

فاليهودية ديانة سماوية كغيرها من سائر الديانات السماوية الأخرى ، أما الصهيونية فحركة سياسية عنصرية متطرفة ومن حسن الحظ أن كثيراً من اليهود ليسوا صهاينة .

وعندما دعا تيودور هرتزل إلى إقامة دولة قومية لليهود عارضه معظم الحاخامات ،لأنهم وجدوا أن الصهيونية قراءة مغلوطة ومتعصِّبة للديانة اليهودية، فإذا كانت الديانة اليهودية تدعو إلى العمل بشريعة الرب وهدي الأنبياء لاستحقاق اختياره وتحقيق وعوده والخلاص على يد الماشيخ ، فإن الصهيونية ما هي إلا تلك البدعة المتشددة التي استبدلت بالرسالة الإلهية قومية عنصرية ، وبإله إسرائيل دولة إسرائيل ، وبهداية الأنبياء العظام ضلال السياسيين اللئام ، وبانتظار الماشيخ المخلِّص السعي الحصول على الخلاص بالعنف والإرهاب ... " (١)

أما كلامي عن المسيحيين فلم يتضمن انتقاداً لعقائدهم الدينية إنما كان يشمل ذكر رأيهم في الصهيونية ، وفي الطوائف البروتستانتية الأمريكية والغربية المؤيدة لها .

ولم يعترض أصدقائي المسيحيون على شيء مما كتبته عنهم ، كما أني اجتهدت في استخدام الأسلوب العلمي في البحث وتجنبت السب والقذف حتى لليهود الصهاينة أعداء الأمة العربية والإسلامية .

***

---

(1) راجع كتاب " الدين والسياسة والنبوة بين الأساطير الصهيونية والشرائع السماوية " وكتاب " الأساطير الصهيونية الدينية "

## هل الإسلام دين عنف لنهيه عن سب الذات الإلهية ؟

كتبتِ يا بنتي يوم ٣٠ أغسطس " أنت ازاي تقول إن الإسلام دين العنف والقتل!! .. أنت مش عارف إن المسلمين لو سمعوك بتقول كدا هيقتلوك !!

كلّ الدول العربية والإسلامية.. بلا استثناء ، تعتبر"سبّ الذات الإلهية" جريمة." .

### موقف القانون من السبِّ والقذف

كنت أظنُّ يا بنتي أن لك آراء في بعض المشايخ ، وهذا شيء يمكن تَفَهُّمه " فكلٌّ يُؤْخذ منه ويُرَدُّ " كما قال الإمام مالك فلا عصمة إلا للنبي وحده ، أمَّا أن تنسبي العنف والقتل للإسلام نفسه ، وليس لمن أفتى بالقتل بغير الحق فهذا لا يدخل في مجال الرأي إنما الطعن ، أما اعتراضك على أن سب الذات الإلهية جريمة فهذا كلام لا أصدق أن تقوله مسلمة موحدة بالله تعالى ، إذا كانت جميع القوانين تمنع سب أي إنسان وقذفه وتجرِّم هذا الفعل وتعاقب عليه فكيف تبرئين من يسب الله تعالى رب العالمين ؟!!!

وإذا اطلعنا على الرأي القانوني ، وأنا أعرف أنك مواطنة تحترم القانون ، فإن المادة ٣٠٣ تنص على : " يعاقب علي القذف بالحبس مدة لا تجاوز سنة وبغرامة لا تقل عن ألفين وخمسمائة جنيه ولا تزيد علي سبعة ألاف وخمسمائة جنيه أو بأحدي هاتين العقوبتين . فإذا وقع القذف في حق موظف عام أو شخص ذي صفة نيابية عامة أو مُكَلَّف بخدمة عامة ، وكان ذلك بسبب أداء الوظيفة أو النيابة أو الخدمة العامة ، كانت العقوبة الحبس مدة لا تجاوز سنتين وغرامة لا تقل عن خمسة ألاف جنية ولا تزيد علي عشرة ألاف جنيه أو أحدي هاتين العقوبتين. "

مادة ٣٠٦ " كل سب لا يشتمل علي إسناد واقعة معينة بل يتضمن بأي وجه من الوجوه خدشاً للشرف أو الاعتبار يعاقب عليه في الأحوال المبينة بالمادة ١٧١

بالحبس مدة لا تجاوز سنة وغرامة لا تقل عن ألف جنية ولا تزيد علي خمسة ألاف جنيه أو أحدي هاتين العقوبتين. "

كما نصت المادة ٩٨ على أن يعاقب بالحبس مدة لا تقل عن ٦ أشهر ولا تتجاوز الـ٥ سنوات أو بغرامة لا تقل عن ٥٠٠ جنيه ولا تتجاوز الـ١٠٠٠ جنيه كل من استغل الدين في الترويج بالقول أو الكتابة أو بأية وسيلة أخرى لأفكار منطوقة بقصد الفتنة أو تحقير أو ازدراء الأديان السماوية أو الطوائف المنتمية إليها أو الإضرار بالوحدة الوطنية أو السلام الاجتماعي " .

هذه هي قوانين الدولة المعمول بها والتي يجب الالتزام بها والعمل بموجبها ، فمن لم يلتزم بقول العلماء فعليه أن يلتزم بقوانين البلاد .

## القرآن الكريم ينهى عن سبِّ آلهة المشركين

والقرآن الكريم نهى عن سبِّ آلهة المشركين حتى لا يثير حفيظتهم فيعتدوا على المسلمين ويسبُّوا الله تعالى عدواً ﴿وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:١٠٨]

فالله تعالى ينهى رسوله ﷺ والمؤمنين عن سبِّ آلهة المشركين، وإن كان فيه مصلحة ، إلا أنه يترتب عليه مفسدة أعظم منها ، وهي مقابلة المشركين سبَّ آلهتهم بسبِّ الله تعالى إله المؤمنين ، وربما قام أحد المشركين بالاعتداء على من يسبُّ إلهه .

القرآن الكريم ينهى عن سبِّ الأصنام والأوثان وأنتِ تستحلِّين سبَّ الله تعالى ؟!

## مناقشة حول سب الذات الإلهية

صفحة ١٥٠ ذكرت ما نشرته على صفحتى حول جريمة سب الذات الالهية، وكان ردك كما يلى "اما ان تنسبى العنف والقتل للاسلام نفسه، ليس لمن افتى بالقتل بغير الحق فهذا لا يدخل فى مجال الرأى انما الطعن، اما اعتراضك على

ان سب الذات الالهية جريمة فهذا كلام اصدق ان تقوله مسلمة، اذا كانت جميع القوانين تمنع سب اى انسان وقذفه وتجرم هذا الفعل وتعاقب عليه فكيف تبرئين من يسب الله تعالى"

ردك يا سيدى اشتمل على اكثر من مغالطة:

اولا: "لا يدخل فى مجال الرأى بل الطعن" الطعن نفسه يدخل فى نطاق حرية الرأى، قد تعتبرها حرية غير منضبطة او جانحة لكنها تبقى حرية، من حق اى انسان ان يطعن فو ينقض او ينتقد اى فكرة، الافكار لا قدسية لها، هى مقدسة فقط فى عيون من يؤمنون بها واجبار الاخرين على تقديس ما تقدسه هو نوع من الارهاب او البلطجة ولا اجد له وصفا آخر.

ثانيا: "اعتراضك على ان سب الذات الالهية جريمة لا يصدق" دعنى اقول لك يا سيدى ان هناك فرق بين المحرم والمجرم، الامران مختلفان تماما، بمعنى انى اتفق معك فى ان سب الذات الالهية ذنب كبير ومحرم فى شرع الاسلام لكنى لا اوافق على ان يكون مجرما فى القانون، وهو ما يقودنا الى النقطة الثالثة التى اثرتها " اذا كانت جميع القوانين تمنع سب اى انسان او قذفه وتحرم هذا الفعل..."

هى فلسفة القانون يا سيدى انه وضع ليحمى حقوق الانسان وحرياته ان اختلفت اراداتنا، البشر وضعوا القانون لحمايتهم من بعضهم البعض لا لحماية افكارهم وان كانت مقدسة ولا لحماية الله، الله لا يحتاج الى القانون لحمايته فمن المفترض انه يحمينا جميعا سبحانه وتعالى، فبالطبع وجود عقوبة فى القانون لسب الذات الالهية هو امر غير منطقى وغير مقبول فى فلسفة القانون من الاصل ولم اخترعه انا، هناك محرمات كثيرة غير مجرمة فى القانون وابسطها اكل لحم الخنزير فهو محرم فى شرع المسلمين لكن وضع عقوبة على تناوله مجرد عبث وهراء. " . انتهى كلام مِنَّة وهذا ردِّي عليه .

أولاً : سب الذات الإلهية بالنسبة للدين كفر يستحق مرتكبه الخلود في النار إن لم يتب ويقبل الله توبته ، أما بالنسبة للقانون فإن ما تعتبرينه حرية رأي يعده القانون

ازدراء للأديان ويعاقب عليه ، والقانون ليس مقدساً نعم لكنه ملزم لكل المواطنين إلى أن يتم تغيره من قِبَل أعضاء مجلس النواب وليس من آحاد الناس .

***

# المناقشة الختامية

# المناقشة الختامية

## هل الإسلام دين ودولة أم مجرد قيم روحية ؟

كتبت منة في آخر ردِّها : " وختاما اسمح لى بخمسة فضفضة حتى اوضح اكثر وجهات نظرى فيما نحن محتلفان فية،،

اولا: هل الاسلام دين بمعنى "قيمة روحانية" ام هو دين ودولة بما يجعله اقرب "لايدولوجيا سياسية"؟؟ "

اعلمي يا بنتي أن الدين الإسلامي كما أفهمه عقيدة وشريعة وأخلاق وآداب وبالنسبة لعلاقة الإسلام بالسياسة فلم يحدد الإسلام نظاماً معيَّناً للحكم لكنه اشترط في أي نظام إسلامي أسساً أهمها أن يتصف بالعدل ، والمساواة ، والشورى ، وإصلاح حال البلاد والعباد ، ولا ينقض أصلاً من أصول الدين كما يشترط رضا المحكومين عن الحاكم . وللمحكومين أن يختاروا من شاءوا اختياراً حرّاً ولهم حق محاسبته وعزله ومحاكمته .

وإني أرى أن دستور ٢٠١٤ الذي أقرَّه الأزهر الشريف والكنيسة المصرية وأغلبية المصريين وأنا واحد منهم صالح للمرحلة الراهنة .

وتجيب منة عن السؤال الذي طرحته قائلة : " بالنسبة لى بالطبع اؤمن بالاسلام كدين وكقيم روحية وألتزم بشرائعه لكنى ببساطة لا ارى الاسلام يصلح لبناء دولة، لان بناء الدولة على اسس دينية يجعل منها دولة عنصرية " .

يا بنتي كيف يستقيم قولك أنك تؤمنين بالإسلام كدين وتلتزمين بشرائعه ، وأنت تطعنين في أصوله وثوابته وتدافعين عن الصادِّين عن سبيله ، وهناك فرق كبير

بين الغيورين على الدين الراغبين في تجديد خطابه الديني وبين المشكِّكين في المعلوم من الدين بالضرورة .

## مفهوم الدولة في الإسلام

أما عن مفهوم الدولة في الإسلام فاعلمي يا بنتي إن الدولة في الإسلام دولة مَدَنيَّة بالمفهوم الحديث لا دولة دينية (ثيوقراطية) تخضع لسيطرة رجال الدين بل هي تلتزم بالقرار الشعبي الذي إذا ارتضى طواعية – مثلاً – أن تكون مبادئ الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسي للتشريع فلا بد أن يجاب إلى طلبه " قال الشيخ محمد عبده " ليس في الإسلام ما يسمى عند القوم بالسلطة الدينية بوجه من الوجوه" . فالإسلام يفتح الباب واسعاً للتفكير العقلي والعلم التجريبي وحرية الاعتقاد وحرية الرأي، ومساواة المواطنين في الحقوق والواجبات وعدم التمييز على أساس الدين ، أو النوع ، أو اللون .

وأتمنى أن تكوني صادقة في إيمانك بدين الإسلام وتعملين على تصحيح المفاهيم الخاطئة التي تفشت في كثير من المسلمين وتردين الشبهات المغرضة التي يثيرها أعداء الدين .

## الثابت والمتغير في الشريعة الإسلامية

تقول منة استكمالا لمفهومها عن الدين : " كما ان ادراكنا كأفراد مع تراكم المعرفة وتطور الحضارة الانسانية جعل منظومة الاخلاق لدينا ارقى من تلك التى كانت موجودة وقت نزول الاسلام. لذلك استطاع الاسلام بشريعته ان يدفع المجتمع للامام ويرتقى بحالة الافراد والمجتمع بصورة عامة، وسأستخدم نفس المثال الذى استخدمته حضرتك عند الحديث عن المرأة وهو "وأد الفتيات" فقد كانت القبائل تنظر للانثى كمصدر للعار وذلك بسبب انتشار ثقافة الاغارة والسبى من القبائل الاخرى، وليس لكونها أنثى فقط، وعندما جاء الاسلام وأعلى من قيمة الحياة وحرم قتل الابناء فقد ارتقى بالمنظومة الاخلاقية فى تلك البيئة، ومنطقيا ان هذا المثال

لا يمكن الاستدلال به بعد ألف واربعمائة عام فى محاولة تبرير وضع المرأة المهين فى المجتمعات الاسلامية اليوم، فما يقوم به دعاة الشريعة هو العكس تماما، أى العودة بالمجتمع وبالمنظومة الاخلاقية للخلف. " .

يا بنتي إذا كان شرط التقدم والتحضر تطوير العلم والتكنولوجيا فإن الدين – خاصة إذا كان خاتم الأديان السماوية – ومكارم الأخلاق – خاصة إذا كانت غاية هذا الدين – غير قابلين للتبديل والتحريف وإن كانا قابلين للفهم المتجدد من أهل العلم والتخصص . وهذا لا يعرقل مسيرة العلم والتكنولوجيا بل يدعمهما ويحث عليهما بل يجعلهما فريضة دينية وواجبا وطنياً .

وأعتقد أنك توافقينني الرأي في أن الفواحش والمنكرات كالإباحية ، والشذوذ الجنسي ، وشرب الخمر ، وتفسخ الأسرة ، والخلاعة والمجون ، وعري النساء ، لا علاقة لها بالتقدم بل هي عوامل هدم ، أم تراك ترينها شرطاً من شروط التقدم في العصر الحديث !!

منظومة أخلاق الدول العلمانية نعم تشتمل على بعض القيم الإيجابية مثل : إتقان العمل ، واحترام النظام ، والنظافة ... وهذا كله من أخلاق الإسلام التي أهملها للأسف كثير من المسلمين " إِنَّ الله يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلاً أَنْ يُتْقِنَهُ." [ صححه الألباني ] " إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ يُحِبُّ الطَّيِّبَ نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ جَوَادٌ يُحِبُّ الْجُودَ " [ الترمذي ] " إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ " [ صحيح مسلم]

إن مقوِّمات الحضارة الحقيقيَّة – وليست المَدَنيَّة أو العمران أو الثقافية – لا بد أن يتوفَّر فيها جانبان :

١– دين سماويٌّ ( عقيدة ، وعبادة ، وشريعة ، وأخلاق ) .

٢– إبداع إنساني : علميّ (علوم : إنسانيَّة ، وطبيعيَّة ، ورياضيَّة ، وفلكيَّة ...) وتِقَنِي (اختراعات متطورة) ومادي (تشييد وبناء ...) وفني (أدب ،ورسم

،ونحت ، وموسيقى ، وتصوير) وبدني (رياضة : فروسيَّة ، رماية ، سباحة ، عدو، .. ) .

فالحضارة إذن لابد أن تشبع جميع كيان الإنسان روحيّاً ( عقيدة وعبادة ) وعقليّاً ( علوم ومعارف ) وقلبيّاً ( فنون وآداب ) وإنسانيّاً ( مكارم في الأخلاق ، واستقامة في السلوك ) وجسديّاً ( صحة ونشاط ، وخلو من الأمراض ) كما لابدَّ أن تكون هادية لغيرها ، ناشرة لخيرها ، محافظة على توازن الإنسان والكون ولم تكتمل هذه العناصر مجتمعة إلا في الحضارة المصريَّة القديمة والحضارة الإسلامية الوسيطة ." (١)

فمقوِّمات الحضارة الطبيعيَّة والبشريَّة فحسب لا يصنعان حضارة حقيقيَّة قد يصنعان تقدُّماً علميّاً وتكنولوجيّاً ، يغزوان البلاد ويذلَّان العباد ولا يحققان إلا البؤس والشقاء ، ومصيرهما الهلاك والفناء ؛ قد يُحَقِّق التقدُّم العلميُّ والتكنولوجيُّ مكاسب ماديَّة ومغانم اقتصاديَّة لكنه أبداً لن يحقِّق سعادة النفس ولا طمأنينة القلب ولا غذاء الروح ؛ فإن لم تُقَم المَدَنيَّة على دين صحيح فإنها لن تصنع إنساناً سويّاً، ولن تقيم حضارة خالدة تنفع الإنسانيَّة . وهذا هو حال جميع مَدَنِيَّات الممالك والإمبراطوريات التي لم تُبْن على تعاليم السماء ( الحق والعدل وحسن الخلق ) كلها زالت غير مأسوف عليها بسبب ضلالها وظلمها .

**هل كتب الفقه ورجالها مقدسون ؟**

تقول منة في ردها : " ثانيا: حضرتك وغيرك من السلفيين تدعون ان كتب الفقه ورجاله واعلم الحديث والتراث، كلها مقدسات "راجع ما كتبته بشأن تبرير سجن اسلام بحيرى" وبدونها لن نتمكن من معرفة الصواب والخطأ، ثم تعود وتقول أن الاسلام لا يوجد به كهنوت!!! " .

---

(1) " ميزان الحق بين العلمانية اللادينية والسلفية اللاأصولية " للمؤلف ص ٣٠٩ ، ٣١٠ مكتبة مدبولي.

أولاً : أنا لست سلفياً بل نقدت السلفية اللاأصولية في كل كتبي الدينية خاصة " المدارس السلفية جدلية النقل والعقل والمصلحة " .

ثانياً : أنا لم أقل إن كتب الفقه مقدسات ولا العلماء مقدسين فالعلماء هم الذين قالوا لنا " رَأْيي صواب يحتمل الخطأ ، ورَأْي غيري خطأ يحتمل الصواب " و " ما من أحد إلا مأخوذ من قوله ومردود عليه إلا النبي ﷺ و" لا تنظر إلى من قال وانظر إلى ما قال " وأن خطأ البحيري يكمن في رأيي في أسلوب السب والشتم والإثارة الذي لا يتناسب وقضايا الدين التي يتناولها ولا يناسب كرامة العلماء الذين يسبهم .

والدعوة إلى اتباع الأسلوب العلمي واحترام العلماء ليس تقديساً لهم إنما هو أبسط حقوقهم علينا ولا يعني احترامهم أن نسلم لهم بكل ما يقولونه .

## هل هناك وساطة بين العبد وربه ؟

قالت منة في ردها الختامي : " بالطبع فان فلسفة الاسلام الاصلية وقت نزوله كانت انعدام الوساطة بين الانسان وربه، لكن واقع المسلمين اليوم يخالف ذلك، فهناك فئة تحتكر التشرع باسم الله وتجعل نت اجماعهم على رأى بشرى سلطة توازى قداسة النص الدينى، وعندما تخالفهم يشهرون فى وجهك سيف "اجماع الفقهاء"، فى حين ان هؤلاء الفقهاء بشر مثلنا ورأيهم غير ملزم لنا." .

وأنا أوافقك يا بنتي على أنه ليس في الإسلام رجال دين وسطاء بين العبد وربه إنما في الإسلام علماء دين يبينون للناس أمور دينهم ومن حق كل مسلم أن يختار لنفسه ما يشاء وسوف يحاسبه ربه على اختياراته وأعماله .

## هل منظومة المعرفة الإسلامية ترفض النقاش ؟

تقول منة في ردها الختامي أيضا : " فالمنظومة المعرفية الاسلامية ترفض النقاش نتيجة ما سبق وتصنفه كتشكيك او تحريض او اثارة فتنة، وهى نفس التهم التى وجهت لاسلام البحيرى رغم انه لم يشكك لا فى القرآن ولم يسئ للنبى. " .

هناك فرق كبير بين النقاش العلمي بين أهل العلم والتخصص في معاهد العلم ومجالسه ، وبين أسلوب الهجوم والسب والقذف وإعلان ذلك على الناس أجمعين، ولا يشارك معه أحد العلماء المتخصصين لمناقشته فيما يقول .

وإذا كانت الدول العلمانية تسمح بحرية الرأي في مجال الدين الذي لا تأثير له في حياتهم ومعاشهم ومعادهم فإنها لا تسمح به في مجال العلم الذي يمس حياة الناس ومعاشهم .

## لماذا تحولت مِنّة من متدينة إلى علمانية ؟

تقول منة : " لماذا تحولت من فتاة متدينة قرأت كل كتب الغزالى والشعراوى لاحدى دعاة العلمانية؟؟؟

لانى رأيك النتائج على ارض الواقع من تطبيق القانون الدينى فى دولة حديثة والامثلة أكثر مما تحصى، فالقانون العلمانى يضمن المساوة بين المواطنين فى حين ان الشريعة لا توجد بها مساواة لا بين الرجل والمراة ولا بين المسلم وغير المسلم، وحيث "لا مساواة" فانه لا وطن ولا دولة ولا حقوق. " .

- أولاً : مصر لا تطبق القانون الديني بل هي دولة مدنية - كما أسلفنا القول - أما أن الإسلام لا توجد فيه مساواة بين الرجل والمرأة فالرجاء أعادة قراءة ما ذكرته في هذا المجال بتجرد ، أما أن الإسلام يفرق بين المسلم وغير المسلم في الحقوق والواجبات فإنك لم تذكري لي مثالاً واحداً يدل على هذا ، بل العكس هو الصحيح إن حسن معاملة المسلمين لغير المسلمين كانت الدافع إلى دخولهم في دين الله أفواجاً .

تقول منة " فالشريعة الاسلامية لا تصلح لتأسيس دولة حديثة.. دولة المساواة بين المواطنين. " .

- وهذا الأمر سبق الرد عليه

- " اما العلمانية فتعنى ان الدولة لا تتبنى دينا ولا تحارب دينا وبالتالى تضمن حرية الاعتقاد للجميع، خاصة فى المجتمعات التى توجد فيها اقليات دينية. "

- ومصر اختار غالبة شعبها أن تكون " أن تكون مبادئ الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسي للتشريع " ولا تحارب ديناً وتضمن حرية الاعتقاد للجميع .

- ثانيا: العلمانية الديمقراطية لا تلغى الدين ولا تنكره، فها هي الدول العلمانية تستضيف الاف المسلمين وغيرهم من الذين تعرضوا للاضطهاد فى بلادهم وتسمح لهم بممارسة شعائرهم الدينية وبناء مساجدهم وتكوين منظماتهم بحرية .

ثالثا: العلمانية نظام سياسى وفكرة لا يوجد به مبدأ مطلق ما عدا "المواطنة" اما غير ذلك من مبادئ دينية او عقائدية او فكرية فانها مبادئ قابلة للنقاش والرفض ةالقبول من مواطنى البلد العلمانى.

رابعا: تحمى العلمانية الديمقراطية حرية الفكر والتعبير والنقد، اذ لا نهضة حضارية وعلمية بدون حرية فكرية وسياسية واجتماعية."

- إن مَثَل العلمانيين الذين يريدوننا أن نقلِّد الدول العلمانية كمَثَل السلفيين الذين يريدوننا أن نقلِّد العادات العربية فإذا كانت حُجَّة السلفيين أن المسلمين ما وصلوا إلى ما وصلوا إليه في أزهى عصورهم إلا بفضل تمسكهم بالدين ، واعتقادهم أن التمسك بأقوال وآراء بعض السلف سيحقق لهم ما تحقق لأسلافهم من ظهور على سائر الأمم . فإن العلمانيين يقولون إن أوربا ما تقدَّمت إلا بعدما طرحت الدين وراء ظهرها وأخذت في أسباب العلم المادي .

والحق أن كلا الفريقين مصيب ومخطئ ، فنعم تقدم المسلمون عندما تمسَّكُوا بالإسلام لكن فهمهم للإسلام يختلف عن فهم الوعاظ النصيين الحرفيين له .

فقد فهموا الإسلام على أنه نظام شامل دين ودنيا ، مأثور ومعقول ، إيمان وعمل لا كما يفهمه النصيون الحرفيون على أنه نقل لا عقل فيه ومأثور لا فقه فيه وثبات لا تطور فيه !!

كما أن أوربا ما تقدَّمت إلا بعدما طرحت الدين وراء ظهرها وأخذت في أسباب العلم المادي وهذا حق ، ولكن الحق أيضاً أن الدين الذي طرحته أوربا والذي كان عائقاً للتقدم العلميِّ والذي حكم رجال دينه على جاليليو بالهرطقة والكفر واضطروه إلى العدول عن نظرياته العلمية ! ليس هو دين الإسلام الذي يجعل العلم ، بمفهومه الشامل ، فريضة وأن لا تعارض بين الفهم الصحيح للدين والحقائق العلمية . (١)

وأخيراً أهمس في إذنك يا بنتي بكلمة أخيرة .

اعلمي يا بنتي أن الكفر غباء فالذي يرى نِعَم الله تعالى التي لا يحصيها عد ثم يكفر بالخالق خاصة إذا كان ممن يشتغل بالعلم مثل : دوكنز فإنه أقل ما يوصف به أنه غبي وظلوم كفَّار ﴿وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم:٣٤].

ثم ما موقف هؤلاء الملحدين أو المشككين في دين الله وشريعته لو صدق الله ورسوله ، وكان هناك بعث ونشور وحساب ؟ ﴿وَنَضَعُ المَوَازِينَ القِسْطَ لِيَوْمِ القِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء:٤٧] .

المشكلة أن ليس هناك فرصة أخرى بعد الموت يصحح فيها العلمانيون فكرتهم عن الكون وخالقه ، والدين وحقيقته ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [الرُّوم:٥٧] {وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ * وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ * أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * أَوْ تَقُولَ

(١) " ميزان الحق بين العلمانية اللادينية والسلفية اللاأصولية " للمؤلف ص ١٢ ، ١٣ مكتبة مدبولي .

حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ * بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آَيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴾ [الزُّمر:٥٤ – ٥٩]

نعم هناك دعاة إلى الله متخلفون يصدون عن دين الله ولسنا مطالبين باتباع كل ما نسمع من دعاة الدين أو غيرهم إنما أمرنا {الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ القَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الأَلْبَابِ} [الزُّمر:١٨] .

أما إذا لم يكن هناك إله خالق للكون كما يقول العلمانيون وليس هناك بعث ولا نشور ولا حساب فإن المؤمنين لن يخسروا شيئاً إنما عاشوا سعداء بإيمانهم الذي جعل لهم هدفاً وغاية وأمرهم بمكارم الأخلاق .

***

# كتب للمؤلف

## كتب دينية

١- ميزان الحق بين العلمانية اللا دينية والسلفية اللا أصولية . مكتبة مدبولي
٢- ميزان الحق ( الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة ) دار زهور المعرفة والبركة
٣- الدين والسياسة والنبوءة . دار الكتاب العربي
٤- المدارس السلفية،جدليَّة النقل والعقل والمصلحة. دار زهور المعرفة والبركة
٥- الفوائد الجمة في تفسير جزء عمَّ . دار زهور المعرفة والبركة
٦- عبقرية محمد للعقاد ، مع ضبط وتخريج الأحاديث النبوية ، ومناقشة آراء العقاد الدينية وذكر مفتاح شخصية خير البرية . دار زهور المعرفة والبركة
٧- ضبط وتخريج الأحاديث النبوية لكتاب " على هامش السيرة لطه حسين " مع مناقشة أفكار الكاتب واتجاهاته الدينية . دار زهور المعرفة والبركة
٨- أخلاق الإسلام وتنمية المجتمع . " " " " " " " "

## سلسلة نحو خطاب ديني جديد

١- مناقشة معاصرة لقضايا المرأة المسلمة . دار زهور المعرفة والبركة
٢- في العقيدة والشريعة والأخلاق . " " " " " " " "
٣- حوارات مفتوحة مع تلميذتي الصريحة . " " " " " " " "

## سلسلة فصول من تاريخ مصر المعاصر

١- آخر أيام فاروق وأول أيام الثورة. دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع
٢- العامان المجهولان في تاريخ ثورة يوليو دار زهور المعرفة والبركة
٣- هزيمة يونيو ٦٧ وتحديد المسئولية " " " " " " " "
٤- إنجازات عبد الناصر الكبرى من منظور سياسي " " " " " " " "
٥- نظام عبد الناصر السياسي والاقتصادي والاجتماعي " " " " " " " "
٦- أمريكا وعبد الناصر من التحالف إلى العداء " " " " " " " "

## سلسلة كتب نحو فهم صحيح للصراع العربي الإسرائيلي

١- الاستراتيجية الصهيونية تجاه العرب ، والمنهج الإلهي لميراث الأرض .
دار هبة النيل العربية

٢- اليهود والصليبيون الجدد ، الدجل الديني والسياسي .
دار الإبداع للصحافة والنشر

٣- اليهود والصليبيون الجدد ( الطبعة الثانية مزيدة ومنقحة ) "" "" ""

٤- إسرائيل وحزب الله ولبنان ، الفائز والخاسر ومن دفع الثمن "" "" ""

٥- فتح وحماس ، من مقاومة الاحتلال إلى الصراع على السلطة "" "" ""

٦-اليهود والصهيونية وأوهام الأمة العربية "" "" "" ""

## كتب عن الثورة

١- متى يثور المصريون ، دراسة في الشخصية المصرية والثورة عبر التاريخ .
زهور المعرفة والبركة

٢- دروس من ثورة يوليو لثورة يناير . دار زهور المعرفة والبركة

## كتب عن الحضارة المصريّة

١- حضارات مصر ونهضاتها . دار زهور المعرفة والبركة

٢- لسنا فراعنة ولا عرباً ولا أورمتوسطين فمن نكون ؟ " " " " " " " "

## المؤلفات الأدبية

١- مهاجرون (قصص قصيرة ) دار زهور المعرفة والبركة

٢- الحرف التاسع والعشرون ( قصص قصيرة ) " " " " " " " "

٣- ليت قومي يعلمون . ( قصص قصيرة ) دار زهور المعرفة والبركة

٤- القاهرة ، يناير ٢٠١١ ( رواية ) " " " " " " " "

٥- شهادات رموز ومعالم مصرية حديثة على بطولات مصرية مجيدة .
( قصص مصورة للنشء والشباب ) دار زهور المعرفة والبركة

**كتب أطفال**

* سلسلة أصدقاء البيئة ( ٨ قصص )                دار زهور المعرفة والبركة
* السلسلة النفيسة في ثورات مصر الحديثة (٥ قصص)    " "  " "  " "  " "
* سلسلة لغز الحضارة المصرية القديمة (٨ قصص)    " "  " "  " "  " "
* سلسلة منجزات الحضارة المصرية القديمة (٦ قصص )  " "  " "  " "  " "

توجد كتب المؤلف في مكتبات أفضل ٤٠ جامعة على مستوى في العالم، ومعظم الجامعات العربية، ومعظم مدارس وجامعات مصر، وكتبت عن مؤلفاته عديد من الصحف العربية، والأجنبية والمواقع الالكترونية .

استضافته قناة النيل الثقافية في برنامج " الرفيق " لعرض كتابه " متى يثور المصريون " .

– قررت دولة قطر قصة " وردة المدرسة " على الصف الثالث الابتدائي .

التليفون المحمول: 01226406489

البريد الالكتروني: : yuness2005@hotmail.com

موقع المؤلف على الإنترنت www.albab.hooxs.com

* * *

# محتوى الكتاب

## هل الشريعة الإسلامية غير مفهومة ؟ وغير مناسبة للعصر ؟

## هل الإسلام مجرد شعائر تعبدية أم منهج حياة ؟



## هل عجز المسلمون عن تطبيق شريعة الإسلام عبر تاريخهم؟

## هل هناك خلق قويم بغير دين صحيح ؟

## ما الفرق بين حرية الرأي وإثارة الفتنة ؟

## المناقشة الختامية



***